

خلاصة المتون فى أبناء ونبلاء اليمن الميمون

للسيد العلامة المؤرخ الشهير

محمد بن محمد بن يحيى زياره

المجلس

الجزء الثانى (١)

من ظهور الهادى يحيى بن الحسين وينتهى عام ٧٢٢ هـ

الطبعة الاولى

١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م

حقوق الطبع محفوظة

YEMENI HERITAGE
& RESEARCH CENTRE



مركز التراث
والبحوث اليمنى

ص.ب ١٣١ ريتشموند ، ساري - بريطانيا
P.O. Box 131 Richmond, Surrey TW92LG, Great Britain

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء الثانى من خلاصة المتون فى أبناء ونبلاء اليمن الميمون من ظهور الهادى يحيى بن الحسين سنة ثمانية ومائتين للهجرة إلى انتهاء الدولة الرسولية سنة ثمانية وخمسين وثمانمائة للسيد العلامة المؤرخ الشهير محمد بن محمد بن يحيى زبارة

وهذا هو الجزء الثانى (١) وينتهى عند عام ٧٢٣ هـ ويتبعه الجزء الثانى (٢) المنتهى عند انتهاء الدولة الرسولية ٨٥٨ هـ.

من مصادره: «أبناء الزمن» للسيد يحيى بن الحسين بن القاسم و «المستطاب» له أيضاً. و «سيرة الهادى يحيى بن الحسين» لعلى بن محمد بن عبيد الله العلوى وسير أئمة آخرين و «قرة العيون» للديبع. و «شرح الزحيف على البسامة».

و «شرح ابن مظفر الترجمان على البسامة».

و «مطلع البدور» للقاضى أحمد بن صالح أبى الرجال.

و «طبقات الزيدية» لإبراهيم بن القاسم بن المؤيد وغيرها.

و «العسجد المسبوك» للخزرجى.

بقلم ابن المؤلف

أحمد بن محمد بن محمد زبارة.

خطبة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين، اللهم إنا نحمدك بالمحامد التي ألهمتها الناطقين من عبادك، ونشكرك شكراً متصلاً بدوامك، ولن نقوم بشيء من حقوق مجدك، ونحن المذنبون، وعندك الرُّكع السجود من ملائكتك، لا يرفعون رؤوسهم خضوعاً لعظمتك، فسبحانك لا إله إلا أنت، وإن من شيء إلا يسبح بحمدك، ونشهد أنك أنت الله وحدك لا شريك لك، وأن محمداً عبدك ورسولك، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين وصحابه الراشدين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد فإن العبد الفقير إلى الله -سبحانه- محمد بن محمد زبارة -تجاوز الله عنه وغفر له ولوالديه وللمؤمنين والمؤمنات- قد أجاب رغبة الراغبين في جمع ما تيسر من كتب التاريخ اليمنى باسم: «خلاصة المتون في أبناء ونبلاء اليمن الميمون» في أجزاء كثيرة:

الأول، من ظهور الإسلام إلى قيام الإمام الهادي يحيى بن الحسين.

والثاني: من قيامه إلى انتهاء الدولة الرسولية وابتداء الدولة الطاهرية سنة ثمانية وخمسين وثمانمائة للهجرة -وهو هذا الذي بين يديك-.

والثالث إلى آخر الألف الهجرى.

والرابع إلى سنة ١٠٧٥

والخامس إلى سنة ١١٠٠

والسادس إلى سنة ١١٣٩

والسابع إلى سنة ١١٨٠

والثامن إلى سنة ١٢٠٠

والتاسع إلى سنة ١٢٢٥

والعاشر إلى سنة ١٣٠٠

وأما للقرن الرابع عشر «نزهة النظر» في أربعة مجلدات ضخمة -تراجم- وفي خلالها الأنباء، وهذا أوان الشروع في الجزء الثاني.



أَوَّلَ مَنْ جَدَّدَ فِي قُطْرِ الْيَمَنِ

لِلدِّينِ مِنْ آلِ النَّبِيِّ الْمُؤْتَمَنِ

هو الإمام الهادى إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم الرسى بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب المدنى ثم اليمنى الصَّعدى، مولده بالمدينة المنورة سنة خمس وأربعين ومائتين للهجرة وأمه فاطمة بنت الحسن بن محمد بن سليمان بن داوود بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب. ولما وُلِدَ وضعه جده القاسم فى حجره وعوده ودعا له وقال لأبيه: ما سميته؟ قال: يحيى فقال: هو يحيى صاحب اليمن لما يعرفه من الآثار والملاحم وما يرويه أن النبى -صلى الله عليه وآله وسلم- قال: «يخرج فى هذا النهج -وأشار إلى اليمن- رجل من ولدى اسمه يحيى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يحيى الله به الحق ويُميت به الباطل». وعن على -كرم الله وجهه- أنه ذكر فتنة بين الثمانين ومائتين ثم قال: فيخرج رجل من عترتى اسمه اسم نبي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً يميز بين الحق والباطل... إلى آخر ما فى كتاب «الإفادة بتاريخ الأئمة السادة» و«الحدائق الوردية» وغيرهما والله أعلم. وجده القاسم توفى فى السنة الثانية من ولادته. وكان الهادى أنجل العينين واسع الصدر والمنكبين والساعدين خفيف الساقين والعجز.

روايته . تلاميذه . مؤلفاته . ترجيحاته

روى عن أبيه الحسين الحافظ وعن عميه محمد والحسن. وروى فى كتابه المنتخب عن عبد الرزاق الصنعانى وابن جريج وأبى بكر بن أبى شيبه ومالك بن أنس وغيرهم وعنه ولده محمد المرتضى وأحمد الناصر، ومحمد بن سليمان الكوفى جامع المنتخب، وعلى بن العباس، وأحمد بن محمد بن فيروز الديلمى وغيرهم وخرج له المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهارونى وصنوه أبو طالب يحيى بن الحسين، والمرشد بالله يحيى بن الحسين الجرجانى الشجرى، وغيرهم من الأئمة. وكان مشغولاً بالعلم من صغره. ومن أجل مصنفاته كتاب «الأحكام» فى مجلدين فى الأحكام الشرعية وفى أوله نبذة فى أصول الدين، وفى آخره نبذة فى الزهد والادب وفيه حديث واسع

مسلسل وكتاب «المنتخب» فى مجلد جمعه تلميذه محمد بن سليمان الكوفى، وكتاب «الفنون» فى الفقه والفرائض. وله تفسيران أحدهما استكمل فيه القرآن، وبدأ بسورة الحمد ثم الناس، والثانى فى مجلد ضخم وله «تفسير الغريب» وله فى علم الأصول «البالغ المدرك» وكتاب «الجملة والديانة» وكتاب «إثبات النبوة» وكتاب «تثبيت الإمامة» وكتاب «المرشد» وهو أكبرها وكتاب «مسائل الرازى» وكتاب «مسائل الطبريين» وغير ذلك، وقد عد مصنفاته الإمام المنصور عبد الله بن حمزة إلى نيف وأربعين مصنفاً، وانتشرت كتبه ومذهبه فى اليمن وبلاد الجليل والدليم. وذكره الإمام الفخر محمد بن عمر الرازى فى تفسيره «مفاتيح الغيب» فقال فى أثناء سورة التوبة: (ياأيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس) الآية فقال صاحب الكشف عن ابن عباس أن أعيانهم نجسة كالكلاب، وعن الحسن البصرى: من صافح مشركاً توضأ، وهذا هو قول الهادى من أئمة الزيدية... إلى أن قال وأعلم أن ظاهر القرآن يدل على كونهم أنجاساً فلا يرجع عنه إلا بدليل... وأطال الرازى فى ترجيحه. وفى فتح القدير أنه مذهب الظاهرية والزيدية والحسن البصرى وابن عباس روى عن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : «من صافح مشركاً فليتوضأ وليغسل كفيه». (أ.هـ).

وقال أبو بكر بن يعقوب الرازى وردت على الهادى إلى اليمن فاندعشت له فانى كنت لا أعرف أحفظ منى لأصول أصحابنا، وكنت أجاريه فى الفقه، وأحكى قول أصحابنا فيقول: يا أبا بكر ليس هذا قولكم، ويخرج لى المسألة من كتبنا على ما قال وقال أبو الحسين الهمداني الشافعى: حضر رجل يدعى على رجل عند الهادى فانكر المدعى عليه فأتى المدعى بالبينة ثم حلف الهادى الشهود فعجبت من ذلك فسأله فقال: هذا مذهبي وهو قول طاووس، وما تنكر من تحليفهم احتياطاً مع التهمة، وقد قال - تعالى - (فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما)

إثبات ابن حجر لإمامته وذريته

قال الحافظ ابن حجر فى «فتح البارى» شرح البخارى فى حديث ابن عمر قال قال

رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقى منهم اثنان» إن بالبلاد اليمنية طائفة من ذرية الحسن بن علي بن أبي طالب لم تنزل مملكة تلك البلاد معهم من أواخر المائة الثالثة، وكبيرهم يقال له الإمام، ولا يتولى الإمامة منهم إلا من يكون متحريراً للعدل. والذي في صعدة وغيرها من اليمن لا شك في كونه قرشياً لأنه من ذرية الحسن بن علي فبقى الأمر في قريش بقطر من الأقطار في الجملة... إلى آخر ما في فتح الباري.

بعض ترجمته

في ترجمة فاطمة الزهراء بكتاب «الرياض المستطابة» بتراجم من روى في الصحيحين من الصحابة» للشيخ يحيى بن أبي بكر العامري الشافعي مانصه: الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن اسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، كان مولده -رضى الله عنه- بالمدينة ومنشؤه بالحجاز وتعلمه به وبالعراق وظهور سلطانه باليمن سنة ثمانية ومائتين للهجرة، وكان مجيئه إلى اليمن وقد عم بها مذهب القرامطة والباطنية فجاهدهم جهاداً شديداً، وجرى له معهم نيف وثمانون وقعة لم ينهزم في شيء منها، وكان له علم واسع وشجاعة مفرطة، وأقام على الجهاد ثمانى عشرة سنة ثم توفاه الله لعشر بقين من ذى الحجة سنة ثمانية وتسعين ومائتين للهجرة. وترجمه العامري أيضاً في كتابه «غربال الزمان في وفيات الأعيان» ترجمة جاء فيها قوله: الإمام الفاضل الكامل الصالح المصلح يُعرف بالهادي إلى الحق، كان خروجه إلى اليمن وظهور شوكته بها بعد أن استدعاه واليها أبو العتاهية وبايعه هو وأهل مملكته. ومن مصنفاته: كتاب «الأحكام» جمع فيه فروع، وصنف في الشرائع والأديان، وعظمت فضائله، ومات بصعدة بعد أن مهد البلاد وقوم أودها، ولما نعى إلى الناصر الحسن الأطروس القائم ببلاد الجليل والديلم قال: انهض ركن الإسلام ومن وقت الهادي إلى زماننا هذا سنة إحدى وستين وثمانمائة للهجرة لم تنقطع الإمامة من الشرفاء العلويين بجنال تهامة اليمن وأكثرهم من ذرية

الهادى ولهم نزلات إلى تهامة اليمن وفى «تاريخ دول الاسلام بالجداول المرضية» للسيد أحمد زينى دحلان مفتى الشافعية بمكة المكرمة إلى أول القرن الرابع عشر: الإمام الهادى إلى الحق يحيى بن الحسين بويج فى اليمن، وكان إماماً عالماً، وله تصانيف فى الفقه، وخطب له بمكة سبع سنين وتوفى باليمن سنة ثمانية وتسعين ومائتين للهجرة، وأكثر أئمة الزيدية الذين جاءوا بعده فملكوا اليمن من ذريته. إلخ.

وفى ترجمته بكتاب «الحدائق الوردية» للفقيه حميد الشهيد، وبطبقات السيد إبراهيم بن القاسم بن المؤيد أنه كان مشتغلاً بالعلم موصوفاً من صباه بالقوة والبأس والشدة والشجاعة. أما الزهد والورع فمما لا يحتاج إلى وصفه لظهوره عند المخالف والمؤلف وأما تقدمه فى العلم فاشتهاره يُغنى عن تفصيله، ومن أحب تفصيله فلينظر إلى كتبه وأجوبته على المسائل التى وردت إليه من البلدان، وتصانيفه فى فنون العلم. وأول تصانيفه وهو بالمدينة فى سبع عشرة سنة، وأهل اليمن وبعض أهل الجبل والديلم على مذهبه. ومن أشهر كتبه «الأحكام» ابتداء تأليفه بالمدينة إلى كتاب البيوع وخرج إلى اليمن وأملى بقيته على كل كاتب له باليمن حال فراغه من الجهاد، وقال أبو الحسن بن أبى حريصة فى ترجمة الأحكام: لقد سألنى غير واحد ما باله لم ينظمه نسقا واحداً أو يتبع كل فن بفنه؟ فأجبتُه إن عذره وأمره أشهر من أن يذكر إذ كان جليس فرسه وضجيع سيفه ليلاً ونهاراً فى إحياء دين الله والجهاد وكلما وجد فينة انتهاز الفرصة لإثبات الفصل من كتابه. وعليه وعلى كتابه المنتخب اعتماد الهدوية فى الفقه. وهو واسطة العقد فى بنى الحسن والمشار إليه فى علمى الفرائض والسنن، وناعش الملة الإسلامية بأرض اليمن، وله مع القرامطة نيف وتسعون وقعة كانت له اليد فيها عليهم. ومنها ليلة تشبه ليلة الهرير مع جده على بن أبى طالب -كرم الله وجهه- وفتح صعدة ونجران وخيوان وصنعاء وذمار وجيشان، وبعث عماله إلى عدن، ودوخ ملوك اليمن، وطرد العباسية وأنصارهم من صنعاء ومخاليف اليمن، ونزل إلى تهامة بعد أن حلف له رؤساؤها على الطاعة ثم غدروا به وقتلوا طائفة من جنده، وبقي فى عدد يسير من أصحابه ثم قتل جماعة من أهل تهامة، وإليه وصل ذو الفقار سيف جده على بن أبى طالب، وكان يضرب به. وقال فى بعض وقائعه وضرباته به

فى مدينة ريدة البون وقد انهزم عنه أصحابه وثبت فى وجه عدوه حتى رجع إليه أصحابه .

الخَيْلُ تَشْهَدُ لى وَكُلُّ مُثَقَّفٍ ..
حَقًّا وَيَشْهَدُ ذُو الْفِقَارِ بَأَنِّى ..
عَلَا وَنَهَلًا فى المَوَاقِفِ كُلِّهَا ..
حَتَّى تَذَكَّرُ ذُو الْفِقَارِ مَوَاقِفًا ..
جَدِّى عَلَى ذى الْفَضَائِلِ وَالنُّهَى ..
صِنُو النَّبِىِّ وَخَيْرُ مَنْ وَطِئَ الثَّرَى ..
بِالصَّبْرِ وَالْإِبْلَاءِ وَالْإِقْدَامِ .
أُرْوِيتُ حَدِيثَهُ نَجِيعَ طِغَامِ .
طَلَبًا بِثَأْرِ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ .
مِنْ ذى الْأَيْدَى السَّيِّدِ الْقِمَقَامِ .
سَيْفُ الْإِلَهِ وَكَاسِرُ الْأَصْنَامِ .
بَعْدَ النَّبِىِّ إِمَامٌ كُلُّ إِمَامِ .

ذو الفقار

ذو الفقار سيف سليمان بن داود أهدته له بلقيس مع ستة أسياف يمنية، ثم وصل إلى العاص بن منبه بن الحجاج فقتله على -عليه السلام- يوم بدر كافرًا وأخذ ذا الفقار وقيل: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا على، ثم كان مع الإمام محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على فى محاربته لجيش أبى جعفر المنصور سنة خمس وأربعين ومائة للهجرة بالمدينة، ثم أخرجه الهادى إلى اليمن وقاتل به كما فى أشعاره، ثم صار إلى الإمام محمد بن المطهر بن يحيى المتوفى سنة ثمان وعشرين وسبعمائة للهجرة وقال فيه:

أنا ابن مُطَهَّرٍ وَأبى عَلَى ...
وَجَدِّى أَحْمَدُ مَجْدٌ تَسَامَى
وفى يُمْنَاى ذُو الْفَقَرَاتِ عَضْبٌ ...
حُسَامٌ ثُمَّ حَسْبُكَ حُسَامًا

وقال ابنه الإمام الوائق المطهر: إن في إحدى صفحتي ذى الفقار تسع فقرات وفي الأخرى ثمان وهي حُفر ملوذة لوحطٌ في إحداها لوزة لكانت ملأتها، وأنها قد طليت هذه الحفر بالذهب، وأنه لا يزيد في الطول على السيوف المعتادة إلا بنحو أربع أصابع، وليس بالعريض وفي متنته ما يشبه العمود الذى فى الخنجر. وبلغ السلطان المجاهد على بن داوود بن يوسف الرسولى خبره فبقى مغرمًا به فاحتال فى طلبه من السيد أحمد بن الإمام محمد بن المطهر لينظره ويرجعه، وبعد وصوله إليه قبضه وأرسل إلى السيد أحمد ألف دينار ثم حلاه وجمل عليه من الجواهر ما يساوى مائة ألف دينار، وكان لا يفارقه إلى أن حج وكان أسره من عرفات ونهب خزائنه وضبطه إلى مصر سنة إحدى وخمسين وسبعمائة للهجرة فكان ذو الفقار من المنهوبات عليه فى عرفات، ولم يعلم بعد ذلك من أخذه من «تاج العروس» و«ابن خلكان» و«اللالى المصونة» للشرفى و«ذيل الحقائق الوردية».

مِنْ حِكْمِهِ وَنَصَائِحِهِ

أصل الخشية لله العلم، وفرع الخشية الورع، وفرع الورع الدين، ونظام الدين محاسبة المرء نفسه، وآفة الورع تجويز المرء لنفسه الصغيرة من فعله، ومن أراد أن لا تفارقه نعم الله فلا يفارق شكر الله، ومن أراد أن ينظر ماله عند الله فلينظر ما لله عنده، ومن كفى الناس مؤنة نفسه كفاه الله مؤنة غيره، ومن نظر إلى نفسه بغير ما هو فيه فقد أمكن الناس من الطعن عليه، ودواء الخوف من عذاب الله العمل بطاعته والترك لمعاصيه، ودواء الجهل التعلم، والعلم مصباح فى صدور العلماء زيتة الورع وذبالته الزهد، والورع والمكالبة على الدنيا لا يجتمعان أبداً كما لا يجتمع فى إناء واحد النار والماء، ومن اشتدت رغبته فى الدنيا طلب لنفسه التأويلات الكاذبة، ومن طلب التأويلات تقحّم فى المهلكات وكان عند الله من أهل الخطيئات، وصاحب الدنيا الراغب فيه كالحسود لا يستريح قلبه من الغم أبداً، ولا يخلو فكره من الهم أصلاً، ولو أعطى منها كل العطاء، والحلم مع الصبر ولا حلم لمن لا صبر له، وعروق الحكمة

التي تضرب في الصدور هي طاعة الله، ولا تثبت الحكمة إلا مع الطاعة، ومن عدم الحكمة عدم النعمة، والحكمة كالشجرة عروقتها الطاعة وثمرتها البلاغة، وأصل البر اللطف، وفرعه النصفة، وأصل العقوق قلة النصفة، وفرعه الجفاء، وأصل الحمق قلة العقل، وفرعه العجب بالنفس، وقال صارم الدين الوزير في «البسامة» في ذكر الهادي:

وفي إمام الهدى الهادي المتوج بالعلياء أكرم داع من بنى مضر

مَنْ خُصَّ بِالْجَفْرِ مِنْ أَبْنَاءِ فَاطِمَةَ	وَذَى الْفِقَارِ وَمَنْ أَرَوَى ظَمَى الْفَقْرِ
وَصَاحِبِ الْمَذْهَبِ الْمَذْكُورِ فِي الْيَمَنِ	الْمَشْهُورِ مِنْ غَيْرِ لَا إِفْكَ وَلَا نُكْرَ
وَفِي ابْنِ فَضْلِ وَمَنْ لَبَّى لِدَعْوَتِهِ	وَفِي مُسَوَّدَةٍ تَدْعُو إِلَى سَقَرٍ
قَضَتْ بِتَسْعٍ مَعَ تِسْعِينَ مَعْرَكَةً	غُرَّ كَبْدَرٍ وَأَوْطَاسٍ وَكَالْنَهْرِ
قَضَىٰ بِهَا نَخْبَةَ أَسَدِ غَطَافِهِ	مَضَوْا وَأَشْيَاعَ صَدَقَ مِنْ بَنَى الطَّبْرِ
سَائِلَ شَبَاماً وَصَنْعَاءَ وَصَعْدَةَ مَعَ	نَجْرَانَ عَنْهُمْ وَسَفْحَ الْقَاعِ مِنْ عَصْرِ
تَخْبِرُكَ عَنْ ضَرَبَاتِ مِنْهُ قَاطِعَةَ	قَدَّتْ دُرُوعاً وَأَوْدَتْ كُلَّ ذِي صَعْرِ
وَسَلَ بَنَى يَعْفُرُ عَنْهُ وَكَنَدَتْهُمْ . .	. وَغَلَبَ هَمْدَانُ وَالْأَحْلَافُ مِنْ مَطَرِ
وَفِي «شُرُوحِ الزَّحِيفِ» وَابْنِ مَظْفَرٍ وَالشَّرْفِيِّ عَلَى «الْبَسَامَةِ» الشُّرُوحَ الْكَامِلَةَ لِهَذِهِ	
الْأَبْيَاتِ .	

سيرته الخاصة

للإمام الهادى سيرة خاصة فى مجلد ضخيم جمعها من أعيان أصحابه الملازمين له السيد على أبى جعفر بن محمد بن عبيد الله العلوى اليمنى من رواية محمد بن سليمان الكوفى. مما فيها وفى غيرها أنه سار جماعة من أهل اليمن إلى الإمام الهادى إلى الحجاز يطلبون خروجه اليمن، فخرج سنة ثمانين ومائتين للهجرة إلى صعدة ثم إلى بلاد صنعاء، حتى وصل إلى الشرفة بنى حشيش ونَهَمَ، ولما تحقق من بعضهم عدم التوقف على الشريعة، وأن بعضهم غصب خوفاً على بعض الرعية؛ رجع وقال: لا أكون كالمصباح الذى يضيء غيره ويحرق نفسه، والله ماهى إلا سيرة محمد أو النار. وبعد أن رجع إلى الحجاز عَظُمَتِ الشدة والفتنة فى اليمن فعاد أهل اليمن لمراسلته إلى الحجاز حتى أسعفهم بخروجه ثانياً فوصل فى صفر سنة أربع وثمانين ومائتين للهجرة.

مما جاء فى كتاب دعوته

أيها الناس اعلّموا أنى أدعوكم إلى ما أمرنى الله به، أدعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وإلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فمآجنا منهما اتبعناه، وما نهانا عنه اجتنبناه وإلى أن تأمر نحن وأنتم بالمعروف ونفعله، وننهى نحن وأنتم عن المنكر جاهدين ونتركه. أيها الناس إنى اشترط لكم على نفسى الحكم بكتاب الله وسنة نبيه والأثرة لكم على نفسى فيما جعله الله بينى وبينكم أوثركم ولا أفاضل عليكم، وأقدمكم عند العطاء قبلى وأتقدم أمامكم عند لقاء عدونا بنفسى، وأشترط لنفسي عليكم اثنتين: النصيحة لله - سبحانه - ولى فى السر والعلن، والطاعة لأمرى فى كل حالاتكم ما أطعت الله فيكم فإن خالفت طاعة الله - عز وجل - فلا طاعة لى عليكم وإن ملئتُ عن كتاب الله فلا حجة لى عليكم هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين.

عدالته

وكان يقول: ليس الإمام من احتجب عن الضعيف في وقت حاجة مُلحة. وكان يأمر كل واحد من عماله بصرف الربع مما يجمعه في الفقراء من أهل بلده ويقول: إن وسع الله علينا تركنا لهم النصف، وإن أغنانا الله بما يحتاج إليه المجاهدون تركنا لهم الجميع وعممنا به جميع المستحقين. ويقول: والله ما أكلت مما جبيت من اليمن لقمة وما أنفق إلا من شيء جئت به من الحجاز.

وكان يطوف بنفسه في الأسواق والشوارع، ويتفقد ما فيها من المنكرات، ويدخل الحبس ويتفقد من فيه بنفسه، ويأمر بِقَمَّة وتظيفه، وكان يجعل للمحبوسين فيه قيوداً بإقفال، ويأمر بفتحها في أوقات الصلاة.

وكان جالساً يوماً ينظر فيما يرفع إليه من المظالم وغيرها حتى سئم وغلبه النوم فدخل منزلاً لينام فيه ثم خرج سريعاً فليل له في ذلك فقال: خفت أن أنام عنهم ولعل منهم مظلوماً. وكان يقف على أهل كل بضاعة فيأمرهم بأن لا يغشوا بضائعهم، ويأمرهم بتنقيتها من الغش، وتسعير ما يبيعونه. فليل له: أليس التسعير حراماً؟ فقال: أوليس الظلم والغش حرامين؟ وقال إنما نهى عن التسعير على أهل الوفاء وأهل التقوى، فإذا ظهرت الظلامات في السبوع وجب على أولياء الله أن ينهوا عن الفساد كله، ويردوا الحق إلى مواضعه ويزيحوا الباطل من مكانه، ويأخذوا على يد الظالم في ظلمه.

وقال محمد بن سليمان الكوفي: كنت أقبض ليحيى بن الحسين زكاة أموال التجارة فيكون في البلاد تجار غرباء يتجرون وقيمون الأشهر فقلت له: جعلت فداك أما نأخذ الزكاة من أموالهم؟ فقال: إن أخذنا منهم زكاة وجب علينا أن نحوطهم حيث كانوا في بلادنا وغيرها. فلم يأخذ منهم شيئاً.

وقيل له: إن لم تأخذ إلا العشر مما بلغ خمسة أوسق لم يجتمع لك من ذلك إلا القليل فقال: إنه لا يحل لنا أن نأخذ إلا ذلك؟ وإنا لا نأخذ ما لا يجوز لنا أخذه.

وكان إذا طاف بعسكره في فجران وغيرها أخذ عليهم أن لا يدخلوا الزرع، ولا يفسدوا

على الناس ثمارهم، ويشدد عليهم فى ذلك فإذا كان الليل قال لبعض أصحابه: هل رأيت أحداً من العسكر تعرض لشيء من ثمار الناس أو أفسدها؟ فيقول: لا. فيقول: الحمد لله كثيراً.

ولما أتى إلى بطنه حجور تلقاه أهلها بالسمع والطاعة، فنزل بموضع بالقرب من القرية فجاء أهلها وعرضوا عليه العلف للدواب فامتنع، فعادوه فى ذلك وقالوا: نحن نجعل العسكر فى حل وفى سعة مما يفعلون؛ فأبى ذلك ولم يقبل منهم علفاً ولا غيره.

ولما أهدى إليه الحكمى الذى أراد مولاته هدايا من طعام وغيره مما يحتاج إليه؛ رد تلك الهدايا جميعها ولم يستجز قبولها. وقال: هذا رجل ظالم ولعل هذه الهدايا أخذها من أموال الرعية.

ووثبَ رجل من رؤساء قبيلة شاعر على عماله فى «ضاه» وأخذ منهم مفتاح بيت المال وطردهم، فسار إليه الهادى بنفسه إلى «ضاه» فوجده قد هرب، فأمر بهدم داره ووقف بنفسه على طعام الرجل وتمره فلم يؤخذ على صاحبها حبة ولا تمرة.

ولما أوقع بأهل أثافت بعد محاربتهم إياه وهروبهم من ديارهم بلغه أن بعض العسكر أخذوا من ديارهم شيئاً من الأثاث، فغضب لذلك أشد الغضب، واحتجب عن العسكر، وهمَّ باعتزال الأمر وقال: لا يحلُّ لى أن أقاتل بمثل هؤلاء؛ فتابوا مما فعلوا وردّوا جميع ما كانوا أخذوا.

ولما كان بصنعاء فى حرب بنى يعفر الخوالين وعبيدهم آل طريف احتاج إلى نفقة للعسكر المجاهدين، وطلب من تجار صنعاء أن يقرضوه قرصاً فامتنعوا، فارتحل عنهم ولم يكرههم على القرض مع تسويق الشريعة إكراههم على ذلك فى مثل تلك الحال للاستعانة بخالص المال عند الضرورة الملجئة إلى ذلك كما هو معروف، ولكن ترك ذلك تورعاً واحتياطاً.

أخلاقه . عمره . وفاته . أولاده

كان يُمرّضُ أصحابه، ويداوى جرحاهم بيده، ويعود مريضهم بنفسه، وأخبار ورعه وتواضعه وعفته وفضائله كثيرة حتى مضى محمود الأثر زاكياً العمل لم يخلف ديناراً أو درهماً ولا أثاثاً ولا عقاراً. وكانت وفاته بصعدة فى نهار الأحد عشرين ذى الحجة سنة ثمان وتسعين ومائتين للهجرة عن ثلاث وخمسين سنة من مولده وثمانية عشرة سنة من خروجه الأول لليمن، ودُفن جنوبى جامع صعدة. وأولاده محمد المرتضى وأحمد الناصر والحسين وفاطمة وزينب.

حوادثه وإصلاحاته

عقب وصوله الثانى إلى صعدة فى صفر سنة أربع وثمانين ومائتين للهجرة حَسَمَ مادة الفتنة بين قبائل حولان الشام، وأصلح شأنهم، وأمر بتفريق ربع الزكاة فى الفقراء والمساكين والأيتام وبقي أياماً بصعدة، ثم نهض جنوباً وحرص الناس على الجهاد فى سبيل الله، وفى جمادى الآخرة سنة أربع وثمانين ومائتين للهجرة سار إلى وادى نجران فى جموع كثيرة من قبائل حولان وغيرهم إلى وادى نجران؛ فاستبشرت به قبائل وادعة ويام وشاكر والأحلاف، واستقبلوه وباعوه والباعث لهم على ذلك ما كان بينهم وبين بنى الحارث أهل نجران من الحروب والأهوال، فسار بهم إلى نجران فتلقاته بنو الحارث فأصلح بينهم وبين أعدائهم، وأخذ عليهم الموائيق الأكيدة بالاتفاق وترك الشقاق وباعه القوم جميعاً، وصلحت الأمور لهم على يديه، ثم نصب عاملاً بنجران السيد الفاضل الكامل أحمد بن محمد العلوى وسار إلى هجر فأقام بها حتى سكنت الفتنة فيها، وتقررت قواعد الصلح، ورجع فى شوال إلى صعدة، ووضع عهداً لأهل الذمة من نصارى نجران وغيرهم، وجعل عليهم فيما شروه من المسلمين التسع ولا شىء عليهم فيما شروه من الجاهلية، وقرّهم على الجزية فى نجران وصعدة وسائر ما فتحه من البلاد.

الحرب فى برط

فى صفر سنة خمس وثمانين ومائتين للهجرة سار الهادى إلى قبائل برط، وهو جبل كبير سكانه من همدان، وكانوا قد أحدثوا أحداثاً، وظنوا أنه لا يقدر الهادى على جبلهم لصعوبته وتحصنهم به وقلة عدد أصحاب الهادى، ولم يكن معه إلا ثمانين من الفرسان ودون ثلاثين راجلاً. ولما قرب من بلادهم حالوا بينه وبين الماء ومنعوه الطريق فدعاهم ووعظهم؛ وكان لا يحارب قوماً إلا بعد أن يدعوهم إلى الحق ويحذرهم وينذرهم، ومما قاله لهم: يا قومنا بيننا وبينكم كتاب الله أطيعونا ما أطعنا الله، فإن عصيانه فلا طاعة لنا عليكم، فإن لم تطيعونا فخلوا بيننا وبين الماء لنشرب ونظهر؛ وكان قد أضرب به وبأصحابه العطش؛ فلم يلتفتوا إلى كلامه ورموه بالنبل فأصابه سهم وجرح بعض أصحابه؛ فحمل عليهم حملة صادقة، ومنحه الله النصر، فقتل منهم ثلاثة وجرح جماعة وأسروا آخرين وانهزم بقيتهم، فتبعهم أصحابه فسلبواهم وهموا بقتلهم فنهاهم عن قتلهم وقال: ليس لهم فئة يرجعون إليها، ولما رأوا ما نزل بهم طلبوا الأمان فأمنهم فبايعوه، وسألوه إطلاق وإرجاع أسراهم وسلبهم فأجابهم إلى ذلك تأليفاً لهم. وأقام ببرط ثلاثة أيام لم يطلب فيها منهم شيئاً حتى تعب أصحابه وأكلت خيلهم الشجر، فرجع إلى صعدة واستتاب على قبائل برط عبد العزيز بن مراون النجرانى، فقبض من أعشارهم خمسة آلاف فرق.

الحرب فى وشحة وغيرها

فى ربيع الآخر سنة خمس وثمانين ومائتين للهجرة ورد إليه كتاب من أبى جعفر محمد بن عبيد الله العلوى عامله على وشحة يذكر فيه أن أبادغيش الشهابى قد جمع كثيراً من الرجال، ومنع عن تسليم الواجبات، فبعث الهادى أخاه عبد الله بن الحسين إليهم، فأنذرهم فأبوا فحاربهم، وكانت الدائرة عليهم، ونهب الجند القرية، فنهاهم عبد الله، وأمن أهل القرية وقبض صدقاتهم، ثم أعطى الربع منها مساكينهم، ووصل أهل القرية بالسدس من صدقاتهم عوضاً عما فاتهم فى الحرب.

الإيقاع بالشوكانى بنجران

فى جمادى الأولى سنة خمس وثمانين ومائتين للهجرة سار الهادى إلى نجران بعساكر كثيرة فنزل قرية شوكان، وطلب صاحبها خبيش الوادعى الذى قطع هو وعشيرته الطريق، وقتلوا فيها رجلاً وأخذوا عليه نحو ألف دينار، فامتنع عن الوصول، وعن رد المال المنهوب، وعن الإنصاف، فأمر الهادى بقطع نخله وعنبه وهدم منزله ثم مات خبيش بعد ذلك.

حرب أصحاب الدعام

فى سنة خمس وثمانين ومائتين للهجرة وصلت كتب من الدعام بن إبراهيم إلى الهادى يسأله أن يوليه الجهة التى هو فيها فلم يسعفه بمطلبه؛ بل قال: لا ولا ساعة إلا أن يحكم بكتاب الله وسنة رسوله كما أمر الله. وكان الدعام عاملاً لبنى يعفر الحوالين على بلاد الجوف وما إليها، ثم خالفهم وتغلب على البلاد، فسار الهادى إلى مدينة خيوان فتلقته قبائل تلك الجهات ولبث إلى شعبان، وسار إلى الحَضَن من وادعة، ثم سار إلى أثافت ووصل إليه أهل قرية بيت زود شاكين من الدعام وأصحابه، وأنهم يشربون الخمر ويرتكبون الفجور حتى أن بعضهم اغتصب جارية عذراء فافترضها وقتل أباهما وأن الدعام لم ينكر ذلك، فأمر الهادى من يقوم بالأمر، ثم رجع إلى خيوان فاستقر فيه حتى بلغه فى رمضان أن الدعام قد خرج فى عسكر عظيم يريد بلاد البون، فظن الهادى أنها مخادعة منه وأنه سيقصد أثافت، فبعث إليه عبد العزيز بن مراون النجرانى وتبعه الهادى إلى أثافت ثم خرج منها إلى سربكيل، وأراد المسير إلى بيت زود فبلغه أن الدعام يريد طلوع الجبل، فثنى عزمه عن بيت زود وقصد رأس الجبل فعاد الدعام إلى قرية حمدة بالبون، وتقدم الهادى إلى بيت زود وأمر بحفظ النقىل، ثم انتقل إلى قرية ضحيان فصرخ صارخ من النقىل أن الدعام قد دخل بيت زود فسار الهادى إليه فلم يجد الدعام، وسار لمحاربه فوافاه فى نجد الضبر، وحين اقترب الجمعان أمر الهادى بالتعبئة وجعل خولان وحمدان فى الميمنة، وأهل بيت زود والبون فى الميسرة، وبنى صريم وبنى ربيعة فى القلب، وقال لرجل

من أصحاب الدعام: امض إليه وقل له يقول لك الهادى علام تُقتل العرب فيما بينى وبينك ابرز إلى فإن قتلتنى استرحت منى وإن قتلتك استراح الناس منك، فكره ذلك الدعام فأرجع الهادى إليه رسولاً يعظه وينهاه، وما زالت الرسل تختلف بينهما حتى دنت ميمنة الهادى من ميسرة الدعام فتنابزوا بالكلام وافتتح القتال فقتل رجل من أصحاب الهادى وآخر من أصحاب الدعام، وأمر الهادى أصحابه بالكف عن القتال، وتكررت المراسلة بالصلح حتى ثبت وخرج الدعام إلى الإمام وحلف له على الطاعة واختلط الفريقان وعاد الهادى إلى بيت زود والدعام إلى حمدة. ثم سار أرحب بن الدعام إلى أثافت فى جماعة من همدان، فخرج عليهم رجل يسمى أبا عمرو فى طائفة معه يسيرة فقاتلهم وتكاثروا عليه فقتلوه ودخلوا قرية أثافت، ولما بلغ الدعام فعل ابنه وأصحابه استنكره فى ظاهر الأمر، وسار إلى أثافت فأقام بها، وسار الهادى إلى محل شوط وجمع القبائل وشاورهم فى حرب الدعام فأجمع رأيهم عليه، وسار الهادى إلى قريب أثافت وخرج الدعام وأصحابه فوق القتال وكانت جراحات فى كثير من الطرفين، وكان الدعام قد أخرج أثقاله من أثافت، ثم خرج فى مائتى فارس وألفى راجل، ولم يكن مع الهادى إلا ثلاثون فارساً وسبعمائة راجل، والتحم القتال حتى انتهت المعركة بانهزام أصحاب الدعام وولوا مدبرين، ودخل جماعة من بنى صريم - أصحاب الهادى - أثافت فانتهبوها فأنكر عليهم الهادى أشد الإنكار وهم بالخروج من اليمن فلم يزل بعض الأعيان يترضاه ويعتذر للفاعلين فلم يقبل ذلك الهادى حتى أرجعوا جميع ما أخذوه من أثافت.

اسحاق الدبرى المحدث

فى سنة خمس وثمانين ومائتين للهجرة توفى مسند اليمن ومحدثه القاضى إسحق بن إبراهيم الدبرى السخانى اليمنى أفاده الحافظ الذهبى فى آخر ترجمة إبراهيم الحربى بالتذكرة، وأفاد فى الميزان أنه عاش إلى سنة اثنين وثمانين ومائتين للهجرة وهو من مشائخ الشافعى وإياه أراد بقوله:

لا بد من صنعا وإن طال السفر لطيبها والشيخ فى هجرة دبر

الإيقاع بالشوكانى بنجران

فى جمادى الأولى سنة خمس وثمانين ومائتين للهجرة سار الهادى إلى نجران بعساكر كثيرة فنزل قرية شوكان، وطلب صاحبها خبيش الوادعى الذى قطع هو وعشيرته الطريق، وقتلوا فيها رجلاً وأخذوا عليه نحو ألف دينار، فامتنع عن الوصول، وعن رد المال المنهوب، وعن الإنصاف، فأمر الهادى بقطع نخله وعنبه وهدم منزله ثم مات خبيش بعد ذلك.

حرب أصحاب الدعام

فى سنة خمس وثمانين ومائتين للهجرة وصلت كتب من الدعام بن إبراهيم إلى الهادى يسأله أن يوليه الجهة التى هو فيها فلم يسعفه بمطلبه؛ بل قال: لا ولا ساعة إلا أن يحكم بكتاب الله وسنة رسوله كما أمر الله. وكان الدعام عاملاً لبنى يعفر الحوالين على بلاد الجوف وما إليها، ثم خالفهم وتغلب على البلاد، فسار الهادى إلى مدينة خيوان فتلقته قبائل تلك الجهات ولبث إلى شعبان، وسار إلى الحَضْن من وادعة، ثم سار إلى أثافت ووصل إليه أهل قرية بيت زود شاكين من الدعام وأصحابه، وأنهم يشربون الخمر ويرتكبون الفجور حتى أن بعضهم اغتصب جارية عذراء فافتضها وقتل أباهما وأن الدعام لم ينكر ذلك، فأمر الهادى من يقوم بالأمر، ثم رجع إلى خيوان فاستقر فيه حتى بلغه فى رمضان أن الدعام قد خرج فى عسكر عظيم يريد بلاد البون، فظن الهادى أنها مخادعة منه وأنه سيقصد أثافت، فبعث إليه عبد العزيز بن مراون النجرانى وتبعه الهادى إلى أثافت ثم خرج منها إلى سربكيل، وأراد المسير إلى بيت زود فبلغه أن الدعام يريد طلوع الجبل، فثنى عزمه عن بيت زود وقصد رأس الجبل فعاد الدعام إلى قرية حمدة بالبون، وتقدم الهادى إلى بيت زود وأمر بحفظ النقييل، ثم انتقل إلى قرية ضحيان فصرخ صارخ من النقييل أن الدعام قد دخل بيت زود فسار الهادى إليه فلم يجد الدعام، وسار لمحاربتة فوافاه فى نجد الضبر، وحين اقترب الجمعان أمر الهادى بالتعبئة وجعل خولان وحمدان فى الميمنة، وأهل بيت زود والبون فى الميسرة، وبنى صريم وبنى ربيعة فى القلب، وقال لرجل

الطاعة، وأقام الهادى بخيوان ونواحيها.

مسير الهادى إلى نجران وإيقاعه بالمفسدين

فى ثالث ذى الحجة سنة ست وثمانين ومائتين للهجرة سار الهادى من صعدة إلى نجران فأوقع بالمفسدين الغادرين بأخيه ومن معه وقعات شديدة، وفرّ قائدهم ابن بسطام إلى قبائل شاكر من همدان، وعاد فى جموع منهم ومن بنى الحارث أهل نجران، وقصدوا الهادى إلى القرية التى هو فيها، فقاتلهم هو وأصحابه فى شوارع القرية وقتل بيده جماعة منهم، وفر بقيتهم إلى جبل الأخدود، وأمر الهادى بالعفو عن الجرحى والمنهزمين، وأقام ثلاثة أيام بالقرية، وأمر بدفن جثث القتلى، وكتب إلى ابنه محمد بخيوان قصيدة منها:

طرقت لعمرك زاهر مولاه	والحرب مسعرة تشب لظاها
هلا سألتى تخبرى إن لم ترى	إذ سار يطلب مهجتي أعداها
لاح الصباح وأبرقوا بكتيبة	شهباً تدفق خيلها وقناها
حمى الوطيس وفى قناتى لهزم	مثل الشرارة زر فى أعلاها
أو ما يسرك ان ترين عداتنا	والسمر تنفت قودها وكلاها
والبيض تفلق هامهم وحماتهم	قتلى سنابك خيلنا تذرأها
ما كان إلا نطحة فتراكبت	أولى كتابتهم على أخرأها
إنى بمن الله فى نصر له	أرجو جنانا دائماً مأوأها

فأجاب ولده محمد المرتضى بقصيدة تزيد على ثلاثين بيتاً منها:

النفس حلف مؤرق أشجاها	عن ذكر كل خريدة وبهاها
إنى وإن جهل النواصب ديننا	واجتز حبل عداوتى أشقاها

متزعم بكتيبة ألقاها

حتى أمازج بالطبى ظلماها

فوق النمارق يستلذ وطاها

يغشى العيون دلاصها وقناها

قبحت مقاتلتها ومن يهواها

جدى وأهوى صرّمها وقلاها

لا تستكين الحرب من ناصاها

والباذلون من الهدى أهداها

سبل الصلاح برغم من يلحها

متحمل في الله كل عزيمة

أصلى الأ سنة مهجتي وأخوضها

الطعن أحلى عندنا من سلوة

ولقاي منصلتاً بكل كتيبة

خير من القينات تسمع مترفاً

إنى لأبغض ذكرها لأ كون مع

إنى لأكرم نبعة من هاشم

الوارثون من النبی مقامه

والموضحون لكل أمة أحمد

وقال الهادي قصيدة منها:

لا تلمنى فلست للوم أهلاً

لا نمل اللقا إذا النكس ملا

الخيل إذا النكس بالصبح تسلا

واستعاضت شم المعاطس خلا

قبل رفض النساء ورب المصلى

لا تلمى في اللقاء في الحرب مهلاً

إننا معشر الفواطم قوم

سلوتى في الطراد فوق ذرى

أنا يحيى إذا الوطيس تلظى

يا بنى حارث بن كعب هلمو

وقصيدة منها:

وفيه وفي تصريفه تُعمل الفكرُ

بأبيض مطرور الطبى صارم الذكرُ

فأفسدهم عفوى فبعداً لمن كفرُ

إلا إن في هذا من القول معتبر

نهضت بحق الله أضرب دونه

غفرت لمن أخطأ وبين عذره

وما نقموا منى سوى أن دعوتهم
 وأوليتهم نصحى فلم يقبلوا له
 فممنهم فريق فى جهنم فَلَقَتْ
 وآخر منهم هارب بمذلة
 إلى كل تنزيل من الحق فى السور
 ولم ينظروا فيما به ربهم أمر
 جماعهم بالبيض فى فرية الهجر
 وخزى وهذا هو الجزاء لمن غدر
 وقال عبدالله بن الحسين أخو الهادى فى ذلك قصيدة منها:

طاب نومى وانجلى عنى الأرق
 إذ رأيت الخيل تردى بالقنا
 ورجال كلهم ذو نية
 وإمام العدل فى أولهم
 ثم من بعد شجاء للعدى
 ولما عزم الهادى على الخروج من نجران أمر باجتماع بنى الحارث وذكرهم بالله
 ووعظهم وخوفهم وأعلمهم أنه قد ولّى عليهم رجلاً بمنزلة نفسه وهو أبو جعفر محمد
 بن عبيد الله العلوى، وكان قبل ذلك عاملاً له على صعدة. وانتقل الهادى إلى
 صعدة فى آخر جمادى الأولى سنة سبع وثمانين ومائتين للهجرة.

سنة سبع وثمانين ومائتين للهجرة حرب الأكيليين بعلاف وغيره

بعد وصول الهادى من نجران إلى صعدة فى جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين ومائتين
 للهجرة أعلن الفساد أحمد بن عباد الأكيلى وبنو كليب ومن إليهم وقصدوا الهادى
 بالحرب ثم انحازوا إلى حصنين لهم يقال لأحدهما «علاف» وللآخر «التور» فأمر
 الهادى بهدم منازلهم وقطع أعنابهم إلا المستضعفين منهم وقتل ثلاثة من أصحاب
 الهادى وخمسة من الأكيليين ثم طلبوا منه العفو عنهم وتأمينهم فأمنهم إلا ابن عباد

فسار ذليلاً حقيراً ثم قال الهادي قصيدة منها:

صعب الزمان على فاستصعبت إذ	صعب الزمان وليس مثلى يخضع
والله ربي والنبي فوالدي	والله يحفظني وعني يدفع
حسبي الإله ونيتي وبصيرتي	والرمح فيه شبه نار تلمع
فلعلني أوطى السنايك عنوة	مدر العراق ومن بها يترفع
وقصيدة منها:	

نام خدن الحرب من بعد الأرق	واستلذ العيش من بعد شرق
وغشنا عسكر الفسق فلم	نبق منهم من جديد وخلق
أحكموا درب علاف وحموا	فاستبحنا الدرب واندق الفلق
ذاك بالرحمن نلناه ومن	وفق الله له العز اتفق
قد غشناهم فولوا هربا	وطحناهم فما فيهم رmq
جهلوا ربي فظنوا أنه	أكلهم خبز النصارى بالمرق
نحن جند الله في الأرض وقد	رعد العز علينا وبرق

سنة ثمان وثمانين ومائتين للهجرة

تسليم أبي العتاهية إلى الهادي صنعاء وما إليها

تقدم في سنة ست وثمانين ومائتين للهجرة ذكر إرسال أبي العتاهية لأخيه جراح بن بشر في خمسين فارساً إلى الهادي لإعائه. وفي محرم سنة ثمان وثمانين ومائتين للهجرة طلب الهادي من عامله على نجران محمد بن عبيد الله العلوي أن يرسل إليه عصابة من الفرسان وجموعاً من العسكر، فأرسلهم مع ابنه على بن محمد ثم جمع

الهادى عصابة وافرة من خولان الشام، وأقام فى صعدة أحمد بن محمد العلوى العباسى، وسار الهادى فتلقيه بالعمشية الدعام بن إبراهيم، ثم سار الهادى فى الجموع إلى أثافت ثم إلى قرية الحايه من همدان، وكان بعض السفهاء فى الحايه قد تعرض للحجاج فى طريقهم، فأمر الهادى بإيصالهم إلى حضرته وأوثقهم وسار بهم إلى خيوان، وفى تاسع محرم سنة ثمان وثمانين ومائتين للهجرة سار من خيوان إلى ريدة فاستبشروا بقدومه لما بلغهم من عدله مع ما قد لحقهم من المغارم والشدة من ولاية الجور فأسقط عنهم كل ما كان يؤخذ منهم بغير حق، ثم أمر الناس بالمسير معه وأظهر لهم أن أبا العتاهية قد سلم إليه البلاد التى كانت فى يد الدعام وهى بلاد البون والمشرق.

فضائع آل طريف والجفانم

كان أبو العتاهية قد جزم بتسليم الأمر وكل البلاد إلى الهادى وكان الكلام بينهما بصورة لم يعلم بها غيرهما لما يخشاه أبو العتاهية من بنى عمه آل طريف ومن على بن حسين جفتم وأصحابه من العجم الذين بصنعاء، وكان كل واحد من أمراء آل طريف والجفانم قد استولى على بلد فى اليمن يضع على أهله ما شاء ويتحكم فيهم كيف شاء، وكان إبراهيم بن خلف بعد أن استولى على بعض القرى فى جيشان قد نهبها وأباحها لمن كان معه من العسكر فسبوا من نسائها وباعوا بعضهم وأباح الفجور لأصحابه وكذلك آل طريف، وأما الجفانم الأعاجم فكان الرجل منهم يحمل الغلام من السوق للفسق وكذلك المرأة يحملها من الطريق وكان لهم الطنابير والغلمان ويأخذون أموال الناس عنوة ولا يقدر أحد على إنكار هذه المنكرات، فنظر أبو العتاهية أنه لا يخلصه من موبقات تلك المنكرات غير تسليمه البلاد للهادى. ثم سار الهادى من ريدة حتى وصل إلى قرية حدقان بالقرب من صنعاء وحينما علم أبو العتاهية بوصول الهادى إلى حدقان أمر أصحاب جفتم بالخروج إلى وادى السر وضم إليهم عبدالله بن الجراح فى نفر من آل طريف وأظهر لهم أنه يريد المسير إلى الهادى وأن يكونوا له

كميناً فى السر حتى يأتهم أمره ففعلوا وكان الهادى قد عبأ أصحابه وهم سبعمائة مقاتل وخمسون فارساً، وسار إليه أبو العتاهية فى نفر من أصحابه؛ فلما تراءى الجمعان أرسل أبو العتاهية إلى الهادى أن يلقاه فى نفر فالتقاه بنحو ثلاثين فارساً ولما قرب منه رمى أبو العتاهية رمحه وكشف رأسه ونزل عن فرسه فترجل له الهادى ثم قبل أبو العتاهية يد الهادى وجثا بين يديه وبايعه وحلف له على السمع والطاعة وكان أبو العتاهية فى أربعمائة فارس وعشرة آلاف راجل ثم دعا وزيره محمد بن عباد وغيره فبايعوا الهادى وكان يستحلفهم على السمع والطاعة، وتقارب العسكران واختلطا وسلم بعضهم على بعض ونزل الهادى فتوضأ فى غيل حدقان وصلى هو وابنه محمد المرتضى وأبو العتاهية صلاة العصر ثم قال أبو العتاهية للهادى وقد قرب وقت المغرب: امض على بركة الله تعالى إلى صنعاء، فقال الهادى: أونيبت ههنا فقال: لا إنى لا أحب المييت ههنا لما أحاذره من بنى عمى على صنعاء.

دخول الهادى صنعاء

ثم سار الهادى من حينه إلى صنعاء فدخلها ليلة الجمعة الثالث والعشرين من محرم سنة ثمان وثمانين ومائتين للهجرة وأبو العتاهية بين يديه حتى أدخله الدار التى يسكنها. ولما بلغ الجفاتم وعبدالله بن الجراح وآل طريف الذين بالسر دخول الهادى صنعاء أقبلوا بإسراع وأظهروا الكراهة لما فعله أبو العتاهية، ولما قربوا من صنعاء قال لهم إبراهيم بن خلف وجماعة ممن كان مع أبى العتاهية فى ظاهر الأمر: متى اشتغل الناس بصلاة الجمعة أترتم الفتنة بصنعاء. ولما كان الهادى على منبر جامع صنعاء يخطب أقبل الجفاتم وآل طريف وقد انضم إليهم العسكر الكثير ينهبون ويسلبون، وبعد أن أتم الهادى الخطبة والصلاة خرج إلى المخالفين فأوقع بهم وقتل ثلاثة منهم وأخرجهم من صنعاء.

وفى اليوم الثانى أمر الهادى بالعطاء للجند وسلم إليه أبو العتاهية جميع ما كان بيده من الأموال والإبل والبقر والخيول والسلاح والأثاث وكل ما قد جمعه من أموال

المسلمين فقبضها الهادى وأمر أبا العتاهية بالبقاء فى بعض أمره فقال: لا أريد ذلك وإنما أكون خادماً لك وبين يديك . ثم اعتزل أبو العتاهية فى منزل له كان قد عمره فوق صنيعة له ولبس الصوف وتزهد وقال: والله لو خرجت من هذا الأمر الذى كنت فيه بمسح ألبسه لرأيت أنه أصلح لى . ثم طلب الهادى أعيان أهل الفساد من العسكر وأخذ سلاحهم وسجنهم .

بعث الهادي عمّاله

إلى مخاليف صنعاء وعدن

ثم بعث الهادى عماله إلى مخاليف وسار فى صفر ومعه أبو العتاهية إلى شبام كوكبان، وقد أوصى العمال بتقوى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورفع عن الناس جميع المظالم، وأمر أن لا يؤخذ من الناس إلا ما أوجبه الله عليهم، ولا يتعدى حكم الله فيهم، ورجع إلى صنعاء وأبقى بشبام ولده محمد المرتضى فى جماعة من العسكر ثم سار الهادى فى بقية من صفر عن صنعاء إلى بئر الخولانى ثم إلى يكلى من بلاد الحدافعين فيها عاملاً من الطبريين وسار إلى قرية سمح ببلاد آنس فبقى بها ثلاثة أيام واستهل ربيع الأول وسار إلى ذمار ومعه أبو العتاهية وخلف بصنعاء أخاه عبدالله بن الحسين . ومن ذمار أرسل عماله إلى مخاليفها ودار فى بلاد عنس وما إليها ووعظ الناس وأعلمهم بما يجب عليهم، وسار الى الأحظوظ ثم منكث الخطيين، وهم بقية ملوك آل الصوار فى بلاد يريم وكانت الأحظوظ مناخ جماعة من الفساق والبغايا، وأقيمت الشهادة عند الهادى على رجل من أهلها كان يؤتى كالمرأة ويجمع بين الرجال والنساء للفسق فأمر الهادى بضرب عنقه، وسار إلى جيشان فولى عليها أبا عبدالله الرازى . وأرسل على بن ذركان الطبرى عاملاً على بندر عدن، ثم سار إلى إاث ببلاد رداع وولى عليها محمد بن أبى الزبير اليرسمى وقرر أمور تلك البلاد ثم رجع إلى صنعاء فى آخر ربيع الأول سنة ثمان وثمانين ومائتين للهجرة وطلب وصول أهله من الحجاز إلى اليمن .

ومرة ثانية خرج إلى شبام وخلف على صنعاء ابن عمه على بن سليمان بن القاسم وبقي بشبام إلى جمادى الآخرة، وأرسل من شبام ولده محمداً إلى بلاد همدان ولما عرف آل طريف قلة عسكر الهادى بشبام طمعوا فى رجوع الأمر إليهم فخرجوا إلى جبل ذخار (كوكبان) وحينما بلغ الهادى ذلك استخلف جماعة على شبام وخرج إليهم فخلفوه على شبام فدخلوها وقصدوا السجن فأخرجوا من فيه من أصحاب جفتم واستشهد فى شبام محمد بن عباد وزير أبى العتاهية فأمر الهادى طائفة من جنده بالمسير إلى القوم مع أبى العتاهية ومحمد بن الدَّعَام فزلوا إلى شبام وطردوهم عنها وقتلوا جماعة منهم.

ثورة أهل صنعاء وشبام على الهادى

ثم ثار بصنعاء ابن محفوظ وهاجم السجن بها وأخرج بعض من فيه وطرد عامل الهادى على بن سليمان عن صنعاء فثار عقيب ذلك أهل مخاليف صنعاء وأعادوا الخطبة للمعتضد العباسى؛ فلما علم الهادى بذلك عزم على المسير بأهله من شبام إلى بلاد الظاهر وطلب من فى السجن من آل يعفر وآل طريف منهم أسعد بن أبى يعفر وإبراهيم بن خلف وذكر لهم ما كان من استدعائهم له وحضهم على تقوى الله وأطلقهم. ولما أراد الخروج من شبام هم بأهلها فعطف عليهم ومعه أبو العتاهية وibat فى ريدة ثم سار إلى بيت زود وأرسل أهله إلى درب بنى صريم.

معارك فى ريدة البون

رجع الهادى من بيت زود إلى ريدة فقصده قائدان من آل طريف وهما أبو زياد وصعصعة بن جعفر فى عسكر عظيم ولم يشعر بهم أحد من أصحاب الهادى حتى هجموا ودخلوا ريدة فانهمز بعض أصحاب الهادى وثبت هو فى بقية من أصحابه وجالد القوم وحمل على أبى زياد وعسكره فهزمهم وأخرجهم عن ريدة، وحمل بقية

أصحابه على صعصعة وأصحابه فأخرجوهم وأيدهم الله بالنصر حتى هزموا جميع الأعداء وشتتوا شملهم وطاردوهم إلى قرية الفيل وتبعهم الهادي وقتل جماعة منهم، وكان معه في ذلك اليوم ذو الفقار فطاردتهم به، وقال الأبيات السابقة التي منها:

حقاً ويشهد ذو الفقار بأننى أرويت حديه نجيح طعام

وكان صعصعة بن جعفر الريدي يأكل أموال أهل البون ظلماً ويشرب الخمر فلما ولى الهادي على البون محمد بن عيسى التميمي غضب صعصعة وجمع خاصته وأعلن الفساد

معارك في شمال صنعاء

ورجوع الهادي إليها

فى خلال ما كان الهادي بريدة وصل إليه أبو العتاهية فى عسكر من همدان فسار عن ريدة إلى قرية مدر وأقام بها أياماً ووصل إليه من الحجاز صنوه عبدالله بن الحسين فى ثمانين رجلاً من مضر ثم سار الهادي نحو صنعاء ولما قرب منها خرج آل يعفر وآل طريف من صنعاء وشبام ووادي ضهر فى خمسمائة فارس وألقى راجل واجتمع مع الهادي إلى مائة فارس وستمائة راجل فلما التقوا عبأ الهادي أصحابه والتحم القتال، وحملت خيل القوم على أبى العتاهية ومن معه فعضدهم الهادي ومن معه فأصدقوا فى القوم الحملات وحكموا فيهم السيف وقتلوا رجالاً من أعيانهم حتى هزموهم وولوا الأدبار هارين، وتبعهم الهادي وأبو العتاهية وقتلوا رافع علمهم وجماعة، وطاردوا بعضهم إلى العرة، وفرقوهم فى الشُعاب وأخذوا من أسلحتهم وأسروا بعضهم، ورجع الهادي إلى بقية عسكره وسار بهم إلى صنعاء فدخلها يوم الجمعة وهو يقول: ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله﴾. وكان أهل صنعاء فى تخوف من الهادي بسبب إخراجهم عامله على بن سليمان فلم يكشف لهم الهادي عن شيء من ذلك؛ بل أمنهم وأمر بكتابة كتاب بتأمينهم وقراءته فى سوق صنعاء.

ثم حضروا فى الجمعة الثانية لاستماع خطبته فقال فى آخرها يخاطب أهل صنعاء :

أيها الناس ما نقمتم على إلا مثلما حكى الله تعالى فى كتابه عن قوم لوط من قولهم : ﴿أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون﴾ ولكنى أقول لكم كما قال يوسف لإخوته ﴿لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين﴾ وسر الناس بعفوه عنهم .

معارك جنوب صنعاء

ثم جهز الهادى من صنعاء أبا العتاهية فى خيل ورجل إلى قرية غيمان وفيها جيش آل يعفر وآل طريف فلما قرب منهم خرجوا إليه واستعانوا بإبراهيم بن خلف وكان فى قرية بيت بوس؛ فلما التقى الجمعان فى موضع وراقتين اقتتلوا قتالاً شديداً ولما تكاثر القوم على أبى العتاهية وأصحابه التجأوا إلى جبل نقم وأرسلوا إلى الهادى فخرج بنفسه من صنعاء فى سادس شعبان إلى علبَ وياشر القتال وهزم القوم وقتل جماعة من أعيانهم، ولم يزل يتبعهم إلى تحت بيت بوس واشتد هنالك القتال، ثم رجع الهادى فى أصحابه نحو صنعاء فلما توسط القاع تبعه القوم بأجمعهم فعطف عليهم وقتل من فرسانهم ورجالهم فانصرفوا وسار إلى صنعاء واجتمع القوم بعد ذلك إلى سفح جبل نقم ووصل إليهم من هو على رأيهم حتى بلغوا فى الرابع عشر من شعبان إلى إثنى عشر ألفاً ما بين فارس وراجل فخرج إليهم الهادى فى خمسمائة مقاتل وتدانوا للقتال فحمل عليهم الهادى حملة صادقةً فانهمزموا مدبرين بعضهم إلى بيت بوس وبعضهم إلى نقم ووقع السيف فيهم فقتل منهم خلقٌ كثيرٌ ومن أصحاب الهادى خمسة ورجع إلى صنعاء .

معارك فى نقم والجبانة والقطيع

أقام القوم بقية شعبان فى نقم فكان أصحاب الهادى يغزونهم من صنعاء ليلاً ونهاراً

وفى رمضان أقبل القوم من كل ناحية ودخلوا إلى درب الجبانة ودرب القطيع بصنعاء فوجه الهادى ابنه محمداً فى قطعة من عسكره إلى من فى درب بالقطيع وقطعة إلى من فى درب الجبانة وخرج الهادى فوجد ابنه مُلاحماً للقوم فحمل عليهم وأخرجهم من الدرين وهزمهم إلى جبل نقم وقتل منهم ودام القتال إلى بعض الليل وعاد كل فريق إلى معسكره.

خلاف أهل نجران

فى رمضان سنة ثمان وثمانين ومائتين للهجرة

لما كان الهادى فى اشتغال بقتال آل يعفر وآل طريف بصنعاء وجهاتها ثار ابن بسطام وابن حميد فى بنى الحارث بنجران، وهبطوا عند حصول ثمرة النخيل والخريف بنجران للعصيان ونهب الضعفاء؛ فلما رأى ذلك عامل نجران أبو جعفر محمد بن عبيدالله العلوى أرسل إلى قرية الحُضن ابنه على بن محمد والقاسم بن محمد وأمرهما أن يصرخا فى قبائل شاکر وثقيف ويكونا مقابلين لمحل میناس فقامت شاکر وثقيف ووادة معهما ودخلوا قرية الهَجَر وفيها محمد بن عبيد الله العامل، وسارت القبائل من بنى الحارث وكانوا زهاء ألف وخمسمائة راجل وزهاء مائة وثلاثين فارساً فعسكرت على باب قرية الهجر فخرج إليهم العامل فى خمسة عشر فارساً وخمسين راجلاً وقامت معه شردمة من بنى عبد المدان تجامله وتدافع عشائرها عن محاربتها، ثم طمعت فيما طمع فيه عشائرها وطلبوا خروجه من قريتهم الهجر فخرج وأرسل عائلته إلى ربيع بن أبى الركود وخرج ليلاً من الهجر إلى الحُضن ووصلت إليه عائلته ودخل ابن بسطام ومن معه إلى الهجر فنهبوا أموال الضعفاء وجباية البلد من التمر والبر والذرة وأعطوها من معهم من الأعراب، وكتب العامل محمد بن عبيدالله إلى الهادى بما كان فأجاب عليه بالوقوف فى موضعه إلى وصوله إليه، ثم خاف ابن بسطام وعلم أن الهادى لا يتركه، وأن مقام العامل فى الحُضن يضر به وبعشيرته، فأغرى قبائل شاکر بقتل العامل على مال جعله لهم، فأغاروا عليه فى ثمانمائة مقاتل وأرادوا

إخراجه من الحَضَنَ فقاتلهم وقام معه فى دفعهم أهل الحَضَن من شاكِر وبعض ثَقِيف وأقنعوهم بأنّه لا سبيل إلى إخراجه من الحَضَن فرجع قبائل شاكِر عن قصدهم، ثم وصلوا إلى العامل وأخبروه بما بذل لهم ابن بسطام واعتذروا له فقبل عذرهم، وأقام فى الحَضَن عشرة أشهر وفى خلالها كانت الفتنة ما بين بنى الحارث خاصة وما بين قبائل يام وشاكِر عامة، وقتل بعضهم بعضاً وبلغ القتلى إلى مائة وست أنفس، وشملهم البلاء وأحاطت بهم الأعداء.

معارك حدين وعلب

فى يوم عيد الفطر سنة ثمان وثمانين ومائتين للهجرة خرج الهادى إلى المصلى لصلاة العيد فبينما هو فى الخطبة أغار أصحاب آل يعفر وآل طريف بخيلهم إلى باب صنعاء فخرج أبو العتاهية فى الخيل فطردهم، وفى اليوم الثانى سار الهادى فى عسكره من صنعاء إلى علب وأرسل بعض جنده إلى من بحبل نغم فكانت ملاحم انتصر فيها الهادى وأصحابه ثم تعقبها وقعات فى حدين وعلب استشهد فيها على بن سليمان بن القاسم وأبو العتاهية عبدالله بن بشر بن طريف أمير صنعاء السابق فى شوال، ورجل من ولد الحسين بن على بن أبى طالب، ووصل إلى الهادى من مذحج الربيع بن الروية بمادة من جعفر بن إبراهيم الجعفرى.

معارك بميدان صنعاء

فى نصف شوال سنة ثمان وثمانين ومائتين للهجرة نزل القوم إلى ميدان صنعاء فخرج إليهم الهادى وكانت معركة انهزم فيها أعداؤه ورجعوا إلى معسكرهم فى عضدان. وفى ذى القعدة هجموا على درب القطيع ودرب الجبانة فطاردهم الهادى ودام القتال إلى بعض الليل ورجعوا إلى معسكرهم، ثم كاتب آل يعفر وآل طريف أهل المخاليف التى بنظرهم أنه قد كان الصلح بينهم وبين الهادى على أن يترك لهم صنعاء ويتنقل

إلى همدان، وبأن يكون حضور أهل المخاليف لصلاة عيد الأضحى معهم فى صنعاء فاجتمع لهم بتلك المكيدة نحو عشرين ألفاً فساروا بهم ليلتهم حتى أصبحوا فى ميدان صنعاء، ودخل بعضهم إلى السراى ودرب القطيع فخرج الهادى وجنوده لقتالهم، وكان عسكر الهادى فوق الألف واشتد القتال فطردوا القوم وهزموهم إلى الضبر جنوبى صنعاء، ووضعوا السيف فىهم فصاح بعض القوم يطلب الأمان، فأوقف الهادى أصحابه ووصل إليه جماعة من قواد القوم يطلبون الرجوع عنهم تلك الليلة على أن يكون وصول جميعهم فى اليوم الثانى إليه فتركهم وسار إلى صنعاء، ولم يتم وصولهم ونقضوا العهد وعادوا إلى الحرب، وتعقب ذلك معارك فى بيت بوس وحدة.

معارك ظبوة

وسقوط الهادى عن فرسه

فى صفر سنة تسع وثمانية ومائتين للهجرة وصلت إلى الهادى زيادة من أنصاره الطبريين، فأمر أخاه عبدالله والشيخ الربيع بن الروية بالمسير من صنعاء إلى قرية حقل المقابلة لقرية غيمان التى بها أجناد آل يعفر وآل طريف ثم خرج الهادى إلى قرية ظبوة سنحان وفيها عسكر للقوم فكانت معركة فى ظبوة، وأوقع القوم بعض أصحاب الهادى من الطبريين فى موضع مضيق وعر ورموهم بالنبل والحجارة من كل ناحية، فوقف الهادى للذب عنهم حتى أخرجهم وحملت على الهادى خيل القوم فعطف عليهم وطعن رجلاً وطردهم، ورام المرور فى الطريق فمنعوه فطعن رجلاً آخر فأفروا له عن الطريق ورموه وفرسه بالحجارة من قريب وأصيبت أذن فرسه بحجر فسقط الفرس ثم رجم الهادى رجل آخر فى رأسه فسقط مغشياً عليه، وباده القوم بالضرب فأصابوه بجراحات وعطف ابنه محمد على رجل فارس يريد طعن الهادى فطعنه محمد ثم طعن رجلاً آخر كان يضرب الهادى فقتله، ووقف رجال من الطبريين يقاتلون دون الهادى حتى استشهدوا جميعهم وصاح الصائح فى العسكر قتل الهادى فعطف بعض أصحابه وردوا إليه فرسه فركب وسار ومحمد ابنه بين يديه والفرسان

عن يمينه ويساره تُقاتل دونه ثم صاح برجال من أصحابه يعرفهم فوقفوا معه، وعطف على القوم فطردهم وأمر بنفوذ الرجال من عسكره، ثم كثر على وجهه وعينه الدم من جراحة رأسه فأمر بوقوف الخيل حتى يغسل وجهه فغسله وسار ومن معه إلى صنعاء ثم مرض بصنعاء مرضاً شديداً. وكانت معارك بين أجناده ومخالفهم في وادي ضلاع ووادي ضهر، وأوصل أصحابه رؤوس بعض القتلى من مخالفهم إلى صنعاء، وتعقبها معارك بين الفريقين حول قرية ظبوة وغيمان وبيت بوس وحدة وسناع إلى جمادى الآخرة سنة تسع وثمانية ومائتين للهجرة.

خروج الهادي من صنعاء إلى صعدة

في جمادى الآخرة مرض الهادي بصنعاء وقلت معه النفقة لجنوده فطلب من أعيان صنعاء الإعانة أو القرض له فلم يعطوه فعزم على الخروج من صنعاء وكان لشدة مرضه لا يقدر أن يثبت على فرسه فأمر بعائلته وحشمه فأخرجوا ووقف على باب الدرب حتى نفذ عسكره وأثقاله وقال لأهل صنعاء: والله لتتَمُنوني وليضربنكم الله بلباس من الجوع والخوف ولتُبَاعَنَّ نساؤكم بالدينار والدينارين والثلاثة جزاءً من الله على فعلكم وصنعكم ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾.

وسار حتى وصل صعدة في بقية من جمادى الآخرة سنة تسع وثمانين ومائتين للهجرة. وسيأتي قريباً ما فعله على بن الفضل وأصحابه بأهل صنعاء.

مسير الهادي إلى نجران

في رجب سنة تسع وثمانين ومائتين للهجرة سار الهادي من صعدة إلى نجران فتلقيه عاملها محمد بن عبيدالله العلوي وولده على وجماعة من قبائل همدان بالقرب من قرية الحُضْن، ولما علمت بنو الحارث بقدومه أرسلوا إليه يطلبون قبول توبتهم فأجابهم إلى ذلك ووهب لهم ما كانوا أخذوه من الجباية على أن يدفعوا للناس حقوقهم وسار

إلى قرية الهَجَر ثم رجع إلى صعدة بعد أن أخذ العهود على النجرانيين، وبعد أن أقام أياماً بصعدة حصلت فتنة بين قبائل يام وبنى الحارث، وقطعت قبائل يام الطريق فسار الهادى إلى نجران فى عساكر كثيرة وأخذ من الياميين نحو أربعين رجلاً وسار بجمعهم إلى صعدة فحبسهم مدة شهر ثم وصل إليه ابن بسطام وغيره من يام وراجعوه فى المحبوسين فأطلقهم وكساهم وأحسن إليهم وأرجعهم إلى بلادهم. وفى رمضان قدم أحمد بن عباد الأكيلي بمادة من آل طريف، وكان يرسل خيله تسرق فى علاف ونواحيها وتقتل مدةً.

ضرب الأكيليين ووائله

فى محرم سنة تسعين ومائتين للهجرة عزم الهادى على حرب ابن عباد الأكيلي ومن تابعه من المفسدين، فسار إليهم فى جنده وحملوا على القوم فطاردوهم فى الجبال، وتبعهم بالخيول ودخلوا إلى حصن علاف فهدموه، ثم طلب القوم الأمان فأمنهم. وكانت قبائل وائلة قد أحدثت فى طريق نجران أحداثاً والهادى بصنعاء فسار إلى أكتاف بلد المحدثين ثم سار إلى محل آخر فأقبلت إليه قبائل وائلة تطلب العفو والأمان فأمنهم وعفا عنهم.

طلب آل يعفر رجوع الهادى إلى صنعاء

لما حصل الاختلاف بين آل يعفر وعبيدهم كتبوا إلى الدعام أن يكتب للهادى يستنهضه إلى جهات صنعاء على تسليم البلاد له ومحاربتهم للعبيد معه، فسار الدعام إلى الهادى وأكثر عليه فى ذلك حتى أسعده، وسار فى جمادى الأولى من صعدة إلى خيوان وبيت زود ثم ريدة وغيرها، ثم مضى إلى شرق خولان، والتقاء بعض الخولانيين وبلغه أن ابن خلف نزل فى قرية بيت عقب من بنى بهلول فخشى الهادى على عسكره، وسار إلى قرية بيت حاضر وأقام بها مدة ينتظر المادة من الجعفرى وابن

الروية، ووصل عسكر ابن خلف إلى قرب عسكر الهادى فقام فى وجوههم من مع الهادى من العسكر الخولانيين فاقتتلوا فانهمز عسكر ابن خلف إلى قلعته ثم رجعوا إلى موضع الجند الخولانى فكانت بين العسكرين معركة انجلت عن قتلى من الطرفين، وسار الهادى إلى مطرة ومدر. ولما بلغ آل طريف قلة عسكر الهادى قصدوه فى عساكر كثيرة، ووقف آل يعفر بمواضعهم وتناقلت قبائل همدان عن نصرة الهادى.

أسر المرتضى بن الهادى

فى أول رجب سنة تسعين ومائتين للهجرة نهض آل طريف عبيد آل يعفر لقتال الهادى، وقد كان انتقل من مدر إلى إتوة ومعه ابنه محمد المرتضى وصنوه عبدالله بن الحسين وغيرهما فحملت القوم على أصحاب الهادى فطردوهم وكان محمد بن نهار الخولانى من أصحاب الهادى أشار إلى القوم بالتقدم ثم انهزم من غير قتال، فتقدم القوم حتى كانوا من وراء الهادى وأصحابه وحالوا بينهم وبين الطريق ثم مضى الهادى وأصحابه فى القتال لمن أمامهم وخلفهم، وقتل جماعة وطعن الهادى فى وجهه وأصابته جراحات، واقترب المرتضى عن الخيل وتحت مهر ضعيف فلحقته خيل القوم، وكان فيمن لحقه ابن الضحاك الخيوانى فحال فيما بين القوم وقتله وأخذوه ورجعوا به إلى ابن خلف ومضوا به وبأصحابه إلى مدر، وكان على بغله، ثم ساروا بهم إلى صنعاء وطافوا بهم فى أسواقها وانصرف الهادى إلى ورور واستنهض همدان فتأقلاوا، ثم بلغه وصول جفتم عاملاً على اليمن من العراق فسار إلى صعدة ثم نجران.

سجن المرتضى بصنعاء

وبيت بوس ثم خروجه

بعد وصول المرتضى أسيراً إلى صنعاء قيده ابن خلف فى سجنه بقية رجب ثم شعبان ورمضان إلى عاشر شوال، ثم نقلوه ورفيقه الفقيه محمد بن سعيد إلى قلعة بيت

بوس وكان محبوساً بها عيسى بن معان اليافعي فهرب اليافعي منها إلى حراز فخاف آل طريف منه على بيت بوس . وفي يوم الأحد الخامس والعشرين من صفر سنة إحدى وتسعين ومائتين للهجرة تقدم اليافعي وآل يعفر في عساكرهم على بيت بوس حتى دنوا من القلعة ووقع القتال والرمي بالأحجار و النبال ، وفتحوا القلعة وسار المرتضى ورفيقه مع أسعد بن أبي يعفر الحوالي بعد فك قيودهم إلى صنعاء ثم شبام ثم سار المرتضى عن إذنهم إلى والده بصعدة ، وكانت مدة حبسه نحو ثمانية أشهر .

من شعر المرتضى في أشهر حبسه :

لا تكثرُوا إن قلبي ليس يفزعه ثقل الحديد وحق الغر أجدادى
ما زرتكم بقنا الخطي من عنت في يوم إتوة لو أوفوا بميعادى
لكن همدان خانونا وما حفظوا لنا ذمام رسول الله فى النادى
ولو تناصفت الأبطال فى جدد ما كان عمرك رهط العبد أندادى
وقوله :

أتعلم يا ركيك بنى طريف بأنى ما رحلت عن الحجاز
وفى أُملي البقاء للملك دنيا تدوم وما أمنت من المرازي
ولكنى نهضت بثأر ربى أذل الظالمين لدى البراز
بطعن فى الخواصر والتراقي وفي الأوساط ينفذ كالجراز
أو الأخرى وتلك أجلُّ قدرأ وأعظم للثواب لدى المجازى
وهمك أنت قينات وخمر وفسق لا تفيق من المخازى
فميز بين فعلكم وفعلى وبين غوي كفرك واحترازى
تجدنى إن صدقت أحق منكم وأولى بالمقام وبالحياز

وإن أبى الإمام وإن رغمت

وقصيدة منها:

وأبيك يا ابن العبد إن قيودكم

أعليَّ تجلب بالقيود وإنما

وقصيدة منها:

أَتَسْمُو لِلْفَخَارِ وَأَنْتَ عَبْدٌ

نَسِيتُمْ مِنَّةَ الْهَادِي عَلَيْكُمْ

وقصيدة منها:

قالت -وقد هالها حبسها وأجزعها-:

فقلت إن هوانا دينٌ خالِقنا

قالت أصابك فيهم قول ذى أدبٍ

إن العبيد -أضلَّ الله سعيهم-

وقصيدة منها:

يا بيت بوس حللنا في حواك على

ماذا اعتذارهم عند النَّبِيِّ غداً

حبسى عليكم هوان واذكروا خبرى

وقصيدة منها:

ألا ليس مثلى أيها العبد يجزع

أتحسب أن الحبس والقيد هالني

له الرحمن بالإحسان جازى

لأقل في عيني من البوغاء

حب الحياة مخالف آبائي

لئيم كل همتك الأثامُ

وقد ضاقت بأنفسكم شبامُ

تجاهل القوم فيكم بعد ما علموا

والقوم قد عدلوا عنا وقد ظلموا

حبست فاحتبست من حبك الدَّيْمُ

يا ابن النبوة ما حازوا وما كرموا

خذلان أمتنا من بعد ميثاقٍ

إذ لا يقومون فى نصرى وإطلاقى

إن الفضيحة لا تشرى بأوراقٍ

فما شئتم بالجهل والكفر فاصنعوا

وأنى مهين كالذى يتضرعُ

ولولا اعتذار المهر تحتى وضعفه
ترانى لحاك الله أنكر فضل ما
جهلت الذى قمنا به فحسبتنى
وقصيدة منها:

هل ورا القتل لكم من غاية...
فاقتلوا إن شئتم أو فأسروا..
فالذى صبرنى فى حبسكم
إننى ما قمت إلا موقناً
ليس همى همة الوغد الذى
لا يغرنك إن أبصرتنى
وقصيدة منها:

ألم تر أننى فى الحبس ثاور
لمعرفتى بفرض الله ربى
فانك ما منحت به قبيحاً
وقصيدة منها:

ظن اللثام بنو طريف إننى
إن هولوا بحبوسهم وقيدهم
فأروا خلائق للنبي أصونها
حسب الغوى بأننى نازعته

لظل لرمحى فى جموعك مشرع
حييت به إنى إذا منك أوضع
ألين على البأساء كمن يتضعع

يابنى العبد اللثيم المرتكض؟
. فلنا فى جنة الخلد عوض
طاعة الله التى فينا افترض
بركوب الحنف من بعد المضض
أينما أخضر له العيش ربض
خلف حبس فى حديد مقتبض.

كبيل فى الحديد قرير عين
ومخرجنا لإحدى الحسينين
فعبوا مثل ذاك على الحسين

كَمُرُوعٍ بين الوثاق خفاف
نحوى وذاك فعال كل ضعاف
ولهاشم والشيخ عبد مناف
عن دار مملكة وعيش صاف

وحياة دنياه التي هي همه

جَهل الرّيك حقوق آل محمد

وقصيدة إلى والده منها:

أمير المؤمنين تعرّض عني

وهبني كنت في القتلى صريعاً

وقم لله مُجْتَهِداً مُجِداً

وكيف وأنت أعلم من عليها

قليل في المهيمن أخذ مثلي

رضيت بمحتتي في الله ربى

وتجمعننا المواقف عند جدى

فلا تخضع لأهل الكفر وانصب

وجباية تجبى من المخلاف

والأمر بالمعروف والإنصافِ

ولا تحفل ببعدى واغترابي

بأطراف الأسته والحراب

فمثلك لا يُعَلِّمُ بالصواب

وأبصر بالعلوم وبالكتاب

وقل لأمره ضرب الرقاب

لكى أنجو بذاك من العقاب

رسول الله في يوم الحساب

رماح الخط واجعلها جوابى

وفى شوال سنة تسعين ومائتين للهجرة وصل الأمير جفتم العجمى من العراق عاملاً على اليمن ثانية فوصل إلى إرتل جنوبى صنعاء، وبقي ستة أيام يترقب الدخول إلى صنعاء فلم يؤذن له بذلك؛ بل خرج من فيها من آل يعفر وأتباعهم فأسروا جفتم وولده وابن أخيه وسجنوهم فى بيت بوس، ثم دخلوا به إلى صنعاء. وأراد أصحابه من الجفّاتم وغيرهم القيام معه فناجزهم أسعد بن أبى يعفر وابن عمه عثمان وأصحابهما وقتلوا جفتم ومال الناس إلى آل يعفر.

وفاة ابن زياد أمير زبيد والقحط باليمن

فى سنة تسعين ومائتين للهجرة توفى أمير زبيد إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبيد الله بن زياد عن خمس وأربعين سنة من ولايته بعد أبيه وقام بعده ابنه زياد بن إبراهيم، ولم تطل مدة إمارته، بل مات سنة إحدى وتسعين ومائتين للهجرة، فقام بعده أخوه أبو الجيش إسحق بن إبراهيم وطالت مدة ولايته، وسيأتى فى آخر هذا الجزء الاستيفاء لتاريخ زبيد.

وفى سنة تسعين ومائتين للهجرة اشتد القحط باليمن حتى أكل الناس بعضهم بعضاً، ومات الكثير جوعاً، وخربت بعض القرى.

ظهور على بن الفضل ومنصور حسن سنة إحدى وتسعين ومائتين للهجرة

كان على بن الفضل القرمطى الحميرى الخنفرى اليمنى على مذهب الإثنى عشرية، فحج إلى مكة وسار لزيارة الحسين بكربلاء، وكان يولول ويقول: ليت من كان معك يا ابن رسول الله حين جاءك جيش الفجرة، فسمعه ميمون القداح، وكان منجماً فلكياً يلزم ضريح الحسين ومعه ولده عبيد الله بن ميمون فطمعاً فى اصطياذ ابن الفضل وقال له ميمون: لا بد لولدي عبيد الله من دولة يتوارثها أولاده ولا يكون بدايتها إلا من اليمن، فقال ابن الفضل: يمكن فى اليمن. ثم قال ميمون لمنصور بن حسن مثل ذلك، وبأن يكون خروجه مع ابن الفضل إلى اليمن.

وكان منصور قد عرف من ميمون إصابات فى علم الفلك فأجابه إلى ذلك، ثم جمع ميمون بينهما وعاهد بينهما وأوصى كلاهما بالآخر وقال لمنصور: متى دخلت اليمن ستترك أمرك حتى تبلغ غرضك . . الله الله احفظ ابن الفضل وأحسن إليه

ومُره بِحُسْنِ السيرة فإنه شاب وأوصى ابن الفضل في منصور، ثم سارا من لديه إلى مكة، وخرجا مع حجاج اليمن حتى وصلا إلى غلافقة بتهامة.

أول عمل ابن الفضل في اليمن

قال الجندی والخزرجی وصاحب «أنباء الزمن» رجع ابن الفضل إلى الجند ثم إلى أبين وهي بيد محمد بن العلى الأصابحي، ثم إلى بلاد يافع فوجد عامة رعاها فعكف يتعبد في بطون الأودية فيأتون بالطعام فلا يأكل منه إلا اليسير فأعجبوا به وسألوه أن يسكن معهم في رؤوس الجبال فلم يجبههم إلا بعد أن ألحوا عليه، وأفصح لهم أنه يمنعه من السكون معهم عدم امتثالهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وشرب الخمر والتظاهر بالفجور؛ فحلفوا له على طاعته وترك مخالفته فوعدهم خيراً، وكانوا يجمعون إليه زكواتهم وافتتنوا به، ثم أمرهم بعمارة حصون بلادهم ففعلوا، ثم ألزمهم الغارة على أطراف البلاد جهاداً في سبيل الله ويغنمون الأموال، وكان أمير أبين ولحج ابن العلى من صالحى الأصابع فقصده ابن الفضل بمن معه من يافع فهزمهم ابن العلى وأصحابه، وقتلوا من يافع كثيراً، فرجع ابن الفضل واجتمع إليه المهزموون وكان ذا رأى فقال لهم: الرأى أن نرجع للهجوم عليهم الآن فإنهم قد أمنوا وتفرقوا، فساعده أتباعه فلم يشعر ابن العلى وهو بمدينة خنفر على غير أهبة وقد تفرق عنه أصحابه إلا وقد خالطته عساكر ابن الفضل فقتلوه، وقتلوا طائفة من أصحابه، واستولوا على خزائنه وفيها من النقود جملة كثيرة، واستباح ابن الفضل أهل خنفر ثم رجع إلى يافع فعظم شأنه وشاع وذاع. ثم كتب ابن الفضل إلى جعفر بن إبراهيم بن أبى جعفر محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبدالكريم المناخى الحميرى أمير مخلاف جعفر كتابا يقول فيه: «إنما قيامى لإقامة الحق وإماتة الباطل، وقد بلغنى ما أنت فيه من ظلم المسلمين فادفع إلى أهل عُرلة دلال دية ما قطعت من أيديهم». وقد كان جعفر قطع منهم على حجرة بمدينة المذيخرة ثلاثمائة يد ولم يزل أثر الدم على تلك الحجر مدة طويلة. ثم جمع ابن الفضل جموعه وسار نحو جعفر المناخى

فتلقاه فى جموعه إلى نقيـل البردان، وكانت بينهم معركة فى ثامن رمضان سنة إحدى وتسعين ومائتين للهجرة انهزم فيها ابن الفضل وأصحابه.

أول فعل منصور حسن باليمن

كان ميمون القـداح قد أوصى منصور بن حسن الكوفى أن لا يستدى أمره إلا فى بلد عدن لاعة ببلاد حجة، فسار إليه، ولزم مسجده، وأقبل على العبادة حتى مال إليه جماعة من الناس فلما علم أنها قد استكملت محبته فى قلوبهم؛ أخبرهم بأنه إنما قدّم عليهم داعياً للمهدى الذى بشر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحالف جمعاً من الناس على القيام معه وأتوه بصدقاتهم فقال لهم: ينبغي أن يكون فى معقل يحفظ فيه هذه الزكوات لتكون بين مال للمسلمين فعمـر (عين محرم) هنالك ونقل إليه ما كان قد جمعه، وأظهر الدعوة إلى عبيد الله بن ميمون القـداح ثم استولى على بلاد سور لاعة وحصنه واستعمل الطبول والرايات بحيث بلغت إلى ثلاثين طبعلاً تسمع إلى مسافة بعيدة. ثم جمع جموعه وأغار بهم على أهل تلك الناحية حتى أبادهم وأخذ أموالهم ثم سار إلى بنى شاور فاستولى عليهم، ثم سار إلى شبام كوكبان، فقاتله أصحاب آل يعفر الحواليين، وخرجت عليه الأجناد من صنعاء فانهزم من شبام إلى جبل مسور.

خلاف أهل نجران ومسير الهادى إليهم

فى جمادى الأولى سنة اثنين وتسعين ومائتين للهجرة؛ تداعت بنو الحارث بنجران وتحالفت عند حصول الثمرة على العامل محمد بن عبد الله العلوى واجتمعوا إلى ابن حميد وأذنوا العامل بالحرب فكتب إلى الهادى بذلك، فكتب الهادى إلى ابن حميد وبنى الحارث بنجران كتاباً يقول فيه:

كتاب الهادى إلى بنى الحارث

﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا راد له ومالهم من دونه من وال ﴾ . وأنتم قوم مخدوعون ملعوب بكم مفتونون مغرورون لا تتعظون بغيركم ولا تعتبرون بسواكم، ولا أشكر أن مع ذلك كثيراً من الخذلان لما أنتم فيه من كراهية الحق والإيمان، ومتابعة الشيطان ومخالفة الرحمن... وهو مكتوب طويل كتب فى أسفله:

خذوا حذرکم منى فإنى مُسير	إليکم جنود الله والله غالب
تسير إلى الباغين حرب محمد	عساكر تملأ الأرض منها المقانِب
على شزب تعدو بكل سميدع	بأيديهم البيض الرقاق القواضب
فتلقوننى مستبصراً فى جهادکم	وعندکم منى -لعمرى- التجارب
فويل لمن أضحى بهم بحربنا	وويل لمن لى يدر من ذا يحارب
وقصيدة منها:	

لا زاجر لذوى الضلالة والردى	إلا السيوف غمادها فى الهام
قرب الوعيد وحن سفك دمائهم	خلاف متبع القران إمام
مازال يصفح ثم يعفو	آخذاً بالفضل ذا حذب على الإسلام
حتى إذا طال النكوث وأسرفوا	فى البغى إن البغى فعل لثام
آذنتهم بالحرب إنى واثق	بالنصر من ذى العز والإكرام
وبذى الفقار أصول فى لجج الوغى	حتى أكشف حالك الإظلام
إلخ...	

ثم سارت بنو الحارث ومنهم ابن حميد وابن بسطام إلى عامل الهادى، فخرج إليهم

ومن معه من المداينين فاقتتلوا ساعة، فحمل عليهم العامل وطردهم إلى ناحية الجبل فساروا بالليل إلى جهة أخرى فخرج عليهم العامل فاقتتلوا، وحمل عليهم فى خمس أفراس فطردهم وكانوا نحو أربعين فارساً ثم طلب ابن بسطام خروج العامل معه قرية ميناى فخرج، ونقل أهله ثم سار الياميون إلى ميناى فكان الحرب بينهم جهة وبين العامل وابن بسطام من جهة أخرى، ثم سار العامل إلى قبائل وادعة فسُرَّ بقدمه، وكتب إلى الهادى، فأجاب عليه: لا تغتمَّ بما كان. وأرسل إليه قصيدته ليرسلها إلى بنى الحارث منها:

أبلغ بنى حارث عنى مغلغة
أحييتكم بعد أن كانت منيتكم
فكان شكركم لى شكر مثلكم
فدونكم فاصطلوا حربى فقد هطلت
إلخ...

وقصيدة منها:

رميتم يا بنى حار بن كعب
دعاكم للهدى فكرهتموه
وأنتم فى الضلالة كل يوم
وما ينفك من حار إلينا
فنغفرها كأن لم تفعلوها
إلخ...

فلما وصل إليهم كتاب الهادى اغتموا له غمّاً شديداً، واضطربت عليهم الأمور، سار الهادى من صعدة فى رابع رجب إلى نجران وأوقع بالمفسدين حتى طلبوا الع

والأمان فأمّنهم واطمأنوا وعادوا إلى محلاتهم، ورجع الهادى إلى صعدة فى سابع ذى القعدة سنة اثنين وتسعين ومائتين للهجرة.

طلب أهل تهامة للهادى

بعد رجوعه إلى صعدة وصلته كتب إبراهيم بن على والغطريف الحكّمين من تهامة يطلبان منه الوصول إلى بلادهما على تسليمهما ما فى أيديهما وأعطياه على ذلك العهود الغليظة، وتكررت كتبهم بمثل ذلك، فاستدعى الهادى قبائل خولان وسار بهم نحو تهامة حتى انتهى إلى محل يعرف بالعنبرة فنزل فيه وأقام أياماً فقدم إليه كتاب الحكّمي يستدعيه إلى محل طرطرة فسار إليه وتلقاه رسول الحكّمي بالضيافة وعلف الدواب، وكان الحكّمي قد أخذ ذلك من أهل البلد؛ فلما بلغ الهادى ذلك ارجع لأهل البلد ما أخذ منهم وقال: لا يحلُّ لنا أخذه ولا نفعله ولا نستجيزه. ورجع إلى الحكّمي رسوله فأخبره بما كان من فعل الهادى، فعجب لذلك، ورغب أهل البلاد فى الهادى وأحبوه وأقبلوا إليه، فندم الحكّمي على ما كان من استدعائه للهادى، وثنى عزمه عن موالاته بعد العهود الأكيدة. ثم جمع الحكّمي عسكرياً كثيراً وسار لمحاربة الهادى فى ثلاثة آلاف راجل وزيادة على مائتى فارس، وكان الهادى فى ثمانمائة راجل ومائة فارس، ثم قرب الحكّمي وعساكره من الهادى والتحم القتال وكانت قتلى من الفريقين ثم انهزم الحكّمي وأصحابه، وطاردهم الهادى وأصحابه إلى قريب قرية الحكّمي.

قتل إبراهيم بن خلف

فى محرم سنة اثنتين وتسعين ومائتين للهجرة خرج إبراهيم بن خلف من مدينة الكدرا بتهامة يريد جبل ذخار؛ فلما وصل إلى طرف الجبل تلقاه أحد عبيد الأمير عدنان صاحب الجبل فقتله وهزم أصحابه وبعث برأسه إلى مولاه.

استيلاء ابن الفضل على مذيخرة

وقته جعفر المناخي

فى صفر سنة اثنتين وتسعين ومائتين للهجرة قصد على بن الفضل مدينة مذيخرة مرة ثانية فى جموع كثيرة فدخلها وانهزم عنها جعفر بن إبراهيم المناخي، وسار إلى تهامة مستنجداً بصاحب زييد، فأمدّه بجيش كثير فرجع يريد المذيخرة، فالتقاء ابن الفضل فى جموعه، وكانت بينهم معركة عظيمة فى وادى نخلة قُتل فيها جعفر المناخي وابن عمه أبو الفتوح حول أكمة حوالة يوم الجمعة آخر رجب سنة اثنتين وتسعين ومائتين للهجرة، وهو المنسوب إليه مخلاف جعفر باليمن الأسفل فعظم شأن ابن الفضل بعد ذلك، واستولى على جميع بلاد المناخي ومخلاف جعفر وجعل مذيخرة مستقر ملكه وأظهر بها مذهبه. قال البهاء الجندى الشافعى فى تاريخه، وغيره: وادّعى على بن الفضل النبوة وأحلّ لأصحابه شرب الخمر ونكاح البنات والأخوات ودخل مدينة الجند فى أول خميس من رجب فصعد المنبر وقال الأبيات المشهورة:

خذى الدف يا هذه والعبى	وغنى هزارك ثم اطربي
تولى نبيّ بنى هاشم	وهذا نبيّ بنى يعرّب
لكل بنى مضى شرعة	وهذى شريعة هذا النبى
فقد حط عنا فروض الصلاة	وحط الصيام ولم يتعب
إذا الناس صلوا فلا تنهضى	وإن صوموا فكلّى واشربى
ولا تطلبى السعى عند الصفا	ولا زورة القبر فى يثرب
ولا تمنعى نفسك المعزين	من الأقربين مع الأجنبى
بماذا حللت لهذا الغريب	وصرت محرمة للأب؟
أليس الفراش لمن ربه	وسقاه فى الزمن المجذب

وما الخمر إلا كماء السما

يُحلّ فقدس من مذهب

أحل البنات مع الأمهات

ومن فضله زاد حل الصبي

وقد نقلناها كما حكوها والله أعلم وللناظر نظره.

نهوض ابن الفضل إلى صنعاء

قال صاحب «أنباء الزمن» وغيره: في محرم سنة ثلاث وتسعين ومائتين للهجرة نهض ابن الفضل من الجند في جموع كثيرة إلى اليمن الأعلى، وسار فوجد جيشاً عظيماً بحصن هران من أصحاب الحوالي، فكتب ابن الفضل إلى والي هران يستميله فأجابه، ودخل في طاعته. وكان اليافعي في مدينة ذمار فوجه عساكره لمحاربة ابن الفضل، وابن الفضل في جيوش لا تطاق يقال إنها بلغت إلى أربعين ألف، فسار بجيوشه ونزل في قرية ظبوة جنوبي صنعاء، وخرج من صنعاء أسعد بن أبي يعفر الحوالي فقاتلهم قتالاً شديداً، وقتل منهم نحو أربعمائة ورجع آخر يومه إلى صنعاء، وسار أصحاب ابن الفضل في ليلتهم حتى نزلوا بجبل نغم فأقاموا به ثلاثة أيام لا ينزلون، ثم انتشروا في اليوم الرابع فقصدهم ابن يعفر ورجع إلى صنعاء.

وفي ليلة السبت عاشر محرم سار ابن الفضل في خمسة آلاف مقاتل فدخلوا صنعاء ليلاً من سكة الشهابيين، أدخلهم منها مهلب الشهابي، فقصدوا غمدان ومسجد الجامع فحاربهم أسعد بن أبي يعفر إلى عصر ذلك اليوم، ثم خرج عن صنعاء، وكان يوماً عصبياً حصل فيه ما حصل على أهل صنعاء من الخوف والوجل والرعب والفشل، وخرج منهم من خرج بأهله وأولاده وتركوا أموالهم ومنازلهم فاستباح القرامطة صنعاء ونهبوها، واستولوا عليها قتلاً وأسراً ونهباً، واستباحوا المحارم وفعلوا العظائم، وأقاموا على ذلك خمسة عشر يوماً، وبعد وصول أسعد إلى شبام قصده القرمطي الذي في جبل ذخار وحاربه حتى فر من شبام بأهله وثقاله إلى بلاد الدعام. وأظهر ابن الفضل مذهبه ودينه المشؤوم بصنعاء وارتكب المحظورات ورقى على منبر

جامع صنعاء وخطب خطبة منكورة صرح فيها بعقيدته الكفرية وحمل عليها من تابعه . وقد ذكر خطبته كثير من المؤرخين وتركناها تنزهها عنها وهي شاهدة عليه بالكفر الصريح ، على أن في أعماله ما يغنى عن التصريح فقد بالغ في دحض الشريعة وأباح المحرمات وأسقط حج بيت الله الحرام وأتى بدين خالف جميع الشرائع والمذاهب واتخذ جامع صنعاء اصطبلا للخليل وكان مؤذنه يقول في أذانه : أشهد أن علياً بن الفضل رسول الله . انتهى .

وقال الجندى إنه حصل بعد وصول ابن الفضل إلى صنعاء المطر فأمر بسد المياذيب عن سطوح الجامع ثم أطلق النساء اللاتي سبين من صنعاء وغيرها وصعد إلى المنارة وأمر بإلقاء النساء إلى الماء عريانات فمن أعجبه منهن اجتذبها إلى المنارة وافتضها ، وأثر حبس الماء في سطح الجامع على سقفه . . . وساق الجندى مبالغات إلى أن قال : ثم استتاب على صنعاء أسعد بن أبى يعفر الحوالى ، ولم يجتمع به خوفاً منه ، قال ابن جرير : وكان عنوان كتب ابن الفضل إلى أسعد : من باسط الأرض وداحيها ومزلزل الجبال ومرسيها على بن الفضل إلى عبده أسعد . انتهى والله أعلم .

وفى «أنباء الزمن» أن منصور بن حسن لم يوافق ابن الفضل على ما فعله بل لاهمه ، ولما بلغه أنه قد استولى على صنعاء سرّاً ذلك وسار إليه فالتقى ، وكان منصور يهاب ابن الفضل وهو يجلب منصور ، ويقول هو سيف من سيوفه .

نزول ابن الفضل إلى تهامة

وفضائعه الأولى بزبيد

لما عزم ابن الفضل على نزول تهامة قال له منصور : الصواب أن تقف بصنعاء وأنا بشبام سنة حتى تصلح ما استفتحناه جميعاً ؛ فلم يقبل قوله بل جمع نحو ثلاثين ألف مقاتل وكانت طريقه نحو بلاد المغرب ، ولما وصل إلى اللجب من الشرق ثارت عليه القبائل ، وثبتوا له فى الأماكن الضيقة حتى لم يقدر على التخلص ، فلما علم منصور

جمع أتباعه وسار لاستنقاذه فرجع إلى صنعاء، ثم سار منها فى ثالث ربيع عن طريق نقييل السود إلى سهام وسار إلى بلاد حراز و ملحان ونزل إلى مدينة المهجم ومدينة الكدراء بتهامة وقتل فيها، وسار إلى مدينة زبيد فهرب عنها صاحبها اسحق بن إبراهيم بن محمد بن زياد فهجم ابن الفضل على من فى زبيد واستباحهم وسبى من زبيد أربعة آلاف عذراء ثم خرج بهم ولما وصل إلى مكان شرقى زبيد يسمى المداحيضى قال لأصحابه: إن نساء أهل الحصيب فتنة، وإن هؤلاء النساء يشغلنكم عن الجهاد فاذبحوهن وتجردوا للجهاد؛ فذبحوهن جميعاً فسمى ذلك الموضع المشاحيط، وبقي أثر الدم سنين، ثم سار إلى المذيخرة وأمر أصحابه بالحج إلى قرية الحرف.

قال ابن جرير الطبرى فى تاريخه: وفى جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين ومائتين للهجرة قدم من مكة إلى بغداد نحو العشرة، فسألوا من السلطان توجيه جيش إلى بلادهم لأنهم على خوف من الخارج باليمن أن يطأ بلادهم، إذ كانت حروبه بتهامة وكان قد قرب منهم، ثم فى يوم الجمعة الثانى عشر من رجب قرىء على المنبر فى بغداد كتاب ورد على السلطان أن أهل صنعاء وغيرهم من اليمن اجتمعوا على الخارجى الذى تغلب عليها فحاربوه وهزموه وفلوا جموعه فانحاز إلى موضع من اليمن. قلت: كان الحسن بن كباله قد تخلف فى هذه السنة عن إجابة ابن الفضل وقتل هو وأصحابه جماعة من أصحاب ابن الفضل بصنعاء.

استدعاء أهل صنعاء للهادى

فى سنة أربع وتسعين ومائتين للهجرة استدعى أهل صنعاء الهادى من صعدة فوصل إلى صنعاء وأرسل منها ولده المرتضى إلى ذمار ومخاليقها فاستعمل العمال عليها فقصدته القرامطة إلى ذمار بما لا قبل له به فسار عن ذمار إلى أبيه بصنعاء، ثم خرج على الهادى موالى آل يعفر الحواليين الحسن بن كباله وابن جراح فحاربوه ونافسوه على صنعاء، فسار عنها إلى صعدة، ودخل صنعاء أسعد بن أبى يعفر الحوالى فملكها. ثم إن ذا الطوق اليافعى أحد قواد ابن الفضل قصد ابن الروية المذحجي إلى ذمار فهرب

منه إلى بلاد رداع وجمع عشيرته فتبعه ذو الطوق إلى رداع فقتله، ثم سار إلى صنعاء فملكها بعد أن قتل زيادة على ثلاثمائة إنسان من أصحاب أسعد بن أبي يعفر حول صنعاء. ثم استدعى أهل صنعاء الهادي ثانية من صعدة فأرسل بعض جيشه مع على بن أبي يعفر ومحمد بن عبدالله العلوي والدعّام بن إبراهيم وأردفهم بجيش آخر بقيادة ولده المرتضى فخرجت القرامطة من صنعاء ودخلها المرتضى وأقام بها مدة.

استباحة ابن الفضل لصنعاء مرة ثالثة

في جمادى الآخرة سنة أربع وتسعين ومائتين للهجرة طلع ابن الفضل من مذيخرة نحو صنعاء فوصل إلى قرية حَزِيزَ فخرج إليه أسعد بن أبي يعفر في أصحابه فقتل من أصحابه ستين رجلاً، وتكاثر عساكر ابن الفضل وعرف من بصنعاء عجزهم عن المقاومة فخرج بعضهم عن صنعاء والتجأ بعضهم إلى دور العلويين بها ثم دخل ابن فضل في جموعه إلى صنعاء في غرة رجب فاستباحها أصحابه وقتلوا من وجدوا منها، وعمدوا إلى دور العلويين فأخرجوا من فيها من المتخوفين وقابلوهم بالعذاب المهين. ولبت القرامطة في صنعاء وبلادها ثلاث سنين يفسدون حتى رماهم الله بالآلام وعاجلهم بالانتقام فهلك منهم أمة لا يحصرها العدد، وانتقل ابن الفضل من صنعاء إلى مذيخرة وكان الهادي قد خرج من صعدة إلى بلدة ورور لتلقى القرامطة فبلغه انتشارهم في البلاد فرجع إلى صعدة.

ظهور القرامطة بنجران

وإيقاع الهادي بهم

في سنة أربع وتسعين ومائتين للهجرة ظهرت القرامطة بنجران وأعلنت بنو الحارث الخلاف، ومنهم ابن حميد الخيثمي ومرزوق بن محمد المرى وعلي بن الربيع المدائني وتربة بن الأسود الكعبي ومنصور بن هشام الذهبي وأعانهم قبائل يام، والذي حمل

ياماً على الدخول مع بنى الحارث فى الفساد ما كان من تقدم قتلهم لرجل مصرى وفد
على الهادى وهموا جميعاً بقتل عامل الهادى، فكتب إلى الهادى يحثه على وصوله
إلى نجران ونظم ولده على بن محمد قصيدة منها:

دارُ لمة ما بها آثار
قد غيرتها بعد ساكنها الصبا
فألربع منها موحش مقفار
يا خير من صلى وصام لربه
وتقادم الأزمان والأمطارُ
ظهر الفساد بأرضنا وبلادنا
من نسل آدم باحت الأسرارُ
قالوا إمامهم إله قادر
قامت بذاك قرامط أشرار
كذبوا عليهم لعنة وصغار
فانهض - نصرت عليهم - فأبدأهم
إن القرامط عاضدتها حار
... إلخ.

وفى بقية من رجب سار الهادى إلى نجران ومعه عبدالله بن قحطان الحكمى التهامى،
وكان قد وصل إلى الهادى هارباً فى خيل ورجال من ابن عمه الغطريف بن محمد،
فتلقى الهادى بنجران عبدالله بن بسام فى بنى ربيعة مطيعاً وأمر الهادى بإخرا بقرية
الذين قتلوا سليمان المصرى حتى انقادوا ورجعوا والتزموا بتسليم دية المصرى، وأصلح
فيما بين اليا ميين والوادعيين، وأنفذ الحدود الشرعية وضبط بعض الأشرار إلى السجن
وقرر أمور عامل نجران، وسارعنها فى رمضان إلى صعدة، وقال على بن عامل نجران
قصيدة منها:

ظهرت - لعمر ك- ملة الإسلام
بالفاطمى إمام كل إمام
وتتبع عامل نجران القرامطة فطاردهم وشردهم، ووصل محمد بن عبد الملك الوداعى
إلى الهادى مراجعاً فى إطلاق من فى السجن من اليا ميين فأطلقهم الهادى وأمد
الحكمى صاحب تهامة بخيل ورجال. وفى ذى القعدة كتب على بن محمد بن
عبدالله العباسى بن العامل إلى الهادى قصيدة منها:

لاح المشيب بمفرقى وبراسى . . .
يا ابن الحسين تحالفت حار على . . .
وبعارضى فعاد كالقِرطاسِ
من آل خيثمة ومذجج كلها
أن يقتلونا يا بنى العباس
وبنى ربيعة من يحل بصاعر .
والحى من يام وحى حماس .
والمقاطنين بحافتى ميناى
زعموا بأنك قد خذلت بصعدة . . .
وشغلت بالعبد الذليل الخاسى
يا ابن الحسين تقاسموا أسلابنا .
وخيولنا فاخرج بصولة قاسى
وانهض نصرت على العدى لتبيدها . .
وتحلها جدنا بسيف الباس .

مسير أحمد بن الهادى ثم والده إلى نجران

وفى سنة خمس وتسعين ومائتين للهجرة أعاد بنو الحارث بنجران الخلاف وتحصين حصونهم، فارسى العامل ابنه علياً إلى الهادى فى ذلك فارسى ابنه أحمد بن الهادى إلى نجران فى السابع من شوال فى ثلاثمائة راجل وعشرين فارساً، فاقبلت قبائل يام فأمنها وأصلح أمور همدان ثم سار الهادى فى عساكر إلى نجران ونزل قرية الهجر فى ثانى ذى القعدة وكانت بنو الحارث قد تحصنت فى موضع اللواء فسار عبدالله بن الحسين فى عصابة كانت بينهم وبين الأعداء ملاحم واستولت جنوده على حصن ثلا وغيره، وأتى عبيدالله بن بسطام يطلب الأمان من الهادى لبنى الحارث فأمنهم على أن يسلموا ما أوجبه الله عليهم وأمر بقتل ابن الربيع المدانى وكان قد قتل رجلاً من الأخلاف. وعظم عند يام والأخلاف رفع منزلة ابن بسطام فاجمع رأيهم على قتله فقتلوه، وكان قد قتل رجلاً من يام والأخلاف وقالت يام والأخلاف للهادى: وجدنا عدونا ابن بسطام فقتلناه، وأقام الهادى بنجران يقرر أمورها إلى خامس ذى الحجة، وسار عنها إلى صعدة بعد أن ترك مع عامله بنجران زيادة على عشرين فارساً وخمسين راجلاً وعقيب عيد الأضحى قام ابن حميد بن الغوث الحماسى باستفزاز

بنى الحارث واستمالتهم إلى الفساد، ومحاولة قتلهم عامل نجران، وساروا في عشرين فارساً وخمسين راجلاً إلى سوحان نجران فكتب العامل إلى الهادي ثم أرسل ابن حميد جماعة قتلوا تسعة من عسكر الهادي وسلبوهم وغيرهم وساروا إلى مينا .

قتل أهل نجران العامل وأصحابه

في سنة ست وتسعين ومائتين اجتمعت بنو الحارث على قتلهم للعامل أبي جعفر فدخلوا القرية، فدعا العامل بنى عبدالمدان فلم يجيبوه، وانقلبوا مع القوم عليه فقال :

غدرتم يا بنى عبد المدان
وكان الغدر من شيم الجبان .
حلفت لى بأيمان غلاظ
تخر لها الصخور مع القنان .
بانكم على نصرى حراص . .
غداة الروع فى وهج الطعان
فلم توفوا بعهدكم وكنتم . .
شراراً يا بنى عبدالمدان .

ثم التفت إلى أصحابه وقال لهم: لاتخذونا لقلبتكم وكثرتهم، وموتوا كراماً على دينكم. فقالوا: والله إنا لنعلم أنهم على الباطل ونحن على الحق، وما يغمنا إلا أن يتمكنوا منك، ولوددنا ان الله سلمك بذهابنا جميعاً فقال: لهم أوفى الله أمانتكم فبينما هم على ذلك فى باب الدار واذا أقبلت بنو الحارث نحو الدار وابن حميد فأحاطوا بالقرية فأخذ العامل سيفه ودرقته وشد عليه جوشنه وقال لأصحابه: الجلاذ دون نفوسكم، ثم أغلقوا باب الدار وفيهم عبدالجعد بن إبراهيم ففتح لبنى الحارث باب الدار وتحصن العامل فى أعلاها، وصعدت بنو الحارث الدرجة فتلقاهم محمد بن الحسين العباسى فمازال يقاتل حتى قتل وأتت بنو الحارث بالسلالم فطلعوا من الخارج إلى سطح الدار وهدموا جوانب منها حتى صار العامل فى رواق قدام البيت الذى فيه الحرم فكان بنو الحارث يرمونهم بالنبل والحجارة وكان القتال الشديد حتى كثرت فيه

الجراحات ولم يسترهم عن الرمي جدار، وغشيتهم بنو الحارث فدخلوا البيت الذى فيه النساء والأطفال، فقال العامل لبقية أصحابه: موتوا قبل أن يصل العدو إلى واحدة من نسائكم ليتم لكم فخر الدنيا وثواب الآخرة. فقاتل دونهن محمد العامرى وجعفر بن احمد العبدانى وعباس بن عبدالله العبدانى حتى قتلوا، وجرح يوسف بن يعقوب الهمدانى؛ قاتل دونهن مقبلا ومدبراً حتى ضرب فخرجت أحشاؤه فرجع إلى أصحابه وقال: قاتلوا عن الأخيار حرم رسول الله الأطهار. ثم التفت إلى بنى الحارث وقال لهم: إن الرجال تقتل الرجال ولكن اخلفونا فى حرم رسول الله ويبرز لكل رجل منا رجلان منكم وشد على بطنه بعمامته وخرج على القوم فلم يزل يضرب مقبلا ومدبرا حتى قتل ثم خرج غيره فقاتلوا حتى قتلوا، وأحرقت بنو الحارث الدار من أسفلها وهدموا السقف من أعلاها وأحرقوا بعضه وتابعوا رميهم بالنبل والنار ووضع الصخور. وخرج لمقاتلتهم أحمد بن عبيدالله وإبراهيم بن سليمان خال العامل وأحمد بن زكريا اليناعى الهمدانى وميمون بن محمد المدانى وإسحق بن إبراهيم الحمزى، ومازال كل واحد منهم يقاتل حتى يقتل بعد الذى قبله وتلاههم إبراهيم بن محمد الخولانى وأحمد بن عبدالله الخولانى وغيرهما، حتى استشهدوا كذلك، ولما اشتد الحال بالعامل وبقية أصحابه قالوا له قد أدينا مايجب الله ولك علينا. قال: نعم جزاكم الله خيراً. فقالوا: نحن نقيكم بأنفسنا ونستودعكم الله وهو خليفتنا عليك. وخرجوا خروجه رجل واحد فلم يزالوا يقاتلون حتى قتلوا جميعاً. ثم خرج العامل إلى القوم فحمل عليه أحمد البشرى فضربه العامل ضربة قطعت ابهام يده، فحملت بنو الحارث على العامل حملة رجل واحد فأصابوه بنبل كثيرة فى وجهه، ومازال يضربهم بسيفه حتى ابعدهم واستمر يجالد شجعانهم حتى ضربه الحارث بن الحارث بسيف من خلفه فأسقطه إلى الأرض، ثم وضعوا فيه سيوفهم وقطعوه وسلبوه ثيابه وغيرها وأخذ منصور بن هاشم الذهبى خاتمه وكان نقشه «شرى نفسه لله محمد بن عبيدالله» ثم وضعوا سيوفهم فى النساء والأطفال، وقتلوا الحسن بن العامل، وكان فى ست سنين وغيره ممن عمره دونه، وقطعوا رأس العامل وطافوا به فى نجران. ثم كان دفن جثته فى موضع البلاط بالقرب من قرية الهجر بنجران . . .

انتهى ملخص من سيرة الهادى لعلى بن محمد بن عبيدالله العباسى العلوى .

وفى ترجمة العامل محمد بن عبيد الله بن عبد الله بن عبيد الله بن الحسن بن عبيدالله بن العباس بن على بن أبى طالب وولده علي بمطلع الدور للقاضى أحمد بن صالح أبى الرجال؛ أن محمد بن عبيدالله كان عاملاً كبيراً فاضلاً شهيراً فارس بنى هاشم المفضل خرج مع الإمام الهادى من الحجاز وولى له نجران وبنى الحارث فكان له يوم كيوم الطق مع الحسين بن على وقبره بمدينة الأخدود بنجران، وهو أحد ثقات الإمام الهادى وثار به الهادى وأوقع بينى الحارث ومن ظاهرهم . وحفيده هو السيد العلوى قمر آل الرسول على بن موسى بن أبى جعفر محمد بن عبيدالله العلوى توفى سنة تسعة وتسعين وثلاثمائة للهجرة وقبره بصرح جامع صنعاء غربى الصومعة الشرقية .

ورثى العامل ولده على بقصيدة طويلة منها:

منع الحزن مقلتى أن تناما	وذرى الدمع من جفونى سجاما
يوم ناديت حى الأخلاف للنصر	على مذحج وناديت ياما
ودعونا لنصرنا الوادعيين فلم	ينصروا الإمام الهماما
لا يجيبون صارخا قام يدعو	بالحمدان انصروا الاسلاما
ودعونا ثقيف كى ينصرونا	فأجابوا ولم يكونوا لثاما
فخرجنا بهم إلى حار كعب	بخيول إلى العدو ترامى
فأنا الخبير يخبر أن قد	قتل الهاشمى وذاق الحماما
فقلت حارث بن كعب شريفاً	خير من وحد الاله وصاما
قتلوه فافحشوا القتل فيه	حين اصخى لديهم مستظاما
كان حرزاً للمسلمين وكهفا	ورجاءً ومعقلاً ونظاما

قتل الله مذحجاً شر قتل

بابى جعفر وأصلوا غراما

وجزى الله والدى غرف الخلد

وأعطاه جنة وسلاما

فلقد كان وافي العهد لله

وبالحق والهدى قواما

عبد الله واستقام على الحق

وأوفى بالبيعتين الإماما

فضائع ابن فضل بزبيد ثانية

فى صفر سنة سبعة وتسعين ومائتين للهجرة خرج على بن الفضل من مذيخرة قاصداً زبيد مرة ثانية فانهمز صاحبها ابن خارج إلى المهجم، فاستباحها ابن فضل، وقتل كثيراً من أهلها، وسبى من نساءها، وأقام بها سبعة أيام، ثم نصب عاملاً عليها، وعاد مذيخرة، فرجع إلى زبيد صاحبها ابن خارج وطرد عامل ابن الفضل.

ليلة الإفافة

قال البهاء الجندى الشافعى فى تاريخه: انهمك ابن الفضل فى تحليل محرمات الشريعة وإباحة محظوراتها، وعمر داراً واسعة يجمع فيها غالب من تابعه نساءً ورجالاً متزينين متطيبين ويوقد الشمع ساعة ثم يطفئه ويضع كل واحد من الرجال يده على امرأة ويقع عليها ولو كانت من محارمه ... إلخ.

ومثله حكاه صاحب سيرة الهادى. وأنه لما بلغ الهادى ذلك بعث على بن محمد بن عبيدالله العباسى فى جماعمة من أصحابه نحو صنعاء، وكتب إلى الدعائم أن يسير معهم، ففعل، وساروا فدخلوا صنعاء فى التاسع عشر من رجب سنة سبعة وتسعين ومائتين للهجرة، واخرجوا عامل القرامطة منها. ثم أرسل الهادى ابنه المرتضى فى جماعمة من خولان وهمدان فدخل صنعاء فى العاشر من شعبان وبعث عماله إلى مخالف مقراء وإلهان وحراز وغيرها فدخلت فى الطاعة وقتلت من دعاة القرامطة

جماعة وأمنت العشائر، وبلغ ابن كباله ذلك وهو بتهامة مع مظفر بن خارج، فقدم إلى الهان فمال إليه الكثير من الناس رغبة في الفساد، ثم أرسل إلى حراز من أخرج عنها أصحاب الهادي، فكتب الهادي إلى ابنه بالانصراف وعدم الحرب لابن كباله لئلا يجتمع عليه حرب القرامطة وابن كباله؛ فعاد المرتضى إلى صعدة من صنعاء. ثم وصل القرامطة من شبام إلى صنعاء فلبثوا بها أربعة عشر يوماً لم يجدوا فيها أحداً، ثم قدم جراح بن بشر من تهامة. وفي ذى الحجة نهض من قرية قدم أسعد بن أبي يعفر فدخل صنعاء ليلة النحر للقضاء والخطبة فيها عبد الأعلى بن محمد بن الحسن بن عبد الأعلى بن إبراهيم بن عبد الله الأبنأوى وأقام أسعد بصنعاء وابن كباله بدمار.

سنة ثمان وتسعين ومائتين للهجرة

في ربيع الأول سنة ثمان وتسعين ومائتين للهجرة خرج أسعد بن أبي يعفر من صنعاء إلى شبام لحرب القرامطة بها فكانت الحرب ودخل أسعد شبام وطرده القرامطة، ثم عطفوا عليه من حصن ذخار كوكبان فأخرجوه عن شبام، وقتلوا عبد القاهر بن أحمد بن أبي يعفر، ثم وصلت لأسعد مادة من ابن كباله من دمار فعاد إلى حرب القرامطة وأخرجهم من شبام وصعد الجبل فطردهم عنه في ذى الحجة سنة ثمان وتسعين ومائتين للهجرة ثم بلغه نهوض ابن الفضل من مذيخرة نحو صنعاء فرجع أسعد عن شبام إلى صنعاء.

آخر حروب الهادي

قال مؤلف سيرته: روى أصحابنا أن آخر حروبه بوادي نجران، وقد كان عليلاً من مرضه الذي مات منه، وأن العدو قصده إلى قرية الحصن بنجران فخرجت خيوله وكان مريضاً لم يخرج معها، فلما تراءى الجمعان كانت حملة العدو على أصحاب الهادي فولوا مدبرين وقتل يوسف بن أبي حرب العنسي من أصحابه، فلما رآه

الهادى خرج مريضاً، ورأى أصحابه قد انهزموا فوبخهم وقال: حين تخلفت عنكم ساعة وجد العدو فيكم مدخلاً ولم تعطفوا على أخيكم وتنقذوه من يد العدو، ولقد فسدت قلوبكم ولن تروا من بعدى إماماً تقاتلون معه. وأكثر توبيخهم حتى صححوا التوبة وجددوا البيعة وكانت وفاة الهادى لعشرين ذى الحجة سنة ثمان تسعين ومائتين للهجرة.

نصيحته لبنى عمه بالحجاز وغيره منها:

نفى النوم عن عيني هم مضاجع	وخطب جليل فهو للنوم مانع
أفكر فى الدنيا وتافه شأنها	كما طال فكرى والعيون هواجع
سبتهم بحسن الذوق من شهواتها	فكل لها إلف محب مطاوع
يوفر ما قد نال من فضلانها	ويذخر للوراث ما هو جامع
ويخل عن تقديم خير لنفسه	ويجزع عن إخراجه يمانع
ويمنعه التسويف عن باب رشده	ويعجل فيما ضره ويسارع
ويذخره حتى يكون كأنه	إلى ماله بعد المنية راجع
أليس عظيماً أن يسالم مبطل	ظلوم لأهل الحق فالحق خاضع
قتيل قليل أهله ومضيع	فساحته فقر قواء بلاقع
وعطّله أنصاره وحماته	فقد درست أعلامه والشرائع
وآل رسول الله قد شغلتهم	عيون وأموال لهم وزرائع
وحقد وإحياء الضغائن بينهم	ولم يجمعوا فيه وقل المطاوع
أرى الطالبين الأسود تخاذلوا	فمنهم مدان للعدى ومصانع
ولم يطلبوا إرث النبوة بالقنا	ولم يمنعوه والرماح شوارع

أرى حقهم مستودعا عند غيرهم
هلموا إلى ما يورث الفخر والسنا
فلو عضدتني عصبة طالبيه
وصبر على البلوى إذا نزلت بها
إذاً ملكوا الدنيا وذل عدوهم
ولكنهم أضحوا وأمسوا كآيسٍ
فذرية المختار فى عقواتها
شديد عظيم أن تسيروا أذلة
فشدوا وصونوا دينكم وتحاشدوا
كذلك أنتم آل أحمد فانهضوا
فما العز إلا الصبر فى حومة الوغى
هل الملك إلا العز والمجد والهدى
يقلب بطن الامر فيه لظهره
يموت الفتى منا بكل مهند
فتلك من منايانا وإنالمعشر
أبونا امير المؤمنين وجدنا
نهضت ولم أعجل وقلت مواظا
وكم قائل فى نفسه وضميره
فكيف غناء الكف عند اجتهداها

ولا بد يوما أن ترد الودائع
فما عز قوم أمرهم متنازع
لهاشيم محمودة ودسايع
جحاجح فى اسياها السم نافع
ولم ير فى روضاتهم وهو راتع
مدار فيعطى تافهاً وهو قانع
وفى الأرض قد ضاقت عليها المواضع
وأنتم ليوث حين تخشى الزعازع
وقوموا فأنتم مرهفات قواطع
بجيش كسيل حدرته الجراشع
إذا برقت فيه السيوف اللوامع
وأفضلكم من هذبتة الطبايع
ويمضى إذا ما أمكته المقاطع
وأسمر مسنون الشبا وهو دارع
من الناس فى الدنيا النجوم الطوالع
رسول الذى منه أتتنا الشرائع
ذخائر علم ان وعاهن سامع
أيا واعظاً فى ذا كلامك ضائع
إذا لم تعنها بالفعال الأصابع

بنيت لكم بيتاً من المجد سمكه

فاضحى لكم عزبه ومفاخر

نعشت كتاب الله بعد خموده

وحرمت ما قد حرّمته نواطع

ولا أمت أحكام الكتاب بأسرها

فطال بفضلى كل آل محمد

وشيعتهم عالون فى كل حجة

وجوهمم تزهو بنور فعالهم

لأنهم أحيوا كتاباً وسنة

نقمتم علينا فى العطية فاسمعوا

ألم تعلموا أنى أجود بمهجتى

ولست وبيت الله اذخر عن اخ

ألم تفهمونى فى بدى أموركم

وإنى لأحمى ان أبيت بغبطة

ولست إذا أعطيت أبقى بقية

فما احد يسعى لينعش عزكم

فلا راتق ما قد فتقت على العدى

تظنون أن المال عندى مراكم

ولست -بنى عمى- أخاتلك فاعلموا

دوين الثريا فخره متتابع

وذكر وفضل شامخ المجد يافع

فليس بغيرالحق يزعم زامع

من آى كتاب الله غر جوامع

كما لا أم الذود الشتيت المشائع

وكل عزيز منهم متواضع

وأمرهم فى آل أحمد جامع

إذا فخروا طالوا على من ينازع

بها شهدت عند الفخار الصوامع

فما القول إلا ما وعته المسامع

ومالى جميعاً دونكم وأدافع

إذا نلت ما فيه الغنى والمنافع

وفى صغر منى وإذ أنا يافع

بطيناً وجارى مقتر وهو جائع

ولست إلى ما لا يحل أطلع

سواى وهذا عند ذى اللب واقع

ولا واضع فى الحق ما أنا رافع

وإنى به عنكم ضنين ممانع

وليس عن الأموال مثلى يدافع

أبى الله لى هذى الفعال وهمنى
وإنى قصدت الله فى الأمر كله
ومن بايع الرحمن لم يبع غيره
أبعد مشيب الرأس والعقل والنهى
فلو إن أرض الله طراً بأسرها
لجدت بها -والله قولة صادق-
بنى العمم إنى فى بلاد دنية
وليس بها مال يقوم لبعضها
سلوا الناس عنها تعرفوا ما جهلتم
نسيتم محاماتى عليكم ودونكم
فان لم تكافونى بفعلى فتحسنوا
بنى عمنا الدنيا تدور بأهلها
فلا تياسوا منا لعل أمورنا
فللدهر حالات تقلب اهله
وليس أخو الأيام إلا مناظرا
عليكم سلام الله ما ذر شارق

وان آمرؤلا تعترينى المطامع
وإنى له عبد مطيع مبايع
وذو البخل بالاموال -والله- جائع
صبوت إلى الاموال إنى لطامع!
وأمثالها أضحت حوتها الاشاجع
لكلكم صدرى بذلك واسع
قليل وداها شرها متتابع
وساكنها عربان غرثان جائع
من أخبارها خير الرجال المطالع
وذلك مفهوم لدى الخلق شائع
فلا تأتنى منكم -هديتم- قطائع
وايامها عوج -هديتم- رواجع
سيسعفها دهر موات مشايح
فيخفض مرفوع ويرفع تابع
عواقبها لا أعوج الرأى جازع
وما سجعت فوق الغصون السواجع

توعده لولاية الجور بالعراق وغيره

ألا أبلغ ولاية الجور عنى

مقالة صادق فيما يقول

بأنى إن سلمت لكم قليلا
 ترونى فى كئائب مرغمات
 من اليمن الذى فيه مقال
 على حصن مسومة كرام
 بايديهم بواتر قاطعات
 اذا استعر الصدام بصحن قاع
 وثار النقع واختلطوا جميعاً
 ولم يعرف أخ فيها أخاه
 فحينئذ ترونى غير فاءٍ
 أضرب فى جماجمكم بماض
 أكرعلى عتاتكم كميتا
 تحف به قبائل أهل بأس
 وحولى المؤمنون أولوا المعالى
 فينصر ديننا ذو العرش ربى
 أعدل فيكم عوجاً وميلا
 وأحكم بالكتاب كتاب ربى
 واقفوا سنة المختار جدى
 فيلقى الجور قد هتكت عراه
 ويضحى الحق أبلج مستبينا

وتنسينى منيتى العجول
 أنوفكم إذا حضر الصقيل
 من الرحمن جاء به الرسول
 خلال القسطلين بهم تجول
 بها من ضرب هامكم فلول
 وخلى عن خليلته الخليل
 وكلت من مطاردة خيول
 سوى أن الشعار لهم دليل
 ولكنى خلالكم مثل
 له فيها اذا استولى صليل
 شديد الأسر همته الصهيل
 يمانيون عزهم أصيل
 وحولكم الاراذل والجهول
 فتلقوا فى الإسار لكم عويل
 وعاد الحق دهرأ ما يحول
 فقد حارت عن رأى العقول
 وما قد قاله البر الوصول
 ويعقب عزه ذل طويل
 وبعد السخط قد رضى الجليل

وعاد الناس فى عدل جميعاً

وأشبت الأرامل والكهول

ومسكين وأيتام ضعاف

ويكسى فيه عريان ذليل

ويقضى عنهم غرم ودين

ويأمن فيهم لهم السبيل

ويقسم فيئهم فيهم جميعاً

كثير المال منه والقليل

ويصبح راعماً إبليس حقاً

ويرضى الله ليس له عديل

وهذه خلاصة سيرة الهادى من تحفة المسترشدين

أول من جدد فى قطر اليمن

للدين من آل النبى المؤمن

وقام بالإمامة الشرعية

ووطد الخلافة المرعية

يحى أمير المؤمنين الهادى

وناعش الدين بهذا النادى

ابن الحسين الحافظ ابن القاسم

سليل إبراهيم ذى المكارم

سليل اسمعيل ديباج الصفا

سليل إبراهيم شبه المصطفى

ابن المثنى الحسن بن الحسن

ابن على سيف رب المن

اقضى الورى زوج البتول الزهرا

بنت ختام المرسلين طرا

مولده فى (همر) بيثرب

جوار طه جده خير نبى

وقد روت جدوده فيه الخبر

عن جدهم بانه متى ظهر

يأمر بالمعرف فى قطر اليمن

ويبدل المنكر فيه بالحسن

روايته ومصنفاته

ثم روى العلوم عن أبيه	حفاظة الآل وعن عميه
عنهم سماع ثم بالرواية	عن علماء قادة أئمة
كما لك وعابد الرزاق	وابن جريج مفخر الآفاق
وابن ابى شيبة مولى المسند	ونحوهم من حافظ ومسند
فملأت علومه الأقطار	وجاوزت عن قطره البحارا
واغترفت من بحرهِ الورد	واعترفت بعلمه النقاد
وسل مفاتيح الإمام الرازي	فى سورة التوبة عن إيجاز
وانظر إلى الأحكام والفنون	فى الفقه والزهد بلا ظنون
وسفره التفسير للقرآن	جميعه وللغريب الثانى
والبالغ المدرك والمنتخب	ومرشد المسترشدين النجب
والخشية التوحيد والديانة	والجملة التثبيت للإمامة
وعدد المنصور أربعينا	تأليف يحيى الناعش اليقينا
ونظمه المشهور ما بين الورى	فى المدن الكبرى وفى جل القرى
ونثره من أجود الكلام	ومنه ما معناه فى نظامى
العلم مصباح صدور العلما	والورع الزيت له عند الظما
والورع الصحيح والمكالة	على الدنى بينهما مجانة
كالماء والنار على طول المدى	ضدان لا يجتمعان أبدا
وكل من رغبته شديدة	فى جمعها كطالب المكيدة

لنفسه بكاذب التأويل
وكلحسود لايريح قلبه
ويجعل العظيمة الكبيرة
ونحوها فى الحكم المفيدة
مقتحماً فى المهلك الوبيل
ولا يزيح غمه وكربه
من فعله كأنها صغيرة
من درر منثورة فريدة

وصوله اليمن سنة ثمانين ومائتين للهجرة وعوده الحجاز

عن طلب الأعلام والأعيان
أتى إلى صعدة من شام اليمن
وسار حتى أم وادى الشرفة
اغتصبت خوخاً على الرعية
يا قوم والله المعيد المبدى
حقاً أو النار فما المخازى
فحدثت من بعده باليمن
فراجعوه وهو بالرس وفى
بحل أنحا الأفق اليمانى
هادى الورع يحيى الإمام المؤمن
شمال صنعاء فى صحاب مسرفة
فصاح فيهم أعدل البرية
ما هى إلا سيرة كجدى
هاتى وفوراً عاد للحجاز
حوادث من فتن ومحن
طيبة طه بالمقام الأشرف

وصوله الثانى سنة أربع وثمانين ومائتين للهجرة ومبايعته

ثم أتى يحيى فبايعوه
فى أربع بعد الثمانين مضت
وأقسموا بيارىء الوجود
بصعدة الفيحا وتابعوه
ومائتين قبلها قد انقضت
على الوفا للحق بالعهود

فقال شرطى لذوى الإيمان

حكى بما فى محكم القرآن

وسنة المختار جدى أحمد

بلا محابة ولا تردد

وثانياً تقديمكم عند العطا قبلى وتقديمى إلى الأعدا الخطى

والشرط لى على ذوى الايمان

النصح فى سر

وفى إعلان

وطاعة الأمر بكل حال

مهما أطعت الله ذا الجلال

والله إنى ما أكلت لقمة

مما جبيت من جميع الأمة

وإنما انفق من شىء معى

من الحجاز فاسمع القول وع

وفرق الربع من الزكاة

فى الفقرا بتلكم الجهات

وحسم الأحداث فى خولان

وغيرها بالصلح والأمان

وقابلته يام كالأحلاف

وشاكر بالبر والإنصاف

وقطع الخصام بين يام

وبين نجران على التمام

ونصب العامل فى نجران

سليل عباس رفيع الشان

ووضع العهد لأهل الذمة

وقرر القواعد المهمة

ونصب العامل فى همدان

عبدالعزیز الفاضل النجرانى

فقبض الأعشار من تلك الفرق

مجموعها خمسة آلاف فرق

توجهه إلى صنعاء سنة اثنين وثمانين ومائتين للهجرة وإرساله عماله حتى إلى عدن

وكان فى صنعاء أجل ناحية	أميرها المدعو أبا العتاهية
يُنكر أفعال بنى طريف	وظلمهم للمسلم الضعيف
وظلم من كانت من الأعاجم	تعرف فى صنعاء بالجفاتم
فكتب الهادى إلى الحق القويم	وبعدها أرسل للفوز العظيم
شقيقه الجراح فى رجال	فبايعوا الهادى على الكمال
فانتقل الإمام هادى الأمة	إلى ربى خيوان ثم ريده
وسار منها نحو حدقان	فى رجله الجمل وفى فرسان
وفيه وافاه أبو العتاهية	مبايعاً متابعاً على نية
فانتقل الهادى إلى أزال	لطمس آثار ذوى الضلال
وسار من صنعاء إلى شبام	ثم انثنى إلى الحدا بالعام
ودار فى سمح وفى ذمار	وفى يريم وحمى ظفار
وأرسل العمال أعيان الزمن	إلى جهات عدة حتى عدن
عاملها على الدركاني	والرازى العامل فى جيشان
والرسمى كان على رداع	وغيرهم فى سائر البقاع

ثورة ابن محفوظ ورجوع الهادى عن صنعاء

وثار فى صنعاء ابن محفوظ ومن
إليه من غوغاء فى أم اليمن

فطردوا عاملها للهادى
وأطلقوا من سجنه للمعتدى
فازمع الهادى على المسير فى
وذكر الأعداء فى شبام
وخلفهم للوعد تلو الوعد
وعاد منها ريدة فى فئة
ودخلوا ريدة نحو الهادى
وبدد الجمع بذى الفقار
الخيلى فى الهيجاء كالمثقف
بالصبر والإبلاء والإقدام
وطلب المولى أبو العتاهية
فساعد الهادى وعاد صنعاء
وآمن الناس بصنعاء وثلا
آية لا تثريب لا عليكم
فسر كل الناس فى صنعاء اليمن

نجل سليمان أخوا السداد
وأرجعوا الخطبة للمعتضد
أهليه والأتباع والخل الوفى
بنكتهم للعهد والذمام
ونقضهم للعهد تلو العهد
فثارت الأعداء مع صعصعة
فصال فيهم صولة الآساد
وقال فى النظم الشهير السارى
تشهد لي وذا الفقار المشرفى
وضربى الهامات للطغام
عود إمام الحق خير ناحية
وقد أسا فيها الطغاة الصنعاء
من محكم الذكر على جل الملا
مما مضى يعفو الإله عنكم
ما كان من عفو وتأمين ومن

حروب جنوب صنعاء والدرب

وجهز الهادى أبا العتاهية
وخرج الهادى إلى من فى علب
جنوب صنعاء فى رجال عادية
فانهزم الخصم وولى وانقلب

وعادت الأعداء فى ألوف

فخرج الإمام فى شجعان

وانتقل الحرب إلى درب القطيع

وطارد الهادى بسيف متضى

جميع من قد كان بالدروب

وجاهد الإمام بعد العيد

فاستشهد المولى أبو العتاهية

ومثله استشهد فى الجهاد

وغيرهم ممن قضى فى علب

مُحتلةً لنقم المنيف

وكان ما كان من الطعان

بنفس صنعاء ودهى الخطب الفظيع

ونجله البدر الإمام المرتضى

فخرج القهار للكروب

عداه فى مهامه وييد

فى حرب حدين وتلك الناحية

نجل سليمان قريب الهاد

ونقم من الكماة النجب

حرب ظبوة وسقوطه عن فرسه ومسيرة صعدة

وكان فى ظبوة أى حرب

ورجم الأعداء ذوو العناد

فسقط الجواد بالإمام

بحجر فخر مغشياً عليه

وحاولوا الطعن له فى الحال

سليhle محمد سيف القضا

واستشهدت فوراً بتلك الناحية

وصاح فى القوم أولى العناد

ومعرك فيه قد أشد الضرب

بحجر عظمى جواد الهاد

ثم رماء أخبث اللثام

فبادروه الضرب والرجم إليه

فحال دون الطعن بدر الآل

جبريل أهل الأرض وهو المرتضى

من ذب عنه من ليوث عادية

صائحهم: مات الامام الهادي

فعطفت اتباعه عليه

وأرجعوا جواده إليه

ومرض الهادي بصنعاء فى جماد

ونفذ المال لديه والعتاد

وسار عن صنعاء جمادى الآخرة لصعدة وأهله وناصره

فطلبت أشياخ آل يعفر

عود الإمام البرزاقى العنصر

فسار فى قوم إلى خيوان

وريدة ثم إلى خولان

وسار من خولان فى عساكر

حتى إلى قرية بيت حاضر

حروب مدرّ وإتوة وأسر المرتضى

وسار يحيى بعدها إلى مدر

وإتوة شمال صنعاء فى نفر

فقصدته اللؤما آل طريف

عبيد آل يعفر عدا الشريف

وحملوا حتى أحاطوا بالإمام

فى معرك من خلفه ومن أمام

وطعنوه طعنات عدة

فى وجهه بغلظة وشدة

وأسروا محمداً نجل الإمام

فى إتوة حال القتال والصدام

إذ خاناه المهر الضعيف العاجز

حال التحام الحرب والهزاهز

وإتوة معروفة فى أرحب

وأسره منها بأثنا رجب

وأركبوه بغلة إلى مدر

ثم إلى صنعاء وبالسجن استقر

وقد لقى أىّ عَنَى وبؤس

بسجن صنعاء ثم بيت بوس

ولبثه فى السجن نصف عام

وثلاث نصف العام بالتمام

وسار يحيى بعد تلك الشدة لورورٍ ومنه سار صعدة

مسير الهادي إلى تهامة

تطلبه لدفع أى هامة	ووصلته الكتب من تهامة
ونحوه من مستغيث مسلم	وكرر الكتب إليه الحكمي
٧٣ تهامة حتى انتهى للعبيرة	فسار واستصحب معه عسكره
وقد علا الناس السرور والشره	فطلبوا نزوله فى طرطرة
بعلف أو مؤنة أو درهم	لمنعه تكليف أي مسلم
يأخذه أي ظلوم دايمًا	وقوله لا نستجيز أخذ ما

فضائع جنود ابن الفضل بصنعاء وتهامة

هاجم صنعاء جند شر مجرم	وثالث التسعين بالمحرم
أطفى الورى فى قوله والعقل	جند على المارق ابن الفضل
جميعها فى ليل كفرخابطة	خمسة آلاف من القرامطة
ليلاً من الباب بلا ارتياب	أدخلهم مهلب الشهابى
واقترفوا المنكر والفظائعا	فقصدوا غمدان ثم الجامعا
والفتك بالإناث والذكور	ونهب جلّ الدور والقصور
والخلق فى مذلة وقهر	ودامت الحالة نصف شهر
فى منبر الجامع للعباد	وصرح المارق بالإلحاد
فذاذه الأبطال أصحاب الشرف	وسار من صنعاء إلى صفع الشرف
تهامة ففعل الفعل الشنيع	فعاد صنعاء ثم سار فى ربيع

رجوع الهادي صنعاء وطرد القرامطة

ورابع التسعين نادى الهادي	أعيان صنعاء وشيوخ النادي
فعاد من صعدة صنعاء للجهاد	وطرد أرباب الفساد والعناد
وسار من صنعاء إلى ذمار	سليله بدر الهداة الساري
فقصدته فرق القرامطة	وعصب القوم اللثام القامطة
فعاد من ذمار بدر آلال	إلى أبيه وهو في أزال
يدافع الأعدا ذوى الضلال	عبيد آل يعفر الحوالي
وعاد هادى المسلمين صعدة	من بعد أهوال وأي شدة
فاحتل ذو الطوق اللثيم اليافعى	صنعاء بجند المارق المخادع
فاستدعت الأعيان من صنعاء الإمام	خامسة فجاء بالجيش اللهم
يقوده علي العباسى	والمرتضى طود العلوم الراسي
ففارقت صنعاء جنود المارق	واحتلها أنصار دين الخالق
فعاد فى أول يوم من رجب	صنعاء ابن فضل فى خميس ذي لجب
وانتهبت جنوده المدينة	ومن بها من أمة مهينة
وسابع التسعين تجهيز الإمام	أجناده يقودها الليث الهمام
فدخلت فى رجب صنعاء اليمن	وأخمدت نيران أرباب الفتن
وطردت عامل شر الخلق	على الفضل عدو الحق

وأم في شعبان صنعاء المرتضى
وعاد في شوال نحو الهادي

وبعث العمال منها للقضا
عن أمره المقرون بالرشاد

آخر جهاد الهادي والخطبة له بمكة ووفاته

وثامن التسعين سار المؤتمن
وجدد الأحكام للشرعية
وخطبوا في مكة أم القرى
وجاهد الفجار والقرامطة
حتى دعاه باري البرية
بصعدة في ثامن التسعين
صلى عليه الله من مجدد

هادي الوري يحيى إلى ريع الحضر
وبدد المظالم الشنيعة
سبعة أعوام له بلا امترا
بذي الفقار فأباد القاسطة
إليه في عشرين من ذي الحجة
عن عمر الثلاث والخمسين
بعلمه وسيفه المجرد

ما جاء في اليمن وأهله

وقد روى الحفاظُ للتنزيل
والراسخون في فنون العلم
فضائلاً لقطرنا اليماني
كقول من خلّقه براه
منه بقوم حبه رب السما
أذلة على ذوي الإيمان

وضابطو الألفاظ للتأويل
والخائفون منه كل يم
وأهله تبقى مدى الزمان
في وحيه فسوف يأتي الله
وهم أحبوه تعالى منعما
أعزة على عدّى الرحمن

يجاهدون فى سبيل الله
فهذه خصوا بها فى المائدة
والناس هم فى ورأيت الناسا
ولا يخافون كلام الناهي
ويالها من صلة وعائدة
فى سورة النصر فكُن نبراسا

فى تفاسير الطبرى والكشاف وفتح القدير وغيرها فى قوله تعالى فى سورة المائدة: ﴿ فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ﴾ أن المراد بهم أهل اليمن ، وفى مفاتيح الغيب فى قوله تعالى: ﴿ ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ﴾ أن المراد بهم أهل اليمن .

وخص طه الأفق اليمانى بالفقه والحكمة والإيمان
وقال: قد أتاكم أهل اليمن أرق منكم قال سراً وعلن
والله أكبر جاء نصر الله والفتح إذ جاءوا رسول الله
وأنها نقية قلوبهم حسنة طاعتهم وتوبهم
وقال إني لبعقر حوضى أذود عنهم فى حديث الحوض
وقال طه: وأنا يمانى وقال منه نفس الرحمن
وقوله: هم خير أهل الأرض ونحوه بمثل هذا يقضى
فعوا كلام الله والمختار فى موئل الايمان والأنصار
والأزد أنصار رسول الله منه بلاشك ولا اشتباه

حديث «الإيمان يمان والفقہ يمان والحكمة يمانية» فى الأمهات الست وغيرها مشهور. وفى تفسير ابن جرير الطبرى وغيره عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الله أكبر جاء نصر الله والفتح وجاء أهل اليمن قوم رقيقة قلوبهم لينة طباعهم؛ الإيمان يمان والفقہ يمان والحكمة يمانية». وقال ابن حجر فى فتح البارى: أخرجه البزار. وفى باب صفة الخوض فى صحيح مسلم عن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني لبعقر حوضى أذود الناس لأهل اليمن أضربُ بعصاي حتى يرفض عليهم». وفى الجامع الكبير للسيوطى عن عمرو بن عبسة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خيار الرجال أهل اليمن؛ الإيمان يمان وأنا يمان». رواه أحمد بن حنبل والحاكم فى المستدرک والطحاوى عن سلمة بن نفيل قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «يطلع عليكم أهل اليمن كأنهم السحاب هم خير أهل الأرض». الحديث أخرجه أبو يعلى والبزار والطبرانى.

والأزد قبيلة من اليمن أبوهم الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن يزيد بن كهلان وكانت بلادهم مأرب وأرض سبأ فى مشارق صنعاء ومنهم الأوس والخزرج ودوس. وفى فتح البارى الأنصار: اسم إسلامى سُمى به رسول الله صلى الله عليه وسلم الأوس والخزرج وحلفاءهم.

المرتضى بن الهادى

مولده بالحجاز ٢٧٨ هـ دعوته بصعدة ٢٩٩ هـ

وفاته فى محرم بصعدة ٣١٠ هـ

هو الإمام الأواه المرتضى محمد بن الإمام الهادى يحيى، مولده سنة ٢٧٨ هـ وأمه فاطمة بنت الحسن بن القاسم الرسى وبفضله كان يلقب بجبريل أهل الأرض.

روايته ومصنفاته

روى العلوم عن أبيه وغيره ، وله مصنفات عديدة منها: «تفسير القرآن» سبعة أجزاء ، نقل منه كثيراً السيد عبدالله الشرفي في تفسيره «المصابيح» .

وكتاب «الأصول في العدل والتوحيد» وكتاب «النبوة» وكتاب «الإرادة والمشيئة» وكتاب «الإيضاح» وكتاب «التوبة» وكتاب «فضائل أمير المؤمنين على كرم الله وجهه» وكتاب «الرد على الروافض» وكتاب «الرد على القرامطة» وكتاب «الرضاع» وكتاب «مسائل الطبريين» خمسة أجزاء . وكتاب «البيوع» وكتاب «مسائل المعقل» وكتاب «مسائل عبدالله بن سليمان» وغيرها مذكورة في كتاب «الشافعي» للمنصور عبدالله بن حمزة وفي غيره وتقدمت نبذة من أشعاره وهو بالسجن .

بعض مزاياه

في تراجمه المطولة بكتاب الإفادة لأبي طالب وكتاب «اللائي المضيئة» للشرفي وكتاب «الحدائق الوردية» للفيقيه حميد الشهيد . أنه نشأ على التقوى واليقين ، وأما ورعه وزهده فلا يفتقر إلى برهان ، وكانت له المواقف في الجهاد مع والده الذي وصفه بهذه الابيات وهو أعرف الناس به :

ومن طاب مولوداً ومن طاب ناشئاً	ومن فضله قد شاع في البر والبحر
ومن لا ترى فيه لعمر كزلة	ومن لم يزل طهراً على غاية الطهر
ومن لم يزل يعلو إلى المجد شامخاً	ومن هو أصل للمهابة والفخر
ومن هو أمار بكل فضيلة	ومن هو مفضل على العسر واليسر
ومن هو للأرحام أوصل وأصل	ومن هو أصل في التعطف والبر
ومن هو لا يجفو أخاً طول عمره	ومن لا تضعضه الشدائد في العصر

ومن هو حتف للعدو لدى الوغى

ومن تعرف الأقران فى الحرب فضله

أبا قاسم تفديك نفسى من الردى

وطال فدتك النفسُ عمرُكُ فى البقا

ومن قصيدة له فى سجنه

كدر الوردَ علينا والصدر

أيها الأمة عودوا للهدى

حكّموا القرآن فيما بيننا

إن قول الله أشفى لكم

واتبعوا ما قال يحيى لكم

إن للسيف علينا حرمة

وسم قتل للأعداى ذوى الجبر

إذا التقت الأبطال فى معرك وعر

ومن كل ماسوءٍ ومن كل ما شرٍ

وكان بأمر الله أطول من عمرى

فعلُ من بدل ديناً وغدر

واتبعوا الحق بنورٍ وبصر

واتركوا عنكم أحاديث السمر

أيها الناس بإيضاح النذر

فيه تنجون من حر سقر

وبه نسطو على من قد ختر

خطبته عند بيعته وخطبته عند استقالته

لما توفى والده اجتمع الناس بصعدة ونواحيها إليه وأجهشوا بالبكاء فلما سكتوا قال: جزاكم الله من أهل محبة وولاية خيراً ونعم الإمام كان لكم الهادي الناصح لكم، كان والله حريصاً على إرشادكم طالباً لإصلاحكم حاملاً لكم على ما فيه نجاتكم داعياً لكم إلى ما قربكم إلى الله، زاجراً لكم عما يباعدكم من الله، حاكماً فيكم بالعدل والقسط لا تأخذه فى الله لومة لائم ولا عذل عاذل. على مثله فليكثر البكاء والأحزان والندم والحسرة والأشجان. ولكن المرجع إلى الله -عز وجل- فى جميع الأمور،

والعمل بالتوبة والدعاء إليها والحث عليها أولى بنا وبكم ولنا ولكم فيما نزل بنا من الأمر العظيم والفادح الجسيم أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالأئمة الماضين فإننا لله وإنا إليه راجعون. رضاً بقضائه وتسليماً لأمره، والموت سبيل الأولين وطريق الآخرين، وبذلك حكم على عباده رب العالمين ، وهو حي يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، ثم بكى بكاء شديداً وقال:

يُسَهِّلُ مَا أَلْقَى مِنَ الْوَجْدِ إِنِّي مجاوره في داره اليوم أو غدا

فارتج البلد بالبكاء، وتكلم كل واحد بمبلغ رأيه وعلمه، فلما هدأت الأصوات قال المرتضى: الحمد لله رب العالمين مالك يوم الدين، ونستعينه على أداء شكر ما أصبحنا نتقلب فيه من نعمه التي لا تحصى ونحمده على ما أصابنا من خير وبلوى ونصلي ونسلم على سيد المرسلين وإمام المتقين محمد صلى الله عليه وآله وسلم. ثم إن الله أمر أمراً وفرض على خلقه فروضاً لم يرض منهم إلا العمل بها أو المسارعة إلى ما فرض عليهم منها، وأرسل محمداً خاتماً للنبيين بشيراً ونذيراً إلى جميع المخلوقين، وأنزل عليه كتاباً فيه نور مبين، وشفاء لما في الصدور لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، أمر عباده بالعمل بما فرضه وأكد عليهم الأمر بعد أن أعطاهم الاستطاعة، ومكنهم من القدرة على ما أمرهم به ودعاهم إليه، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم. ولنا -رحمكم الله- بآبناء دنيا فتكالب عليها، ولا بأهل باطل فنطلب الإمارة والسلطان والأمر والنهي من غير استحقاق وعلى غير جهة رشد وسداد واستقامه وصلاح؛ أكثركم تعلمون كيف كنتم للهادي -عليه السلام- بعد دعائكم إياه إلى بلادكم وبيعتمكم له على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وإحياء معالم الدين ومجاهدة الجبارين الظالمين، ألم ينقض أكثركم تلك العهود المؤكدة والمواثيق المغلظة، ألم ينكث جلکم إيمانكم بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً، ألم يدع أكثركم الحق جهراً واتبع الباطل وباع الكثير الباقي بالتافه اليسير الفاني؟ وكان -عليه السلام- يقاسى منكم الأمرين، وتصيبه منكم المحن المتواترة، وتعاملونه بأقبح المعاملة،

وتقابلونه على إحسانه وعفوه عنكم بالإساءة إليه والخروج عليه، فصبر على ذمهم أفعالكم وقبيح معاملتكم صبر من استحن الله قلبه للثقوى ونوره باليقين والهدى، ما قصر ولا ونى فى دعائكم إلى رشدكم وطاعة ربكم، ولا ستم من نصحكم والشفقة عليكم ولا ترك تقويم المتأود منكم ولا بخل بما حوته يده عليكم ومواساتكم بنفسه وماله لم يتعلق عليه أحد منكم بمظلمة ولا ادعى عليه أحد منكم عدولاً عن الحق وميلاً إلى الهوى ومحابة لذوى قربى؛ بل كان يعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم قد جعلهما نصب عينيه لا يفارقها ولا يدع العمل بهما، فأفعالكم وسيرتكم وطرقكم لا تحمد ولا يؤمن من الله العقوبة عليها وأنتم إلى الباطل تميلون وعن الحق تفرون، وفى معاصى الله تسارعون... إلى أن قال: فاتقوا الله وارجعوا باللوم على أنفسكم، وتوبوا إلى رب العالمين، وقوموا لله قانتين ولأوليائه موالين ولأعدائه معادين، ولأهل معصيته منابذين ولن خالف أمره هاجرين، ولأثار رسوله متبعين، وللمعصية والفسوق تاركين، وبالمعروف آمرين، وعن المنكر ناهين، وللأئمة الصالحين من أهل بيت رسول الله طائعين، واعلموا أن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

ثم بايعه الناس غرة محرم سنة تسع وتسعين ومائتين للهجرة فأقام بصعدة وفى يده بلاد همدان وخولان ونجران مدة وسير جنوده لقتال القرامطة فقتلوا فى كل فج، واستقامت له الأمور حتى كان يوم الخميس الحادى والعشرين ذى القعدة سنة تسع وتسعين ومائتين للهجرة فجمع وجوه العشائر إليه وعاب عليهم أشياء كرهها منهم وعزم على الاعتزال والتخلي عن الأمر وقال فى خطبة خطبها عند ذلك: إنكم معاشر المسلمين أقبلتم إلى عند وفاة الهادى -رضى الله عنه- وأردتمونى على قبول بيعتكم فامتنعت مما سألتمونى ثم لم أؤيسكم من إجابتكم خوفاً من استيلاء القرمطى على بلادكم وتعرضهم للضعفاء والأيتام والأرامل منكم فأجريت أموركم على ما كان الهادى يجريها، ولم ألبس بشئ من عرض دنياكم ولم أتناول قليلاً ولا كثيراً من أموالكم فلما كفى الله المؤمنين قتال القرمطى وكان الله قوياً عزيزاً تدبرت أمرى وأمركم ونظرت إلى أخلاقكم فوجدت أموركم تجرى على غير سننها، تميلون إلى

الباطل وتنفرون عن الحق وتستخفون بأهل الصلاح والخير والدين والورع منكم ، لا تتناهون عن منكر تفعلونه ولا تستحيون من قبيح تأتونهُ ولا تتعظون بوعظ الواعظين ولا تقبلون نصيح الناصحين، عن أمر الله إلى نهيه عادلين وعما نأمركم من طاعة الله مُزَوِّرين، وإلى أعداء الله وأعداء دينه الجهال الفساق راكنين، وقد قال تعالى: ﴿ولا تركزوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالك من دون الله من أولياء ثم لا تتصرون﴾ فلما لم أجد فيكم من يعين الصادق المحق ويأمر بالمعروف ويرغب في الجهاد ويختار رضى الله على رضى المخلوقين إلا القليل من القبيلة واليسير من الجماعة أنزلت هذه الدنيا من نفسى أحسن المنازل وآثرت الآخرة واخترت الباقي الدائم على الفانى الزائل، وتمسكت بطاعة رب العالمين، وذلك من غير زهدٍ منى عن جهاد الظالمين ومنازمة الفاسقين ومباينة الجائرين، ومع علمى بالأحوال التى وصفتها والموانع التى ذكرتُها، تيقنت أن السلامة عند الله فى الزهد فى الدنيا والاشتغال بعبادة رب العالمين والاعتزال عن جميع المخلوقين واشتغالى بكتاب الله وتدبر آياته وأوامره وزواجه ومحكمه ومتشابهه وخاصه وعامه وناسخه ومنسوخه، فوجدته يوجب التبرى على من هذا الأمر إيجاباً محكماً، فاتبعت أمر الله ونزلت عند حكمه فإن تقم بعد ذلك على حجة ووجدت على الحق أعواناً وفى الدين إخواناً قمت لأمر الله طلباً لثوابه، حاكماً بكتابه متبعاً لسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم لا أفارقه ولا أعدل عنه حتى يعز الله الحق ويبطل الباطل أو ألحق بصالح سلفى الذين مضوا لله مطيعين وبأمره قائمين وإن لم أجد أعواناً لم أدخل بعد اليقين فى الشبهة ولم ألبس بماليس لى فيه حجة وكنت كما قال تعالى: ﴿فتول عنهم فما أنت بملوم﴾ أمثلنى يدخل فى الملتبسات؟ هيهات؛ منع من ذلك خوف الرحمن وتلاوة القرآن، وإنى لست ممن تغره الدنيا بحسنها وتخدعه بزيتها فاتقوا الله عباد الله حق تقاته، وعاونوا الحق والمحقين وجانبوا الباطل والمبطلين وكونوا مع الصابرين، واعلموا أنكم محاسبون وبما كسبتم مرتهنون والسلام على من اتبع الهدى ورضى بحكم الله وآثر طاعة الله.

واعتزل -رضي الله عنه- وخلا بربه وآثر عبادته وصرف عمَّاله من بلاد همدان ونجران وغيرها ولزم منزله بصعدة وأقام بصعدة للصلح بين الناس بعض بنى عمه.

وكان الناصر أحمد بن الهادي بالحجاز فقدم بعد ذلك إلى صعدة فأشار عليه المرتضى بالقيام، وكانت المدة من انتصاب المرتضى إلى قيام أخيه الناصر في صفر سنة إحدى وثلاث مائة للهجرة نحو ستين وأشعاره كثيرة سهلة سليقة.

وفاة المرتضى

وتوفي بصعدة في محرم سنة عشر وثلاث مائة للهجرة عن اثنين وثلاثين سنة من مولده وأولاده الذكور تسعة: القاسم وإسماعيل وإبراهيم وعلي وعبدالله وموسى والحسن والحسين ويحيى القائم بالديلم الملقب بالهادي.

وقلت في تحفة المسترشدين بذكر الأئمة المجدين ومن قام باليمن من العترة الطاهرين:

وقام من بعد الإمام الهادي	عن عهده يدعو إلى الجهاد
سليبه محمد سيف القضا	جبريل أهل الأرض وهو المرتضى
في صعدة بعض شهور عام	وطلق الأمر بهذا العام
ولازم المحراب والعبادة	والورع المشهور والزهادة
حتى ثوى سقى الإله جدته	بصعدة في العشر بعد الثالثة
وقال السيد صارم الدين في البسامة:	
وما ارتضت مرتضانا حين طلقها	لعلم مكنون ما في الجفر من أثر
فسلم الأمر مختاراً وقلده	أخاه أحمد مغني كل مفتقر
عن رأى سادات أهل البيت عن كمل	وكل قيل من الأذواء معتبر

الإمام الناصر أحمد بن الهادي

دعوته ٣٠١ وفاته ٣٢٥

هو الإمام الناصر أحمد بن الإمام الهادي يحيى بن الحسين المجدد للدين بالبلاد اليمنية للقرن الثالث، أمه أم أخيه المرتضى الشريفة فاطمة بنت الحسن بن القاسم الرسي. حدث عن أبيه عن جده ومن مروياته كتاب «الأحكام» وكتاب «المنتخب» وغيرها، وروى عن ابن أخيه يحيى بن المرتضى القائل بالديلم، وروى عن ولده المنصور يحيى بن أحمد وأخرج له الأئمة الثلاثة المؤيد بالله وأبو طالب والمرشد بالله وغيرهم. وله مصنفات منها كتاب «النجاة» في الأصول ثلاثة عشر جزءاً وفيه علم جم، وكتاب «الدامغ» وكتاب «التوحيد» وكتاب «الفقه» وكتاب «التنبيه» وكتاب «مسائل الطبرين» وكتاب «الرد على القدريّة» وكتاب «الرد على الإباضية» وله في علوم القرآن العزيز ما يشهد له بالتبريز. وتراجمه المطولة في كتب التاريخ ومما فيها أنه نشأ على الزهادة والعبادة واقتبس من أنوار والده وعلومه وأجداده. وكان عند وفاة والده بالحجاز ثم قدم إلى صعدة في محرم سنة إحدى وثلاث مائة للهجرة.

بيعته ونُبذة من سيرته

كانت بيعة الناصر أحمد بن الهادي بصعدة في صفر سنة إحدى وثلاث مائة للهجرة، بايعه صنوه المرتضى والعلماء والسادات والمشائخ والأعيان فجدد أحكام الدين. وكانت له مع القرامطة وقعة نُفاش من بلاد الأشمور وهي مهيلة مشهورة وتعقبها وقعة المصانع في بلاد ثلا. وكان دخوله إلى بندر عدن في ثمانين ألف مقاتل ودانت له البلاد. وفي ترجمته بالحدائق للفقير حميد الشهيد أنه في ثامن صفر سنة إحدى وثلاث مائة للهجرة اجتمع إلى الناصر بصعدة وجوه القبائل واستعانوا به على أخيه المرتضى أن يقوم فيهم بعد انزاله، فكره القيام فسألوا الناصر القيام فيهم على ما كان والده فأجابهم إلى ذلك فأعطوه العهود والمواثيق على القيام معه على من ناوأه،

وكانت بيعته يوم الجمعة فى مسجد الهادى بصعدة، فركب الى صعدة القديمة
(وكانت شرقي جبل تُلْمُصْ جنوبي صعدة الجديدة بميل وربع) فاجتمع إليه خلق كثير
ما بين صعدة والغيل وأنشد الشيخ إبراهيم بن محمد التميمي قصيدة مطلعها:

عادات قلبك يوم البين أن يجبا
وأن يراجع فيه الشوق والطربا
ومنها:

قوم أبوهم رسول الله حسبهم
بأن يكون لهم دون الأنام أبا
من ذا يفاخر أولاد النبي ومن
هذا يدانى إلى أنسابهم نسا
قوم إذا افتخر الأقوام واجتهدوا
وجدت كل فخار منهم اكتسبا
تشوف الملحدون النوك إذ علموا
أن الإمام علينا اليوم قد عتبا
فقلت لا ترفعوا جهلاً رؤسكم
فيأخذ السيف من هاتيك ما انتصبا
إن الإمام وإن أبدى معاتبة
منه ليشبه فينا الوالد الحدبا
كانت أمور وكان الله بالغها
ومحنة منه قد كانت لنا أدبا
وقد تولى أمور الناس كلهم
بعد الإمام فتم الأمر أو كربا
صنو الإمام ومن سدَّ الإمام به
نهج الثغور ولم الصدع فارتابا
هذا أبو حسن والجود فى قرن
أمسى بذى يمن أمنا لمن هربا
ساس الأمور وكانت قبلُ مهمة
وقام فينا بدين الله محتسباً
إذا تحجب أهل المال واقتنعوا
لم تلفه خشية الإنفاق محتجباً
صَلَّتْ له شيم أقواله نعم
أفعاله كرم يرتاح إن طُلِّبا
يعطي الجزيل ولا يرضى القليل ولا
يجفو الخليل لذنب جد أولعبا

تحتة عصب ضاقت بهاعصب

من حولها عصب تتلو بها عصبا

رجال سعد بن سعد والربيعه إذ

أتوا إليه جميعاً جحفاً لجبا

كأنه اليم إذ جاشت غواربه

إذا تلاطم موج البحر وارتكبا

أو كالعريض إذا التفت سحائبه

وطبق الأرض والآفاق وانسكبا

راق العيون وسر المسلمون به

وساء من عاند الإسلام فاكتأبا

ها أنتم رحمة فينا لأولنا

وآخرينا فهذا الشكر قد وجبا

ثم أقبلت نجران وهمدان فبايعوه على الطاعة وبث قواده وعماله إلى جميع المخالفين،
وساس الأمور أحسن سياسة، ودانت له ملوك اليمن واستولى على أكثر أعماله.

من رسائله وشعره

من رسائله في الدعاء إلى الله والحث على الجهاد رسالة منها:

ألا إني قد رغبت فيما رغب الله فنهضت له، وقمت فيما ندب إليه فشمرت له،
وعرفت ما أمر الله فأعلنت به، ولم أسع لطلب دنيا ولا توفير مال ولا ازدهار حال
ولا طلب فساد في الأرض ولا إضاعة لحق ولا انتهاك لمسلم ولا هتك لمحرم ولا إراقة
دم حرام ولا إظهار بدعة ولا فعل شنة ولا محبة رفعة ولا إرادة رفاهية ولا مفارقة
الجمع، وإنما قمت لإلزام الحجة لي ووجوبها علي توثق أربابها بي على حين جفاء
من الإخوان وتراكم من الأحزان وانفراد من الأعوان، وليس مقامى يخفى ولا مكانى
يغيب ولا اسمى بمجهول فيعذر الغافل والمتثاقل ويجد حجة المتخاذل ويمكن المتخلف
التأول مع المحن التى أنا فيها والأمور التى أقاسيها من كثرة لائم لا يرضى وعابد للدنيا
ومطلب للسعة والغنى ومتسخط وقت لا يعطى، وما دعوت إلى الدنيا وإنى إنما

دعوت إلى ما دعا إليه من كان قبلى من الأئمة الطاهرين والعباد المخلصين أنا عبدالله وابن نبيه الشارى نفسه لله - سبحانه - الغضبان لله - جل ثناؤه - إذ عُصِي في أرضه، واستُخِفَ بفرضه، وقلَّت الدعاة إلى دينه؛ فلو أسعفتنى الأعوان وعاضدتنى الأنصار لعلوت فرسى واعتقلت رمحى وتقلدت سيفى ولبست درعى وقصدت أعداء الله وكافحت الأقران وعاطيتهم كؤوس الطعان صابراً محتسباً مسروراً إذا أشرعت الأسنة واختلفت الأعنة، ودعت نزال لملاقاة الأبطال وسالت الدماء ورضى الرب الأعلى فيالها خطة مرضية ما أشرفها فأنا أشهد الله لوددت أنى أجد سبيلاً يعز فيها الدين ويصلح على يدى أمر المسلمين وإنى أجوع يوماً وأطعم يوماً حتى تنقضى أيامى وألقى حمامى. ولو أمكن ذلك ما نزلت عن فرسى إلا وقت صلاة والصفان قائمان والجمعان يقتتلان والخيLAN يتجاولان فأكون كما قال شاعر أمير المؤمنين بصفين:

أيمنعنا القوم ماء الفرات
وفينا السيوف وفينا الجحف
وفينا الشواذب مثل الوشيج
وفينا الرماح وفينا الزعف
وفينا علي له سورة
إذا خوفوه الردى لم يخف
وكما قال جدي القاسم بن إبراهيم:

دنياى مازال همى فيك متصلاً
وإن جنابك كان المزهر الخضرا
إذا انفضت حاجة لى منك أعقبها
همٌ بأخرى فما أنفك مفتقراً
متى أرانى إلى الرحمن مبتكراً
فى ظل رمحى ورزقى قل أو كثرا
ولكن قل المعين على هذا الدين فأنا وحيد دهرى وغريب فى أمة جدى وقد شغل
بذلك قلبى وضعف عزمى

وكانت أكثر حروبه مع الباطنية والقرامطة فقد كانت شوكتهم قوية فى عصره، وكانت أعظم وقعاته معهم وقعة نفاش، وقد اجتمع فيها خلق كثير من بلاد المغرب وتهامة وقائدهم يومئذ صاحب جبل مسور عبدالحميد بن محمد بن الحجاج فأقاموا

فى نفاش وندب الناصر أمراء وقواده وكان ابتداء القتال من ليلة الأحد الثامن والعشرين من شعبان سنة سبع وثلاث مائة للهجرة وتلازم القتال فى بيت الورد. قال مصنف سيرته الشيخ عبدالله بن عمرو: لقد رأيت من نصر الله لوليه وابن نبيه الناصر للدين عجيباً؛ هربت جنود الباطنية. ونهض الجند الإمامى إلى قصر الحمودى بالقرب من نفاش وبلغت جنود الناصر إلى ألف وسبعمائة وبنود الباطنية إلى سبعة آلاف، وفى غرة رمضان سنة سبع وثلاث مائة للهجرة نهض الجند الناصرى من همدان وخولان، وكانت الحرب وانكشفت الباطنية منهزمة لا تلوى على شئ، واستقر قائدهم عبدالحميد فى حلملم، وتبدد عسكره وقصدوه نصف رمضان إلى هناك ففر إلى موتك ثم إلى جبل مدع فقصد جند الإمام إلى هناك وإلى المصانع، وفَتَتْ هذه الوقعات أعضاء الباطنية، وبلغت القتلى فيها منهم نحو خمسة آلاف قتيل، وما أنقذهم من جنود الناصر إلا جنود المسودة التى وصلت من العراق لإعانتهم بعد مكاتبتهم إلى العراق فى ذلك.

من شعر الناصر:

أبعد الأربعين رجوت خلدأ
وشيك فى المفارق قد أناكا
كأنى بالذى لا بد منه
من امر الله ويحك قد دهاكا
ومن شعره بعد أن أصابه النقرس ومنعه عن القتال فوثب أحد أولاده على خصم له فقتله:

إن لا أثب فقد ولدت من ثيب
كل غلام كالشهاب الملهب
وقال صاحب البسامة بعد ذكر تسليم المرتضى لأخيه الناصر:

فدوخ اليمن الأقصى إلى عدن
مع الجبال كبعدان وكالشعر
وكان يوم نفاش منه ملحمة
على القرامط لم تبقي ولم تذر
وعد خمسة آلاف مضوا عجلاً
حصائداً بين مرمى ومجتزر

وبالمصانع أخرى منه تشبهها
حلت عرى الشرك من كَوْنِي ومن قدري
وفى كتاب أنباء الزمن وغيره أن الناصر أحمد بن الهادي سار إلى بندر عدن فدخلها
فى ثمانين ألف نصفهم أهل قسي ودان له أهل تلك الناحية وخضعت له الرقاب
العاصية .

وفاته وذكر أولاده

كانت وفاة الناصر بصعدة سنة خمس وعشرين وثلاث مائة للهجرة وأولاده: القاسم
المختار وإسماعيل والحسن وجعفر ويحيى المنصور . وفى تحفة المسترشدين :

وبايعوا فى صفر للناصر	فى صعدة وحف بالعساكر
ومذ دعا أحمد فى عام قرا	جدد أعلام الهدى بلا مرا
واستفتح البلدان حتى عدنا	كما أقام بالسيوف السننا
وثار فى نفاش للطغام	حتى جرى الدم العظيم بالآكام
وبلغ القتل من الأرجاس	سبعة آلاف بلا التباس
وبعده قد ثار فى المصانع	وغيرها بسيف حد قاطع
فى خامس العشرين والشين ثوى	فى صعدة كما رواه من روى
صلى عليه الله من مجدد	بعلمه وسيفه المجرد

أسعد بن أبى يعفر

ولايته سنة ٢٨٢هـ وفاته سنة ٣٣١ هـ

وفى سنة إحدى وثلاثين وثلاث مائة للهجرة كانت وفاة الأمير الكبير أسعد بن أبى
يعفر الخوالى بن إبراهيم بن محمد بن يعفر بن عبدالرحيم بحصن كحلان ثم حمل

فى تابوت إلى ضبعة شاهرة غربى صنعاء فى حدود ضلاع همدان، وهى التى وقفها على الجامع الكبر بـصنعاء ودفن بها، وله تاريخ طويل منه أنه فى يوم الجمعة الثامن والعشرين من رمضان سنة تسع عشرة وثلاث مائة للهجرة ظهر رجلان من القرامطة بعد موت على بن الفضل، فسارا إلى قلعة تسمى شكع فوجه إليهما أسعد بن أبى يعفر القواد والعساكر، فانتصر عليهما وقتل الداعيان وأخذت رأساهما إلى كحلان، وغنم المسلمون ما كان معهما، وكان قبل ذلك قد توجه أسعد بن أبى يعفر لحصار المذيخرة فحاصر ابن على بن الفضل وأسرتة فى دارهم، ومازال يرمى عليهم بالمنجنقات ودخلها قهراً بالسيف يوم الخميس السابع من رجب سنة أربع وثلاث مائة للهجرة وأسر بعضهم وسباهم واستولى على جميع ما هنالك من الأموال وأجاز أصحابه بجوائز كبيرة ثم عاد صنعاء يوم الفطر غرة شوال سنة أربع وثلاث مائة للهجرة واستخلف هنالك إبراهيم بن إسماعيل بن العباس وكان مدة حصار أسعد للمذيخرة سنة كاملة من رجب سنة ثلاث وثلاث مائة للهجرة وسبى بنات على بن الفضل الثلاث ففرقهن فى رؤساء العرب، ووهب واحدة لابن أخيه قحطان بن عبدالله بن يعفر فولدت له عبدالله بن قحطان، وانقطعت دولة القرامطة من مخلاف جعفر. وفى ذى القعدة سنة أربع وثلاث مائة للهجرة أمر أسعد بن أبى يعفر بضرب أعناق ولدى على بن الفضل ومن أسر معهما من القرامطة جميعاً، وبعث برؤسهم إلى الخليفة العباسى بالعراق، وكانوا نيفاً وعشرين رأساً.

وكان قد مات على بن الفضل بالسّم فى ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاث مائة للهجرة فقام ابنه فقتل كثيراً من أصحاب والده، ولما بلغ أسعد هلاك ابن الفضل فرح وتجهز من صنعاء فلما وصل ذمار كاتب أهل المخاليف فاجتمعت معه القبائل وحاصر بهم المذيخرة سنة. وقد طالت ولايته وله علاقات مع الأئمة الهادوية ومع الخلفاء العباسية ومع ملوك بنى زياد وغيرهم، وقد تولى صنعاء سنة اثنين وثمانين ومائتين للهجرة بعد أن غادرها إلى العراق وإلى العباسية على بن الحسن جفتم. وضرب أسعد السكة ذهباً وفضة باسمه.

أبو نصر محمد بن سعيد الحنبصي من آل «أبي ثور»

من مطلع البدور لأبي الرجال قوله: آل أبي ثور من حمير من ولد أبي نصر محمد بن سعيد الحنبصي النسابة، أحد علماء اليمن الذين ذكرهم النسابة الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني في كتبه نحو الاكليل في أنساب أهل اليمن وأخبارهم، وذكر أنه أعلم من كان بذلك، وعنه أخذ الهمداني فهو شيخه، قال الهمداني: كنا نرد منه بحراً لا تكدره الدلاء. وهاجر أبو نصر الحنبصي إلى الناصر أحمد بن الهادي إلى الحق إلى صعدة أيام علي بن الفضل القرمطي فأضرب داره وكانت دار جده ذي يهر الحميري في بيت حنبص فبقيت النار في قصره بيت حنبص أربعة أشهر تتبع خشبه، وكان أبو نصر هذا ورعاً عفيفاً ديناً ومن ذريته:

أبو السعود بن المنصور

وهو أبو السعود بن المنصور من آل أبي ثور الحميري اليهري الحنبصي وكان من كبار المطرفية ومن شعره إلى عليان بن أسعد رئيس المطرفية:

بلغ الأريحي عليان عنى وجميع الإخوان ممن يليه

أننى مصطفى من الدين ما كان نبى الهدى لنا مصطفىه

مذهبي مذهب الأئمة زيد بن علي وقاسم وبنيه

لستُ إن كنتَ ذا اعتراضٍ أرى الجبر ولا الاختراع والتشبيه

ولأبي السعود بيت حنبص مسجد معروف. وانقطع نسل آل أبي ثور في سنة أربعين وثمان مائة للهجرة في الطاعون الأعظم الذي هلك فيه الخلق

أبو السعود بن فتح

شيخ الزيدية، العلامة أبو السعود بن فتح، إمام اللغة، سيبويه اليمن، فاتح المرتجات، صاحب التصانيف، ذكره المغرائي في نرهته فقال: أحد رجال الزيدية فضلاً وعلماً كان مسكنه ببلاد آنس، وذكره الأمير الحسين في الشفاء في باب الحيض أن الشطر قد يكون دون النصف وفي المطرفية من يعرف بأبي السعود جماعة منهم أبو السعود بن المبارك من قدمائهم ومنهم:

أبو السعود بن زيد بن الحسن بن علي

نسبه في بني مطعم من أهل تنعم مشرق خولان العالية، وكان رجل المطرفية بليغاً له شعر سيال، ودارت بينه وبين العلامة محمد بن حميد اختلاف ومشاعرة ولا بن حميد أرجوزة في أحوال المطرفية وإجابته أبو السعود هذا وأقذع علي ابن حميد فقال:

هل أنت إلا ابن حميد لا غير فاعرف مدى قدرك واقصد السير
أولا فهِمْلَجٌ ممعناً ولا ضير فالطَّرْفُ لا ينهزه جَرَى العَيْرِ
فيقال إن محمد بن حميد سلط عليه من قتله

ومن قول أبي السعود هذا:

يالهف نفسي واضطرام وجدى على القنا السمر ويبيض الهند
ومقربات كالسعالى جُرْدٍ تردى بأبطالٍ كمثل الأسد
فى جحفلى ذى لىب جرار بين يدى مهذب مغوار
محمدي ساطع الأنوار يثار للحق بذى الفقار
واشتد غضب السلاطين مع ابن حميد على أبى السعود. ومن أرجوزة أبى السعود هذه:

ويل لمن لم ينتفع بعقله

ويجتنب باب الردى ويقله

ولم يزه علمه عن جهله

ويعتبر بمن مضى من قبله

كم ملكٍ قد كان آذى وأعد

واستنهض البلدان بالبطش الأشد

أبليت يد الأيام ما كان أجد

وافترسته بشبا الناب الأحد

أين ملوك حمير وكهلان

والفرس والروم معاً ويونان

والأولون من ملوك كنعان

أضحوا رفاة في رميم الأكفان

قد ضيعوا ما جمعوا من مال

وأصبحوا رهائن الأعمال

ليوم بعث الأعظم البوالى

والعرض فى الموقف للسؤال

آمنت بالله وبالشرعة

مقتدياً بلعماء الشيعة

الفرقة السامعة المطيعة

أرجو بذاك الدرج الرفيعة

بالطيبين من بني الفواطم

بني النبي الأبطحي الهاشمي

كمثل يحيى والأمام القاسم

والمرتضى البر التقي العالم

ما ضل رأى أحكموا إبرامه

عن ربهم وأبرموا أحكامه

وهي طويلة جداً.

والمطرفية زيدية متمسكون بمذهبهم وبأئمتهم، وفيهم أعلام كبار متشددون فانتقدوا على العلامة محمد بن حميد من الزيدية المخترعة أن يداخل السلاطين آل القبيب، وأنه كتب بخطه من علوم الفلاسفة الأوائل. ومخالطة السلاطين فيها خلاف بين أئمة العترة؛ حققه الأمير الحسين، وأما مع ظهور المصلحة ورجاء النفع فتجب مخالطتهم. وأما ما كتبه بخطه فهو مذهب البهشميه والجباية من المعتزلة. ولمحمد بن حميد أرجوزة فى ذم المطرفية ذكر منهم عالمين بشبام وشيخهما محمد بن إبراهيم بن أبى

الهيثم، ومن الأرجوزة:

ومرجف يرجف في شبام

يقول للأوباش والطغام

ابن حميد عندنا إمامي

يا قوم إنا منكم براء

هم واليهود عندنا سواء

وقال في محمد بن إبراهيم بن أبي الهيثم الساكن بمدر بعد أن انتقل من سناع :

ومرجف يرجف في سوق مدرّ

ما بين ذبيان وما بين عذر

حجته مخلاته إذا افتخر

ومن أرجوزة إسماعيل بن علاء في الرد على المطرفية:

وقلتم ليس لعاصٍ ملك

ولا له من بردته سلك

توحيده وقت المعاصي شرك

ليست تقول ذا المقال التركُ

وقلتم الموت متاح المبرم

من الطباع وهو الغذاء والدم

سودا وصفرا قلتم وبلغم

ليس من الله عليهم يُحتم

روى لنا أن صبيّاً ماتا

في ريذة وجاور الأمواتا

فقال شيخ حضر الوفاة

وحمل المشعل والمخلا

لو احكمته أمه ما ماتا

... إلخ، وهى طويلة.

الحسن بن أحمد الهمداني

هو العلامة النسابة صاحب الإكليل وغيره الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن

داوود الهمداني ابن الحائك عالم اليمن المشهور الأوحد في عصره، الفاضل على من سبقه، المبرز على من لحقه، لم يولد في اليمن مثله علماً وفهماً ولساناً وشعراً ورواية وفكراً وإحاطة بعلوم العرب من النحو واللغة والغريب والشعر والأيام والسير والمناقب والمثالب مع علوم العجم من النجوم والمساحة والطب والفلك، ولد بصنعاء ونشأ بها ثم جاور بمكة ثم صعدة وهجا شعراءها فسجن، وله ديوان في ستة مجلدات. سببته لسيئات في دينه، سجنه أسعد بن أبي جعفر أيام الناصر بن الهادي، ولهج الهمداني بتفضيل قحطان على عدنان. ومن جوابه على الكميت

ألا يا دار لولا تنطقينا
فإنا سائلون ومخبرونا
بما قد غالنا من بعد هند
وماذا من هواها قد لقينا
لقد جهلوا جهالة غير سوء
بسفر عاش يحمله سنينا
كأنهم إذا نظروا إلينا
لذلتهم قرود خاسثونا
وغيرهم نباح الكلب منهم
وظنونا لكلب هائثينا
وإن ينبح كلاب من نزار
فإنا للنوابح محجرين
وله قصيدة وهو مسجون أولها:

خليليّ إني مخبرفتخبرا
بذلة كهلان وحيرة حميرا
وقد حقر ماعظم الله وتجاسر
على انتقاص ما اصطفى الله
انتهى ما في هاتين الورقتين باختصار من مطلع البدور لأبي الرجال ثم منه أيضاً ومن المطرفية أبو السعود بن محمد بن وضاح العنسي، وكان من أكابرهم، وله شعر من مشهوره القصيدة الطويلة التي أولها:

بأبى وأمى معشر واليتهم
لله لا لهوى النفوس فإنها
لله ذى الملكوت والسلطان
أماراة بالظلم والعدوان

وسياتى ذكر للمطرفية فى هذا الجزء فى سنة إحدى عشرة وستائة للهجرة .

وفى سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة للهجرة قال نشوان بن سعيد الحميرى فى رسالة الحور العين : إن الأمير عبدالله بن قحطان بن عبدالله بن أبى جعفر الحوالى تتبع القرامطة وأخذ ولدين لعل بن الفضل وجماعة من رؤساء القرامطة إلى صنعاء ثم ذبحهم جميعاً، وطرحت أبدانهم فى بئر بالجبانة، وأرسل رؤوسهم إلى مكة فى الموسم، وسبق أنه أسعد بن أبى جعفر سنة أربع وثلاثمائة للهجرة .

وفى سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة للهجرة مات منصور بن حسن صاحب مسور وأوصى إلى ابنه حسن بن منصور وإلى عبدالله الشاورى وأمرهما بالمحافظة على مذهبه، وأن يكتبا إلى عبيدالله المهدي ويتبعا أوامره فكتب الشاوري إلى المهدي مع هدية مع حسن بن منصور إلى مدينة المهدي بالقيروان فأقر المهدي ولاية الشاوري وعزل أولاد منصور فعاد حسن بن منصور خائباً. ثم إن حسن بن منصور قتل الشاوري واستولى على بلاد سور المتاب، وخرج من مذهب القرامطة إلى مذهب أهل السنة وقتل القرامطة وشردهم .

وفى سنة ست وثلاثين وثلاثمائة للهجرة خرج حسن بن منصور من مسور إلى عين محرم وفيها ابن العرجا فوثب على حسن بن منصور وقتله، وقد كان حسن بن منصور استخلف بمسور إبراهيم بن عبد الحميد السباعي وهو جد ابن المتاب فادعى الأمر لنفسه وأخرج أولاد منصور حسن وحريمهم من مسور فوثب عليهم الناس وقتلوهم وسبوا حريمهم واتفق ابن العرجا وإبراهيم بن عبد الحميد واقتسما البلاد نصفين، ورجع إبراهيم إلى مذهب أهل السنة وكاتب ابن زياد بزبيد ودخل فى طاعته وسأله أن يرسل إليه رجلاً من قبله فبعث ابن زياد يعرف بالسراج وقال له : إن امكتك الفرص من إبراهيم فاقتله فتلقيه إبراهيم وأكرمه، فعامل السراج من يقتل إبراهيم، فعرف إبراهيم ذلك فقبض على السراج وحلق رأسه ولحيته ونفاه وقطع مواصلة ابن زياد، وتبع القرامطة بالقتل والسبي حتى أفناهم . ولم يبق منهم إلا طائفة قليلة بناحية سور كاتمين أمرهم مع داعيتهم ابن الطفيل فقتله إبراهيم فانقلت

الدعوة إلى رجل يعرف بابن فحيم في أيام المتتاب بن إبراهيم بن عبد الحميد بعد أبيه وكان ابن فحيم يكتب إلى المعز العبيدي بمصر بعد خروجه من القيروان، فلما حضرته الوفاة استخلف رجلاً من شبام يقال له سيف بن الأسد، فلما حضرته الوفاة استخلف سليمان بن عبدالله الزواحي الحميري.

وقرية الزواحي بحراز ينسب إليها، وكان داعياً في أيام الحاكم والطاهر وأول أيام المتنصر، وكان كثير المال والجاه استمال الناس إلى مذهبه وكلما هموا به دافعهم وقال لهم أنا رجل مسلم فيمسكون عنه، وكان فيه كرم نفس وأفضال على الناس فلما حضرته الوفاة استخلف علي بن محمد الصليحي وسيأتي أن الذي استمال الصليحي هو عامر بن عبدالله الزواحي.

وفي سنة خمس وأربعين وثلاثمائة للهجرة ثار الأسمر يوسف بن أبي الفتوح الخولاني بخولان العالية على بنى جعفر وبنى الضحاك فهزمهم وقتل من همدان خلقاً كثيراً وقتل سابور بن علي بن وردان المتولى لصنعاء لبنى الضحاك فخرج من صنعاء نحو ذمار فلحقه الأسمر وقتله ببيل يكلى وهو نقيل يسلح، وكتب الأسمر الخولاني إلى عبدالله بن قحطان بن عبدالله بن أبي يعفر الحوالي أن يقوم بالأمر بشبام واجتماعاً بالسر أياماً ثم سار عبدالله إلى كحلان أياماً.

قال السيد إدريس الحمزى في تاريخه وفي العاشر من محرم سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة للهجرة أمر معز الدولة بن بويه ببغداد أن تغلق الدكاكين ويترك البيع والشراء وتظهر النياحة وتخرج النساء منشورات الشعور مسودات الوجوه قد شققن ثيابهن للنياحة على الحسين بن علي ولم يعرف ذلك من قبل؛ فلما كان الثامن عشر من محرم أمر بإظهار الزينة وإشعال النيران وفتح الأسواق بالليل كليالي الأعياد فرحاً بعيد الغدير، وكتب عامة الشيعة ببغداد في المساجد لعن معاوية ومن غصب فاطمة ومن منع أن يدفن الحسن مع جده بأمر المعز؛ والخليفة العباسي لا يقدر على شيء ولا يفعل ذلك إلا غلاة الشيعة من الإمامية ولا يفعله الزيدية أصلاً وفي سنة تسع وسبعين وثلاثمائة للهجرة تجهز عبدالله بن قحطان الحوالي إلى تهامة فلقية ابن زياد إلى أسفل

حراز فاقتتلوا وانهزم ابن زياد وقتل من عسكره خلق كثير ودخل عبدالله بن قحطان زييد فنهب دور بنى زياد أقبح نهب، وأقام بزييد ستة أيام ونهب عسكره زييد نهباً شديداً ثم عاد إلى كحلان.

وفى سنة ثمانين وثلاثمائة للهجرة غزا مخلاف جعفر واستولى عليه وأقام باب، واضطرب عليه أمر المخلاف فأمر بعمارة المنظر وتحول إليه من أب، وجعل أمر الهان أنس إلى أسعد بن أبي الفتوح الخولاني وتعاونوا.

وفى سنة سبع وثمانين وثلاثمائة للهجرة مات الأمير عبدالله بن قطحان فقام بعده ابنه أسعد، وفى سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة للهجرة نشأ رجلان عالمان من الهدوية هما علي بن حرب ومطرف بن شهاب فصنفا فى أصول الدين تفريعاً على أصول الهادى -كما زعما- وعرف اتباعهما بالمطرفية. وكان من أصولهم أن التأثير لله فى أصول الأشياء لا فى فروعها على تفاصيل ذكروها، وانتشر مذهبهم إلى أيام المنصور عبدالله بن حمزة فقاتلهم ورجع بعضهم كما سيأتي وفى سنة ست وتسعين وثلاثمائة للهجرة تجهز ابن أبى الفتوح بخولان يريد الهان فوثب عليه غلمان فى الطريق فقام بعده ابنه المنصور.

الإمام المنصور يحيى بن الناصر أحمد

مولده ٣٠٣هـ دعوته ٣٢٥هـ وفاته ٣٦٦هـ

هو الإمام المنصور يحيى بن الناصر أحمد بن الإمام الهادي يحيى بن الحسين روى عن أبيه وعن عمه الإمام المرتضى محمد، وعنه ولده يوسف الداعي وغيره وخرج له المرشد بالله يحيى بن الحسين حديثاً عن أبيه عن جده. وكان حافظ علوم آل محمد وعالم الزيدية، فى عصره، ارتحل إليه من بلاد فارس السيد أبو العباس أحمد بن إبراهيم الحسني وسمع عنه مصنفات الإمام الهادي.

دعوته ومن عارضه من قرابته

قال الفقيه محمد بن علي الزحيف الصعدي المؤرخ بالقرن العاشر في شرح قول السيد صارم الدين الوزير في بسامته:

ولابنه الماجد المنصور ما سمحت
بقود ذي جب كالبحر معتكراً
واستعبرت من بني الضحاك إذ فتكوا
ظلماً بأفخر مختار من الحمير
فعاجلتهم رزاياها بمنتصر
لغدرهم ثابت الأقدام في الغدر

كان هذا الإمام المنصور يحيى من أعلام الأئمة وهداة الأمة، دعوته بصعدة بعد وفاة والده، وعارضه أخوه القاسم الملقب المختار وأخوه الحسن بن الناصر، وكان خراب صعدة القديمة على يدى الحسن بن الناصر وأخيه المختار في سنة تسع وعشرين وثلاثمائة للهجرة ثم مات الحسن في شوال سنة تسع وعشرين وثلاثمائة للهجرة وقتل أحمد بن محمد الضحاك الحاشدى القاسم المختار في ريدة سنة خمس وأربعين وثلاثمائة للهجرة فأخذ بثأره ابنه المنتصر محمد بن القاسم المختار وقصد قاتلي أبيه إلى عقر ديارهم فقتلهم وقال قصيدته المشهورة منها:

علام ألام يا سلمى علاماً
عداني اللوم فاطرحي الملاما
ألما تعلمي فتكي جهازاً
عشية لم تهب نفسي الحماما
وطعنى غير ما وجلٍ وضربي
كلّى وطلّى وأحشاء وهاما
بردت الغل ثم شفيت نفسي
بقتلي للأولي قتلوا الإماما
فتى فى السلم كان هدىّ ونوراً
وسيفا فى الوغى ذكراً حساماً
أبى الهادى الذى عصم البرايا
وذاد عن الهدى قدماً وحامى
وجدى خير من ركب المطايا
رسول الله واتخذ المقاما
شرعنا كل مكرمة ولما
نزل للمجد والعليا سناما

ملأنا الارض إيماناً وعدلاً

وملأنا الورى يماً وشاماً

هديناهم صراطاً مستقيماً

وأصبحنا لدينهم قواماً

يصلى كل محتلم علينا

إذا صلى ويتبعها السلاما

وقال صاحب أنباء الزمن: دعا عقيب وفاة الناصر أحمد ولده المنصور يحيى وعارضه أخواه القاسم والحسن فجرت فى أيامهم من الفتن والحروب ما يطول شرحه منها فتنة فى صعدة قتل فيها الحسين بن الإمام الهادى. والأقرب أن هذه الفتنة كانت قبل موت الناصر أحمد وتَعَقَّبَهَا ما وقع من الاختلاف والشقاق وعدم الائتلام بين أولاد الناصر حتى قيل أن خراب صعدة القديمة كان بسبب كثرة المحن ومازالت أمورهم مضطربة إلى سنة ثلاثين وثلاثمائة للهجرة. وأول حادث وقع بعد الناصر قدوم حسان بن عثمان بن أبى جعفر من نجران إلى صعدة فدخلها، وخرج العلويون منها إلى قبائل خولان فأكرمهم، ولم يتعرض حسان إلى أحد من أهل صعدة. ثم إن العلويين استعانوا بأسعد بن أبى جعفر فكتب لهم إلى همدان وخولان وبلغ حسان الخبر فخرج إلى برط. ودخل العلويون صعدة وأقاموا لهم الحسن بن الناصر وبابعوه فخرج أخوه القاسم إلى همدان فأجابه كثير منهم وساروا معه إلى كانظ فوقع بينه وبين عسكر مظفر بن عليان بن الدعام حرب انهزم فيه عسكر ابن عليان، وكان من حزب حسان بن عثمان فخرج من ريده إلى عرة (وهى قبيلة من قبائل خولان تقع شمال ساقين على مسافة ثلاثة أميال ونصف) ونهض حسان غازياً بصعدة وقد استنفر من حوله من قبائل خولان وغيرهم فحاربه أهل صعدة وهزموه إلى برط.

ثم وقع الخلاف بين القاسم المختار وبين السلطان أحمد بن محمد الضحاك فمال الضحاك إلى الحسن بن الناصر وكاتبه وأمدّه بمال وأغراه بمحاربة أخيه القاسم، وكان فى ريدة فخرج منها إلى محل يسمى قرقر فخلفه ابن الضحاك على ريدة وطلب الإعانة من ابن عليان فأمدّه بمال فقصد القاسم إلى قرقر فأخرجه منها أقبح مخرج، وبعد أيام خرج القاسم إلى ورور فوقع بينه وبين الضحاك الحرب فى موضع يقال له قطوان كانت الدائرة فيه على القاسم وقتل عدة من أصحابه ثم رجع إلى ورور،

وكانت المكاتبه بينه وبين ابن عليان والتقى فأشار عليه ابن عليان بالرجوع إلى صعده فصار نحوها حتى وصل إلى بلاد خولان، وجرت مراسلة بينه وبين أخيه الحسن، وكره الحسن دخول أخيه صعده فخرج إلى الغيل واجتمع بجماعة من بنى أسعد ويرسم وغيرهم، وأظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فمال إليه كثير من الناس واصطلح هو وأخوه الحسن وتحالفا وأقاما على ذلك أياماً.

ثم دخل القاسم المختار إلى صعده فانتقبض الصلح من جهة الحسن وعامل جماعة من السفهاء على إثارة الفتنة مع دخول أخيه إلى صعده فقتلوا رجلاً من أصحاب القاسم، وهاجت الحرب من الظهر إلى المغرب قتل فيها ثمانية، ثم أمر القاسم أصحابه بالكف عن أموال الناس، وثبت على ظهر فرسه تلك الليلة إلى الصباح حتى أتاه المخالفون يطلبون الأمان فأمّنهم، وسكنت الفتنة وظهر للناس نكت الحسن فمالوا إلى القاسم، وشكروه على صبره فصار فيهم سيرة حسنة وشدّد على السفهاء، ولما علم الحسن أنه قد ظهر للناس غدره خاف على نفسه وخرج إلى بنى أسعد ثم سار إلى خيوان وكاتب الضحاك فاتفقا على حرب القاسم واستعاناً بحسان بن عثمان واتفقوا على المسير إلى صعده فى يوم معين فمريض حسان فانتقض أمرهم. وبعد أيام عامل الحسن والضحاك جماعة من بنى كليب وقبائل جماعة على نهب صعده ودخلوها وانضم إليهم من كان من أهلها مائلاً إلى الحسن من السفهاء ووقعت الحرب ثلاثة أيام ثم خدعوا القاسم بطلب الصلح على أن يخرج من صعده حتى تسكن الفتنة فأجابهم.

ولما اقترب أصحابه أعادوا الحرب عليه فانهمز إلى الغيل وتمكن القوم من صعده فنهبوا نهباً فظيعاً وقتلوا من أهلها وسبوا وخرج أكثر أهلها عنها، ثم جمع القاسم القبائل من نجران ووائله ودهمة وبنى سليمان وسار بهم إلى صعده وحارب المتغلبين عليها وهزمهم، وأخوه الحسن كأحدهم لإثارة الفتنة فطلبوا الأمان من القاسم فلم يجبههم فخرجوا من صعده ليلاً ودخلها القاسم وتضعضت أحوال صعده وخرب كثير منها.

ثم خرج الهيثم بن عباد قائد بنى كليب إلى الضحاك بريدة مستنجداً به على القاسم وانضم إليهما الحسن وجرت بينهم وبين القاسم حروب قتل فيها من الفريقين سبعة عشر رجلاً، وانهمز القاسم عن صعدة ودخلها القوم فانتهبوها وأقاموا بها ثلاثة أيام، ثم ساروا إلى علاف (وهو واد بسحرار غربي صعدة بنحو فرسخين) وسار الحسن معهم ثم رجع الضحاك إلى ريدة ورجع القاسم إلى صعدة وقد تفرق أهلها ونالهم الضرر العظيم. وبعد أيام خرج الضحاك من ريدة لحرب القاسم واستخلف ولده بريدة فلما وصل علاف جمع قبائل تلك الجهة وسعى بينهم بالإصلاح وأنهم يقيمون الحسن بن الناصر فكرهوا ذلك وجعلوا هدنة على أنهم يعزلون الأخوين معاً. ودخل الضحاك صعدة فلبث بها مدة وأمر بهدم الحصن الذى بناه الناصر وأحدث فى صعدة أحداثاً وأقام الحسن بن الناصر فى الغيل وخرج القاسم إلى بعض الجهات وتفرق أهل صعدة أيدي سبا وذهبوا تحت كل كوكب، ولم يبق فيها أحد من الأعيان فاجتمع بنو أسعد إلى القاسم وطلبوا منه النهوض إلى صعدة فسار إليها وخرج عنها الضحاك إلى علاف فاجتمع به الحسن وبعض إخوته واتفقوا على قصد القاسم إلى الغيل واقتتلوا قتالاً شديداً فانهمز الضحاك إلى علاف وأسر جماعة من أصحابه فَمَنَّ عليهم القاسم وأطلقهم، لبث الضحاك فى علاف حتى بلغه وفاة ولده فى ريدة فانصرف راجعاً إليها.

وفى سنة أربع وأربعين وثلاثمائة للهجرة وصل القاسم إلى ريدة فخرج إليه من صنعاء الضحاك يطلب تقريره له على ولاية صنعاء ففعل.

وفى سنة خمس وإربعين وثلاثمائة للهجرة غدر الضحاك بالقاسم فحبسه فى قصر ريدة ونالته مشقة شديدة من أصحاب الضحاك؛ فإنهم كانوا يدخلون إليه بآنية الخمر ويشربونه فى مكانه لأذيته إلى شوال سنة خمس وإربعين وثلاثمائة للهجرة ثم قتلوه ظلماً ودفن جسده بريدة ثم استخرجه الإمام يوسف الداعى بن المنصور يحيى بن الناصر سنة ثمان وستين وثلاثمائة للهجرة ونقله لدفنه بصعدة.

وقال القاضى العلامة الحسين بن أحمد العرشي المؤرخ أول القرن الرابع عشر فى

شرحه على قصيدته (مسك الختام فمن تولى اليمن من ملك وإمام) أنه قام بالأمر بصعدة بعد الإمام الناصر أحمد بن الهادي أولاده الأئمة الأعلام أهل المجد التام والقدم الراسخ في الأنام والإحلال والإبرام، وإن حصل الاختلاف فيما بينهم والتنافس حتى أدى إلى الاستعانة بملوك اليمن فإنهم لا يفارقون الحق ولا يريدون غير قتال الظالمين وأنه لما قتل الضحاك الحاشدي القاسم المختار بريدة قام ابنه المنتصر محمد بن القاسم فأخذ بثأر أبيه وعضده قيس بن الضحاك، على أبيه القاتل فكانت بينهم وقعات في خيوان قتل فيها الضحاك وكان قيس ابنه ممن أظهر مذهب الإمام الهادي وتعصب له حتى أعلى مناره. وما زال الإمام المنصور يحيى بن الناصر على دعوته حتى مات بصعدة في محرم سنة ست وستين وثلاثمائة للهجرة عن ثلاث وستين سنة من مولده وعن أربعين سنة من دعوته وقلت في تحفة المسترشدين:

وقام يحيى الليث في الجمهور	بعد أبيه الناصر الهصور
بصعدة في الخمس والعشرينا	وكان حبراً عالماً فطينا
وأول الأحداث في زمانه	قدوم حسان مع نجرانه
إلى ربي صعدة في سمعان	ففر من فيها إلى خولان
وقد دعا في صعدة الفيحاء	القاسم المختار للعلياء
في الست والعشرين بعد الثالثة	وكم له من فتكة وحادثة
ثم أقاموا صنوه الليث الحسن	وخربت صعدة في ذاك الزمن
لفتن مثل لهيب النار	ومحن أضنت على الديار
متى توفي الحسن بن الناصر	في طكش من الزمان الغابر
وقبره المعروف في علاف	وكان ضرغاماً بلاخلاف
وبعده لم يزل المختار في	جهاده بحد سيف مشرفي

واوثقو فى ريدة يديه	حتى تمالت عصبة عليه
فى عام هشم (٣٤٥) يا له من كسر	وقتلوه بعد غدر الأسر
فدفنت فى صعدة خير الوطن	ونقلت جثته بعد زمن
أول التالى عام ٣٤٦هـ	وقام فى آخر عام ٣٤٥هـ
بحد سيف صارم صقيل	منتصر للدين والقتيل
والناقم الآخذ منه بالثار	محمد نجل الإمام المختار
وناقم وناظم ومفتخر	يا له من قائم ومنتصر
يدعو إلى الله القوى القادر	ولم يزل يحيى سليل الناصر
أكرم به فى صعدة دفيناً	حتى قضى فى الست والستينا

الإمام يوسف الداعي

دعوته ٣٦٨ هـ وفاته ٤٠٣ هـ

هو الإمام الداعي يوسف بن المنصور يحيى بن الناصر أحمد بن الإمام الهادى يحيى، روى العلوم عن أبيه عن جده، وعن محمد بن محمد الحسنى وغيره.

دعوته وسيرته

أعلن دعوته سنة ثمان وستين وثلاثمائة للهجرة بمدينة ريدة البون؛ قال السيد الحافظ أحمد بن عبدالله بن أحمد الوزير المؤرخ بالقرن العاشر فى شرحه على أرجوزة الفقيه صالح بن صديق النمازى الشافعى فى نسب الإمام شرف الدين: إن هذا الداعي يوسف كان من أقمار العترة المضية، وشموس الملة المحمدية، وسيوف الجهاد عن

مذهب آبائه والأجداد، علماً من الأعلام، وهزيراً حين تلاحم الصدام، حاله من الصباح أشهر وشرفه من الشمس أبهر؛ كان قد ارتحل إلى بغداد ولا أعلم ما سبب ارتحاله ولا كيفيته ولا كميته .

أنشد أبياتاً رآها مكتوبةً في باب الطاق بالعراق وهي :

وإن امرءاً نال الغنى ثم لم ينل صديقاً ولا ذا خلة لزهد
وإن امرءاً أمسى وأصبح آمناً من الناس إلا ما جنى لسعيد
وإن امرءاً عادى الرجال للمالهم ولم يسأل الله الغنى لحسود

قلت ولعله أنفذه أبوه يحيى إلى بغداد . فقد ذكر السيد النسابة أحمد بن عتبة في كتابه (عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب): إن المنصور يحيى من أحمد أنفذ رجلاً من أهله إلى بغداد أيام كان أبو عبدالله الإمام المهدي محمد بن الحسين الداعي بها، وقال له اختبر حاله فإن رأيته أفضل وأولى منى بالإمامة فاكتب إلىّ بذلك لأبایعه وأدعو إليه .

ووفاة الإمام المهدي أبو عبدالله في سنه ستين وثلاثمائة للهجرة،

وفي بسامة السيد صارم الدين :

ويوسف العترة الداعي الذي شرفت منه المناصب زاكي الأصل والثمر
والقائم القاسم المنصور من فخرت به عيان على ما شيد من مدر
جرت بأعجب أمرٍ كان بينهما كأمر يوسف والأسباط فاعتبر
ونازلاً كل طاغ في زمانهما وصالوا كل ذى جور وذى بطر

وفي اللآلى المضيئة للشرفى شرح البسامة قوله : كان قيام الإمام يوسف الداعي سنة سبع وستين وثلاثمائة للهجرة ونهض إلى خيوان فأقام بها أياماً، وسار إلى وادعة من همدان ثم سار حتى دخل ريدة يوم الجمعة الرابع من ربيع الثاني سنة ثمان وستين

وثلاثمائة للهجرة، وأمر بحفر قبر عمه القاسم المختار، وأخرجه منه وهو على هيئته بعد لبثه بالقبر ثلاث وعشرين سنة ثم نقله ودفنه بصعدة كما سبق وهدم ما بناه قيس بن الضحاك فى درب صنعاء ثم سار عن صنعاء إلى ريدة فأقام بها أياماً، وقصد صنعاء فى عسكر عظيم وألف فارس من همدان وحمير فخرج عن صنعاء، قيس بن الضحاك إلى بيت بوس وترك بأعلى صنعاء أحمد بن الروية. ولما استقر بصنعاء، خرج ابن الروية بمن معه من بنى الحارث ومراد وحملوا على عسكر الإمام فقتلوا منهم جماعة، وكان الإمام فى آخر العسكر فحمل فى الخيل على بنى الحارس ومراد وابن الروية فانهزموا وقتل منهم مائة رجل وهدم الإمام ثانياً ما كان قد أعاد بناءه قيس بن الضحاك من الدرب بصنعاء، ثم خرج عنها فعاد إليها قيس بن الضحاك وتردد الإمام فى البون وقرى همدان وبنى صريم، ثم رجع إلى ريدة وجمع همدان وسار بهم إلى صنعاء فوصل إلى باب السجن وقتل كثير من عسكره ومن أهل صنعاء، فعاد إلى ريدة ودخل أسعد بن أبى الفتوح إلى صنعاء وأقام بها مع الشريف الحسن بن يحيى بن الحسين بن الهادى بن يحيى إماماً، ثم فسد ما بينهما فخرج الشريف الحسن غضباناً إلى الإمام وهو فى ريدة فجمع الإمام همدان وسار إلى صنعاء فوصل دربها فى الحادى والعشرين من صفر سنة تسع وستين وثلاثمائة للهجرة وبها أسعد بن أبى الفتوح الخولانى فى جيش كثيف من خولان والأبناء وأهل صنعاء فأقام الإمام حول الدرب أربعة أيام والقتال مستمر، ولما كثر القتل فى أصحابه أخرب ما حول صنعاء من الآبار، وسار إلى ضلاع فقطع بعض الأعناب فيها وفى وادى ضهر وسار إلى ريدة.

ولما أفسد سلمة بن محمد الشهابى وأهل صنعاء على أسعد بن أبى الفتوح فأخرجوه منها أرسل ابن أبى الفتوح قاضيه الحسن بن جريش إلى الإمام يوسف إلى ريدة وحلف له على السمع والطاعة فأسعده الإمام وسار إلى ضلاع فالتقاه ابن أبى الفتوح إلى ضلاع فدخل صنعاء ليلة الأربعاء سادس شعبان سنة تسع وستين وثلاثمائة للهجرة فلم يشعر بجيش صنعاء حتى أخذتهم السيوف وفتح باب الدرب ودخلت همدان من طريق الجبابة وانهزم سلمة وبنو شهاب ودخل الإمام وابن أبى الفتوح

صنعاء فى عسكر عظيم من همدان وخولان. وقصد الإمام دار ابن خلف وأخرج سلمة بن محمد الشهابى وقتلوا زهاء أربعين رجلاً ونهبت دار ابن خلف ودار أبى جعفر، وأمر الإمام نهار ذلك اليوم بالأمان وكف الناس عن النهب وأمر بهدم درب صنعاء وأقام بها الإمام. ثم فسد ما بين الإمام وابن أبى الفتوح فقصدته الإمام إلى أطراف خولان العالية وهدم دار والده الحسن بن أبى الفتوح فى قرية السرين من بلاد سنحان ووصل أسعد إلى بيت بوس فسار إليه الإمام فى همدان وغيرهم فاقتتلوا وانهزم أسعد وقتل من قتل من أصحابه الخولانيين وعاد الإمام إلى صنعاء. وفى عشرين من رجب سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة للهجرة خالف على الإمام أهل همدان وكسروا باب السجن وأخرجوا من فيه فسار إلى بلد الأبناء بالسر ثم رجع إلى صنعاء فى نصف شعبان. ثم سار إلى دمار وأقام مدة فى بلاد عنس، وسار إلى بلاد مأرب والجوف، ثم رجع إلى رَوْرَ ثم إلى ريدة. وجمع همدان وسار إلى صنعاء وبها أبو العشيرة عم أسعد بن أبى الفتوح فخرج عنها فى ذى القعدة. ولم يزل الإمام يتنقل من صنعاء إلى ريدة إلى حصن ناعط إلى مدر إلى مخاليف همدان. وكان قد عَمَّرَ حصن ناعط ثم هدمه. ثم خالفت عليه همدان جميعاً، ورفع أيدي عماله فانتقل إلى شوابه ثم إلى مدينة حوث من ديار بنى ربيعة فبنى فيها داراً ونقل إليها خدامه. ثم كاتبه بعض همدان فسار ومن معه فى رجب سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة للهجرة إلى الحصبة قريباً من صنعاء وكان بها بعض أصحاب ابن أبى حاشد فقاتلو الإمام وأصحابه حتى هزموهم فرجع الإمام إلى ريدة وأقام بها دون شهر، ثم رجع صنعاء فدخلها مسلماً وأقام بها أياماً وسار إلى ريدة، وفسدت عليه همدان فسار فى شعبان إلى حوث. ثم عاد إلى ريدة وحلفت له همدان على الطاعة، وأرسل فى صفر سنة سبع وثمانين وثلاثمائة للهجرة عامله إلى صنعاء فخطب له فيها وولى البوسى القضاء بها، وعزل القاضى سليمان ويحيى بن عبد الله بن محمد النقوى. وسار فى رجب إلى صنعاء ورجع فى شعبان إلى حوث. وفى سنة تسع وثمانين وثلاثمائة للهجرة وصل إلى صعدة الإمام المنصور القاسم بن على العياني فأقبل عليه الناس وضعف أمر الداعى يوسف، ثم كان اجتماعهما واتفاقهما وكان كل واحد يكتب للآخر:

(يا أخى جعلت فداك) ثم اختلفا. ثم مال الشريف القاسم بن الحسين الزيدى عامل العياني على صنعاء وذمار وغيرها إلى يوسف واستدعاه من صعدة فالتقيا بهمدان فى ذى الحجة سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة للهجرة وتعاقدا ورجع يوسف إلى ريدة والزيدى إلى صنعاء فخطب بها ليوسف بالأمان وله بالإمارة وفى محرم سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة للهجرة وصل يوسف إلى صنعاء ثم سار مع الزيدى لمقاتلة أسعد بن أبى الفتوح بخولان فقتل جماعة من أصحاب أسعد ورجع يوسف إلى صنعاء ثم إلى حاز همدان وخلف بصنعاء أبا الصباح.

ولما مات العياني فى رمضان سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة للهجرة انتعش ذكر يوسف فبادر إلى صنعاء فى شوال سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة للهجرة وخطب له أبو عبدالله البوسى نصف شهر ثم خرج إلى حاز ثم إلى مدر ثم إلى ريدة ثم إلى صعدة حتى توفى بها فى الثانى والعشرين من صفر سنة ثلاث وأربعمائة للهجرة قال القاضى الحسين العرش فى بلوغ المرام: إن يوسف الداعى هو الإمام الأورع الزكى ذو الدين الرضى والعلم المرضى والإنصاف الخالى عن الإنحراف، وكان مرامه إحياء الدين، وعارضه الإمام القاسم العياني وقال بذلك طائفة من العلماء، وبذلك طائفة منهم. انتهى. وفى تحفة المسترشدين.

ثم دعا يوسف وهو الداعى	سليل يحيى يا له من داعى
دعوته إلى الهدى والدين	بريدة فى ثامن الستين
فجدد الأحكام للشريعة	بعلمه والسيف فى البقية
حتى ثوى ويا له من مودع	بصعدة فى الجيم بعد الأربع

القاسم بن على العياني

وفاته ٣٩٣

دعوته ٣٨٨

مولده ٣١٠

هو الإمام المنصور القاسم بن على بن عبدالله بن محمد بن القاسم الرسى بن إبراهيم العياني نسبه إلى مدينة عيان المقبور بها، روى عن أبيه عن جده، وعن أحمد بن محمد الطبرى وغيره. وكان مقيماً بتبالة خثعم فى شمال اليمن واستخرج غيلها القديم، ثم أقام فى بيته على طريقة سلفه الأكرمين فى العلم والعمل، وله سيرة خاصة جمعها الشيخ الحسين بن أحمد بن يعقوب.

دعوته وخلاصة سيرته

كان وصوله أولاً إلى اليمن، ثم عاد إلى ترج من خثعم، وكانت ولاته تتصرف فيما يليه من الجهات خصوصاً أرض سرحان وجنب ويام ثم بعث رسله إلى اليمن فى شوال سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة للهجرة لاستنهاض الناس وتسليم أعشارهم إليه وقام برسائله رجال من البون والخشب والصيد والمشرق وجمعوا فى الزكاة نحو عشرة آلاف درهم وسارو إليه فنهض إلى بيته والتقاء سلاطين خثعم، ثم وصل فى محرم سنة تسع وثمانين وثلاثمائة للهجرة إلى صعدة فملكها ثم سار إلى نجران ثم عاد إلى تبالة فخالف عليه أهل صعدة فجمع همدان وسار إليها فدخلها وأخرب دربها وخرج عنها يوسف الداعى فاستعمل عليها ولده جعفر بن القاسم وجعل له نصف خراجها، ونصفه لبنى الهادى للضرورة، ومهما حصل ما يكفيهم نزعهم منهم واصطلح مع يوسف الداعى وتنحى الداعى له وناصره، ووصلت إلى العياني كتب أهل صنعاء وآل الدعام يستدعونهم إلى بلادهم فسار إليهم والتقاء الدعام ورجع إلى عيان ثم إلى خولان ووادعه وأصلح بين أهلها فى دماء كانت بينهم وسار فى جمادى الأولى إلى ثافت وبنى صريم وغولة عجيب وريدة والخشب وانتشرت أخباره وخفقت أعلامه وزالت ضغائن الأقوام وطلبوا منه أن يبعث عاملاً على صنعاء فاستعمل عليها الشريف القاسم بن

الحسين الزيدى، وكان قد حصل فى صنعاء حرب بين أهل القطيع وأهل السرار حتى تضرر تجارها وضعفاء أهلها فسكنت الفتنة ووفد على الإمام قبائل حمير وسألوه القدوم إلى بلادهم فأجابهم ونهض إلى حلملم واستعمل عليها الشريف إسماعيل بن أحمد أبا البركات وهو جد الإمام الشهيد أحمد بن الحسين، ثم وفد على الإمام قبائل المغرب كبنى شاور وبنى عشب وميتك وقُدَمَ وغيرهم وسار إلى ريدة فأطاعه جعفر بن الضحاك وكافة أهل البون، وأقام بها رجب وشعبان ورجع إلى صعدة غرة رمضان وقطع ما كان يؤخذ بصعدة من المكوس من التجار وغيرهم.

وخلال ذلك خالف عليه أهل نجران فجمع جمعاً عظيماً وطلب الشريف الزيدى من صنعاء وسار إلى نجران فأسر منهم وأخرب عدة حصون ثم رجع إلى عيان ورجع الزيدى إلى صنعاء، ثم أمر الإمام أن يتقدم الزيدى إلى ذمار فسار إليها ودخل أهلها فى طاعة الإمام واستعمل الإمام عاملاً من لديه على صنعاء. ثم كتب الزيدى إلى أسعد بن عبدالله بن قطحان الجعفرى الحوالى صاحب بلاد كحلان يرغبه فى الدخول فى طاعة الإمام فأجابه إلى ذلك وخطب للإمام وأرسل إليه بمال جزيل وخيل وخلع، وكان الإمام قد نهض إلى ريدة وجمع الناس لحرب نجران لما خالفوا عليه مرة أخرى فدخلها وقتل من أهلها وطلب بقيتهم الصلح فأجابهم ثم عادوا إلى الخلاف.

وفى خلال ذلك فسد ما بين الزيدى وبين ابن أبى الفتوح فسار الزيدى إلى إلهان أنس واستولى على حصن أشيخ، وكتب إلى نائب الإمام بصنعاء فتلقاه وهدم دار ابن أبى الفتوح، ثم سار إلى صنعاء فى عسكر فأقام بها أياماً، ثم عاد إلى ذمار والإمام فى ورور. وفى صفر نهض يوسف الداعى من صعدة إلى وادعة الظاهر مغاضباً للعيانى بسبب قطعة للمكوس بصعدة وما كان يؤخذ من التجار مقابل الزكاة والأعشار بعد أن شكوا عليه جور العمال، وأنهم يسلمون الواجب عليهم فى صنعاء وكان ليوسف الداعى قسط من ذلك ثم سعى فى الصلح بينهما الحسن بن محمد بن يحيى. وفى ذى القعدة بلغ الإمام أن جماعة من بنى خيشمة نجران نكثوا البيعة ووثبوا على عاملين من عماله فقتلوهما بعد أن أطعموها الطعام. وفى محرم سنة تسعين

. وثلاثمائة للهجرة سار العياني من عيان ومر بصعدة إلى نجران في ألف فارس وثلاثة آلاف راجل فأوقع بيني خيشمة بسبب قتلهم لعاملين وأخرب حصنهم وقطع نخيلهم وظفر بستين رجلاً منهم، فسار بهم إلى صعدة وطلب من التجار إعانة للجند، ووصل إليه جماعة من الأشراف آل أبي الطيب من الحجاز في أبهة عظيمة وحاشية من الموالى والخدم فاستوقفهم بصعدة ونهض من عيان لاستقبالهم بالإحسان وأهدوا إليه وأعانوه بشئ من المال وطلبوا منه التجهيز معهم لفتح تهامة الشام وتولييتهم إياها فوعدهم بذلك. وفي جمادى وقع بينه وبين ابن المليح وإخوته من آل الهادي بصعدة اختلاف بسبب عزلهم من عهدتهم أفضى إلى الحرب بينهم وبينه بصعدة، ولم يكن عنده بها من أصحابه الكفاية للحرب فتأخر عنهم إلى أن أتته الغارة فانهزم بنو المليح إلى نجران ونهب بعض المغيرين معه دور بعض أهل صعدة، ثم عاد إلى عيان، ثم سار إلى نجران، ف وقعت حرب انهزم فيها أصحابه وقتل جماعة منهم، منهم ابن عمه الحسن بن عيسى. ولما رأى الأشراف بنو الطيب الاختلاف عليه استأذنوه في العود إلى بلادهم فعادوا. وفي سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة للهجرة سارت إليه قبائل همدان وسألوه النفقات فكتب إلى عامله بصنعاء ابن أبي الصياح في تسليمها لهم فلم يجدوا عنده ما يقوم بها فقصدوا أسعد بن أبي الفتوح وابن أبي حاشد فخالقوهما ودخلوا بهما إلى صنعاء وخرج عنها العامل، ولما علم الزيدى نهض من ذمار بمجموعة حتى نزل بئر الخولاني جنوب صنعاء وقطع أعناب ابن أبي الفتوح وسار إلى قرية نعش سنحان فأخربها وخرج ابن أبي حاشد من صنعاء فعاد إليها العامل ابن أبي الصياح. وكانت الأبناء قد مالت عن نصره ابن أبي الفتوح فتوسل إلى الزيدى فقبله على أن يكون مخالفاً لخولان من جملة بلاد الإمام، وحمل ابن أبي الفتوح إلى الزيدى خمسة وسبعين ألف درهم ودخل الزيدى صنعاء ووقعت منه بعض مخالفة لأوامر الإمام ثم التقيا بمدر أرحب واعتذر الزيدى للإمام ودخل الإمام صنعاء فأقام بها أياماً واستعمل عليها الشريف هلال ابن جعفر العلوى ورجع إلى ريدة ورور ورجع الزيدى إلى ذمار. ثم وصل جعفر بن الإمام العياني إلى صنعاء عاملاً عليها فتلقاه ابن أبي الفتوح فرد له جميع مخالفه ولحق الناس الجور من جعفر. ثم وصل الإمام

إلى صنعاء ووصل إليه ابن أبي الفتوح وتغير قلب الإمام على الزيدى فخالف عليه وثبت بدمار إلى أن خرج الإمام من صنعاء فقصدها الزيدى وأسر جعفر بن الإمام وإخوته وسار بهم معه وحارب ابن أبي الفتوح وأخرب قريته نعض مرة أخرى ثم إن الإمام استعطف الزيدى فأطلق أولاده وأحسن إليهم، وقصد الإمام إلى ريدة فصلح شأنهما ثم ولاه الإمام ولاية عامة من نقييل عجيب إلى عدن، ورجع الزيدى إلى صنعاء فولأها الشريف هلال وسار إلى إلهان، وفيها توفي الأمير أسعد بن عبدالله بن قحطان صاحب كحلان وأقلموا بعده أحمد بن يعفر.

وفى سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة للهجرة وصل الإمام العياني إلى صنعاء فمال عنه الشريف هلال العلوى نائب الزيدى عليها وكتب إلى الإمام يوسف إلى ريدة بالوصول إليه والتقى فى شرق همدان وتحالفا. وفى أثناء ذلك وصل إلى العياني بصنعاء كتاب من ولده إسماعيل بن القاسم أمير صعدة يذكر فيه خلاف بنى المختار وبنى المليح فى صعدة فرحل من صنعاء فى الرابع والعشرين من ذى القعدة واستخلف عليها ولده جعفرأ، وحينما وصل إلى ريدة بلغه أن الزيدى خلفه بدخوله صنعاء وقبض على جعفر وبعث به إلى قلعة فى بنى شهاب، وخطب بصنعاء للإمام يوسف فاشتد على القاسم وسار إلى مدر فأطلق الزيدى جعفرأ وسأله الصلح فالتقى بالصيد ولما أقبل الزيدى بجنود كثيرة أرسل إليه أن لا يلقاه إلا فى نفر قليل، فالتقى وتم الصلح وسارا جميعأ إلى ريدة وسار الزيدى إلى اليمن وسار العياني إلى وادعة وعمر بها دارأ وأسكنها ابن عمه القاسم بن عبدالله ثم سار إلى عيان واستقر بها وترك الأمر والنهى لعدم وجود الأنصار. وصار الأمر لبنى المختار ووصل الإمام يوسف إلى صنعاء ثم إلى إلهان وذمار وبقيت صنعاء بدون نائب.

من آثارالعيانى ورسائله

من آثاره استخراج غيل آلاف من قاع أرتل على يد عامله الزيدى وهو من الأنهار القديمة المدفونة، واستخرج غيل تباله القديم من بلاد خثعم. ومن كتاب له إلى ابنه

علي لما ولاه بلاد وادعة:

«إن من حكماء الأمة من جعل الأناة نصب عينيه وشعار قلبه، واستظهر بآراء ذوى التجربة الذين كثرت عليهم نوائب الزمان، فإن استشرت من قد لقحت التجربة عقله سُدَّتْ وسعدت، وليس كل الناس يستشار وإنما رأى لأهل العقول الرضية والديانة والأمانة، وإن أردت بيان رأى فشاور جماعة من ذوى رأى كلاً على حياله فإن اتفقت آراؤهم فلن يكن مع الإجماع خطأ، وإن اختلفت فخذ منها بما أوجب العفو والأناة، فأنت مع ذلك ستدرك الفائت وتأمين الندامة. واحذر نفسك فإنها من أعدى أعدائك لك وأشدّهم مضرّة عليك، والهوى أصل كل معصية، وسوف تدعوك نفسك إلى الدنيا وزينتها فإن أجبت دعوتها وضعك ذلك وأذهب بهاءك، ونظرك بعين الدناءة من عاداك وساء ذلك من والاك. والزم الصبر فإنه مفتاح الفرج وقلّ من صبر ولم تحصل حاجته. وتقلل من الناس فإن مثل خيارهم مثل الدرّ ومثل شرارهم مثل الصخر. وأحذر أن تطلب حوائجك معاً فيثقل عليك مطلبها، واطلبها بدياً فإن ذلك أحرى لنيلها وأخف لتكلفتها. . إلخ.

ومن شعره قصيدة منها:

طال الثواء بصعدة وعيان	ومذاب فالاحراج من سنحان
فهل الزمان مساعف لمواشك	يقصو ويغرب مرة ويدانى
فتأى وخلقى من ونى فى رأيه	وأضاف ظن الخير فى قحطان
السادة الغر الكرام أولى النهى	أهل العفاف ومعدن الإيمان
وجعلت مع رسلى إليهم دعوة	يحظى المجيب لها بأعظم شان.
إما أجبت دعوتى فتأهبوا	لهبوط بيش منزل العبدان
وقصيدة منها:	

أقول لأصحابى ونحن بجانب من الشط ترعانا جنود العساكر

هل الجمع جمع المشعرين كجمعنا

وهل يزهدن فينا امرؤ غير خابر

سقى الله أقطار الحجاز وأهله

ولم يبعدوا عنا بأيمن طائر

هم زهدوا في كوننا ببلادهم

وكانوا ظهيراً بين راع وحاسر

فهل عوضوا عنا المهني فلم يكن

بنا عوض في ذى الخطوب الجواهر

وحولى حماة ليس خلق يروعهم

لقد كرمت أحساب تلك العشائر

وأصبحت في همدان في رأس شامخ

من العز إذ فازوا بفخر المفاخر

أولئك أنصاري فهل من مفاخر

بمثلهم في الناس أو من مكابر

ثم لما رأى خذلان الناس وميلهم إلى أعدائه ومنافسيه لزم العزله والانقباض، وكتب إلى قبائل وادعة وبكيل يسألهم الاستقامة وحسن الجوار الكريم له ومن إليه من ذرية رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وجعل الخيار في الطاعة إلى الرعايا فمن والاه منهم دفع زكاته إليه أو إلى سعاته. ومن كره ذلك لم يسأله شيئاً وأقام حيناً في حصنه بضيعته في مذاب بالقرب من عيان وحيناً في عيان وأرسل رسالة إلى الناس مشحونة بالمواعظ والحجج والتذكير ورد على من أظهر الطعن عليه بكتاب سماه (كتاب الرد على الرافضة) وهو أحسن كتبه.

وفاته وذكر أولاده

ثم اعتل واشتدت علته وكان قد رسم كتاب وصيته ومات يوم الأحد التاسع من رمضان سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة للهجرة عن ثلاث وثمانين سنة. ولم يخلف ديناراً ولا درهماً إلا سلاحه ودوابه وثيابه، وكان عليه من الديون أضعاف قيمتها. وأولاده خمسة: علي انقطع نسله، ومحمد أولاده أهل عيان، والمحسن المقبور بريدة، وجعفر الأمير المشهور من أولاده أحمد بن جعفر جد أهل براقش، والأمير القاسم بن جعفر القتيل بالجوف، والأمير محمد بن جعفر ذو الشرفين المقبور بشهارة الأمير نسبة

إليه ونسله بها بغربان، والخامس سلمان بن القاسم العياني.

القاسم الزيدى

هو الشريف الكبير القائد الخطير القاسم بن الحسين بن محمد بن الحسين بن محمد بن القاسم بن يحيى بن الحسين بن الإمام زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب. كان مسكنه بالطائف بالحجاز. ثم وفد فى جمادى الأولى سنة تسع وثمانين وثلاثمائة للهجرة إلى الإمام القاسم العياني إلى عيان فى خيل وركائب وجماعة من بلاد خثعم، فولاه صنعاء و دمار وبلادها فكان من أعظم قواده، ثم اختلفا سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة للهجرة ومال إلى الإمام يوسف كما سبق، ومات بدمار فى محرم سنة زربع وتسعين وثلاثمائة للهجرة وقبر جنوبى جامع دمار بعد أربعة أشهر من وفاة الإمام العياني. وابنه الإمام محمد بن القاسم الزيدى عارض المهدي بن الحسين بن القاسم العياني وقتل بحقل صنعاء، وابن ابنه القاسم بن محمد بن القاسم الزيدى، وذريته سادة بيت نعامة من بلاد بنى شهاب وحضور، وبعضهم بصنعاء، وبجهران وغيرها.

الحسين بن القاسم العياني

مولده ٣٧٦هـ دعوته ٣٩٣هـ وفاته ٤٠٤هـ

هو الإمام المهدي الحسين بن القاسم بن على العياني روى عن أبيه وغيره، وكان لا يجارى فى مضمار ولا يشق له غبار وله الأقوال الصاعدة والتصانيف العديدة منها: كتاب منهج الحكمة وكتاب المعجز فى أصول الدين وكتاب الإرادة وكتاب الصفات ومعرفة الصانع وكتاب تفسير غريب القرآن أبان فيه عن علم وافر. وقيل: إن مؤلفاته بلغت إلى سبعة وثلاثين مولفاً منها ما هو فى ورقتين فقط؛ وشجاعته مشهورة.

دعوته وبعض سيرته

كانت دعوته بعد وفاة والده فى رمضان سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة للهجرة وفى صفر سنة إحدى وأربعمائة للهجرة وصل إلى البون وبلاد عمران فأجابته قبائل حمير وهمدان والمغارب ومالوا عن طاعة الإمام محمد بن القاسم الزيدى . وفى سنة اثنتين وأربعمائة للهجرة دخل الضحاك بن جعفر بن الضحاك إلى صنعاء، ووصل إليه رسول المهدي الحسين وهو ابن النجم فى جماعة لقبض الزكاة فلم يعارضه الضحاك، وفى آخر سنة اثنتين وأربعمائة للهجرة وصل جعفر بن القاسم العياني أخو المهدي أميراً على صنعاء وضرب السكة باسم أخيه المهدي فلم يستقم أمره وحاربه أهل صنعاء فأغار أخوه المهدي وهدم دور بعض أهل صنعاء وعاد. فكتب أهل صنعاء إلى الإمام محمد بن القاسم بن الحسين الزيدى فقدمها من دمار سنة ثلاث وأربعمائة للهجرة فى عسكر عظيم فخرج عنها جعفر العياني وأمر الزيدى بهدم دور جماعة من أصحاب المهدي فجمع المهدي همدان وحمير وغيرهم، وقصد الزيدى إلى صنعاء فانهزم الزيدى فتبعه المهدي فى أفراس إلى حقل صنعاء فقتله ودفن بنجد عصفري. قال صاحب البسامة:

وأنزلت ساحة المهدي قارعة	بذى عرار ونقع الخيل لم يثر
وقال قوم: هو المهدي منتظراً	قلنا: كذبتم حسين غير منتظر
كيف انتظاركم نفساً مطهرة	سالت على البيض والصمصامة الذكر
وللخيالات أوهام مسلطة	على العقول التى ضلت عن الفكر
وكان منه على الزيدى ملحمة	بحقل صنعاء تجرى مدمع النظر

ورجع المهدي إلى ريذة وترك أخاه جعفر أميراً بصنعاء. ولما علم الأمير القاسم بن محمد بن القاسم الزيدى بقتل والده نهض فى جمع عظيم من مذحج فوصل إلهان

أنس وبه منصور بن أبي الفتوح فوق بينهما حرب قتل فيها جماعة من أصحاب الزيدى وأخذت رايتهم وبعث بها ابن أبي الفتوح إلى المهدي وانهزم الزيدى ونزل ابن مروان من أصحابه إلى تهامة مستنجداً بأميرها فأمدّه بمال جزيل فوصل إلى إلهان ووصل أيضاً الزيدى فى قبائل عنس وكادوا أن يستولوا على ابن أبي الفتوح فاستنجد بالمهدى فسار إليه بجيوش كثيرة فتفرق جمع الزيدى فخرج ومعه ابن مروان فى خفية واستولى المهدي على ما كان لهم من خيل وغيرها. وخالف على المهدي بعض بلاده فرجع وعاقبهم. ثم سار إلى صعدة فاستولى عليها وأخرب بعض دورها واستعمل فيها أخاه جعفرأ وعاد إلى صنعاء وفسد ما بينه وبين ابن أبي الفتوح وخالف عليه بنو شهاب وبنو صريم ووادة ونزلت بنو صريم إلى دار الإمارة بقرية حمدة وأخرجوا من فى سجنه من أهل البون فخرج من صنعاء بعد أن نهب عسكره دور بعض أهلها فتكرت له القلوب وخرج جماعة من أهل صنعاء فألبوا القبائل فحاربوه فى ريدة حتى هزموه إلى قرية حمدة وقتل جماعة من أصحابه وحطوا عليه فى حمدة فخرج منها مختفياً نحو بلاد الصيد ودخلت القبائل حمدة فنهبوها وأرجعوا أحمد بن قيس الضحاك أميراً على صنعاء فلبث بها مدة.

وفى سنة أربع وأربعمئة للهجرة جمع المهدي جيشاً وجمع الضحاك جيشاً والتقيا بذيبيين ووقعت حروب انهزم فيها المهدي إلى الجوف، ثم رجع إلى بلاد الصيد فى مائة فارس، ثم تقدم إلى ريدة. ولما سمعت همدان بعودة قصده، وحصلت حروب فرق فيها صفوفهم وحمل عليهم المرات العديدة وفى آخر الأمر تكاثرت عليه الرجال فانجلت المعركة عن قتله فى صفر سنة أربع وأربعمئة للهجرة، قتله بنو حماد وأصحابهم بعرار فى وادى البون بالقرب من ريدة ودفن هنالك عن دون ثلاثين سنة ولم يعقب غير بتين. ومن حملة شيعته من يزعم أنه حى لم يقتل وأنه المهدي المنتظر، وقد رد عليهم الفقيه حميد مؤلف الحقائق برسالة سماها الزاجرة. وفى ترجمة القاسم بن الحسين الزيدى بمطلع البدور لأبى الرجال إبطال مزاعم بعض شيعته فيه، وسبق أبيات البسامة، وقد شرحها الشرفى فى اللآلي المضيئة. وفى بلوغ المرام للقاضى الحسين العرشى أنها جرت بين المهدي الحسين وبين دعاة الباطنية مثل حسين

بن عامر بن طاهر الحميري مراسلات .

وعلى ضريحه فى قاع البون هذه الأبيات :

قبر به حل الفخار السامى	وضريح أشرف قائم وإمام
القائم المهدي أفضل من دعا	لله فاشتدت عرى الإسلام
شمس الفخار ونور آل محمد	وعميدهم بحر العلوم الطامى
هذا الحسين البرنجل القاسم بن	على الجالى دجى الإظلام
من كان فى آل النبى إلى العلى	وإلى الهدى علماً من الأعلام
ربُّ التصانيف التى بيانها	لمريدها براء من الأسقام
والقائد الجيش العرمرم ثائراً	للدين من متغلب ظلام
حتى أقام حدوده لم يشنه	عنه الأعادى من ذوى الإجرام
ثم اجتباه ربه بشهادة	رفعت له فى الخلد خير مقام

وكان قد أجاب المهدي الحسين حمير وهمدان وسائر المغارب، وبايعه مطرف بن شهاب وقتل معه فى بعض حروبه رجلاً ثم استنكر على المهدي وترك إمامته وسلم دية المقتول الذى كان قتله معه وأرضى أهله .

أبو هاشم الحسن بن عبدالرحمن

دعوته ٤١٨هـ وفاته ٤٣٣هـ

هو الإمام النفس الزكية أبو هاشم الحسن بن عبدالرحمن بن يحيى بن عبدالله بن الحسين بن القاسم الرسى . . . إلخ، الحجازى ثم اليمنى، أخذ عن أبيه عن جده .

وعنه ابنه الإمام الشهيد حمزة بن أبى هاشم وغيره، وكان جامعاً للشروط المعتمدة فى الإمام، ومن مؤلفاته كتاب سياسة النفس فى الزهد والوعظ.

دعوته وخلاصة سيرته

بعد وصوله من الحجاز دعا من حصن ناعط على مسافة مرحلتين شمالاً شرقاً من صنعاء، وسار إلى مأرب فرحب به أميرها عبد المؤمن بن أسعد بن أبى الفتوح، وبايعه وتابعه وأقام عنده أياماً وأنفذ كتبه إلى الجهات يقول فيها: من عبدالله الإمام المعيد لدين الله الداعى إلى طاعة الله الدافع لأعداء الله... إلخ. فبلغ القائد مرجان الحبشى صاحب الكدراء بتهامة فكتب إلى الأمير منصور بن أسعد بن أبى الفتوح ولامه على قيام أخيه عبدالمؤمن مع هذا الداعى، فغضب منصور وأيد أخاه والداعى وأدخلهما صنعاء فى رمضان سنة ثمان عشرة وأربعمائة للهجرة، وخطب للإمام بجامع صنعاء ابن النقوى الشافعى قاضى صنعاء. وأنفذ الإمام عماله إلى المخالف ثم سار إلى إلهان آنس مع ابن أبى الفتوح فاستقبلته قبائل عنس ومن إليهم إلى قرية ضاف من بلاد جهران فلبث بها سبعة أيام، ثم سار إلى ذمار، وأمر بعمارة حصن هران، ودخل فى طاعته صاحب حصن كحلان يريم وساروا جميعاً إلى أب ورجعوا. ثم فسد ما بين الإمام وابن أبى الفتوح وابن أبى حاشد، ورجعا إلى موالة القائد مرجان فسار الإمام إلى حصن همدان عن مكاتبة له من قبائل عنس. وفى الحدائق الوردية أن الإمام الحسن دخل صنعاء يوم الخميس الثالث من شعبان سنة ست وعشرين وأربع مائة للهجرة وصاح صائحه بحضور الناس لصلاة الجمعة فخطب فيهم وصلى بهم وأقام بها إلى نصف رمضان، ثم خرج منها لمعارضة الحسين بن مروان له، ثم حلفت له قبائل همدان على الطاعة إلا بنو حماد فعاد صنعاء فى الثامن محرم سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة للهجرة، ثمانية أيام، وولى عليها والياً ورجع إلى ريدة وأقام أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر حتى توفى بناعط. ومن رسائله رسالة كبيرة فى ثمان صفحات منها: الحمد لله العزيز الغفار، الواحد القهار، الملك الجبار، خالق

وكل شئ عنده بمقدار، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال، سواء منكم من أسرار القول ومن جهر به، ومن هو مستخلف بالليل وسارب بالنهار...

ومنها: وهذا الحى من همدان أهل المجد والبأس والنجدة والمراس وسراة الناس، ممن رضى الله ورسوله طاعتهم وموالاتهم ومشايعتهم ومحاباتهم دوننا أهل البيت، ومظاهرتهم ومؤازرتهم للقائم منا، ومصاحبتهم لمحقتنا، فهم بطانتنا وخاصتنا وأعضاء دولتنا وحماة حوزتنا، فجزى الله أحياءهم خيراً، وأوسع أمواتهم ثواباً وأجراً. فكم من عظمة دوننا تولوها، وكم من كربة جلوها، وإلى الله نرغب وإياه نسأل أن يثبتهم ويوفقهم لنصرتنا.

معاشر المسلمين أن الله جل ثناؤه لم يخلقكم عبثاً، ولم يترككم سدى، ولم يخلع عذاركم، ولا ملككم اختياركم، بل جعل عليكم رقيباً من العقل قامعاً أمراً وبينهما من رأى رادعاً زاجراً وشهيداً من الشرع مانعاً، ونصب لتأسيس أوامر الصدق وشرائع الحق الأنبياء الصادقين، ثم أمرهم بعد تأسيسها بسياستها وحفظها وحراستها فكان الخلق فى تلقى الحق قسمين: فقسم بان لهم الحق فأذعنوا واستسلموا خاضعين وانقادوا لأمر الله طائعين بصدور منشحة وآمال منفسحة، ففازوا فى دينهم بالدعة والخفض وفى عقابهم بجنة عرضها السموات والأرض. وقسم جحدوا النبوة وخالفوا تمرداً وعصيانياً فاستخفوا بحدود الله وجاوزوا أحكام الله واستهانوا بحرمان الله ولم يعظموا شعائر الله ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ ﴿ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾ فأداهم غيهم إلى سخط الله وسطواته، وبلاهم كفرهم بنكاله ونقماته فلما انقضى عهد النبوة وتعين على الخلق ترض الإمامة ألد فيها طائفة غرتهم الدنيا بزخرفها فنالوا من الدنيا متاعاً قليلاً وكابدوا بعدها عذاباً طويلاً فرحم الله امرءاً نظر لنفسه وفكر فى يومه وأمه.

عباد الله إن لكل قائل غرضاً فيما يقوله، وغرضى والشاهد الله ما أبته لكم ولا أكتمكم ابتغاء مرضاة الله واستشعار تقوى الله والتقرب إلى الله والسعى فى ذات الله

وبذل المهجة للجهاد فى سبيل الله، وحمل الخلق على كتاب الله وإحياء شريعة رسول الله وتأمين السبل الخائفة لتكون السياسة قائمة حيث أمر الله من أمان العباد وإخصاب البلاد وإقامة حكم وإزالة ظلم. ثم إعزاز آل رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين جحد أكثر الأمة حقوقهم واستحلت عقوقهم واستباح دماءهم فشارك فى قتلهم الأموى والعباسى واجتمع عليهم العربى والعجمى فغرضى أن أجبر المصاب وأرد الحق إلى النصاب والأمانة إلى الأرباب. ثم أهل العلم أوفيهم حقهم من التوقير وقسطهم من العطاء والتوفير، وأزيل ما شجر بينهم من الخلاف بنفى الحيف عنهم والإجحاف حيث قادهم إلى السفه والسباب ومكابرة الصواب والتنازع بالألقاب، ثم خيار السلاطين أقرب مجالسهم وأرفع منازلهم وأسعف شفاعتهم ومساائلهم ما لم يضع ذلك حداً أو يغير حكماً. عباد الله إن السياسات أربع: فسياسة تلزم الخاصة والعامة ظاهرة وباطنة وهى سياسة الأنبياء، وسياسة أئمة الحق. والسياسة الثانية تلزم الخاصة والعامة ظاهرة لا باطنة وهى سياسة الملوك المتغلبين، فإن السلطان الجائر إذا ظهر شخصه قالوا قد جاء لا جاء فإذا توسطهم قالوا خلد الله ملكك فإذا فارقهم قالوا مضى لا رده الله. والسياسة الثالثة تلزم الخاصة ظاهرة وباطنة دون العامة وهى سياسة الحكمة والعلوم الاستنباطية والآراء النظرية والاجتهادية. والسياسة الرابعة سياسة الوعاظ للعامة وأصحاب الأقاويص والكراسى فإن سياستهم تلك العامة ظاهرة وباطنة دون الخاصة. ألا ترى إلى بكائهم وخشوعهم. والحكم على ضربين شرعى وسياسى؛ فالشرعى إلى القضاة، والسياسى إلى الولاة. وإنه ليس من العدل والحق أن يكون الأدنى فوق الأعلى ولا الأنقص متقدماً على الأفضل ولا الجاهل مملّكاً على العاقل. ويجب على أمير الجيش أن يعظم الانجاب الأمجاد من الجيش وأن ينزلهم منازلهم ويوفيهم مقاديرهم من الإكرام، ويجب عليه أن يتعاهد ثغوره وقلاعه وحصونه وينهى عن النزول فى بيوت الناس والغلول من أموالهم وغلاتهم فالرعية وديعة الله عند الإمام يجب حفظهم وصونهم وحراستهم والضبط لهم وحملهم على ما فيه صلاح معائشهم والعون لهم على مصالحهم وأمان سبيلهم وتسهيل سبيل مرافقهم ومكاسبهم وإزالة المكوس والأوضاع المجحفة ليكونوا له داعين وفى أيامه

آمنين وبسيرته راضين وأن الحق تستنزل معه الخيرات وتستدر به البركات، جعلنى الله وإياكم ممن يؤثر الحق ويعتمده ويريد الصدق ويقصده (أ.هـ) وهو المراد فى المستدرک على البسامة :

وبالمعيد لدين الله ما عدلت حتى ثوى ناعطا للفوز بالسرر

أبو الفتح الديلمى

دعوته ٤٣٠ هـ استشهاده ٤٤٤ هـ

هو الإمام الشهيد أبو الفتح الناصر بن الحسين بن محمد بن عيسى بن محمد بن عبدالله بن أحمد بن عبدالله بن على بن الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب الديلمى. نشأ فى بلاد الديلم وجال فى غيرها من البلدان، وكان من أئمة الهدى، وله التصانيف المفيدة منها: التفسير (البرهان فى غريب القرآن) والرسالة المبتهجة فى الرد على الفرقة المتلججة - يعنى المطرفية - وغيرها.

كتاب دعوته وخلاصة سيرته

دعوته ببلاد الديلم فى حدود سنة ثلاثين وأربعمائة للهجرة، ثم وصل إلى صعدة فى شوال سنة سبع وثلاثين وأربعمائة للهجرة. ساق صاحب الحقائق كتاب دعوته فى صفحات منه: هذا من عبدالله ووليه الناصر لدين الله إلى كافة الناس... حتى قال: وإنا لما رأينا السيل قد بلغ الزبى، وكادت الصدور تضيق، وسوء الأعمال تحيق، وظهرت الفواحش والفسوق، وشربت الخمر، ومرج الفجور، وضربت المعازف، وشاع النكير، ورفضت الشريعة، واتبعت البدعة، وقل التناصف، واستولى البغى، وعز الظالم، وبز المظلوم، ومات المعروف، وعاش النكير، وطلعت شمس الجور، وأفلت نجوم العدل، وكثر الشقاق والتمرد والنفاق، وغيرت الأحكام، وارتشت

الحكام، واعضواضل أمر أئمة الزيغ والفساد؛ حكموا بغير الكتاب، وضلوا عن الصواب، فعند ذلك وجب علينا ترك الدنيا، والفرع إلى الله، والقيام في أمة نبينا صلى الله عليه وسلم والاستدعاء للأعضاء ليكونوا رداً على المناوئين، يداً على الباغين، يبذلون المهج كماء المأزق حماة الحقائق، يقاتلون على بصيرة، يطلبون حقوقاً طالما مطل غريمها وانتهك حريمها ولم تتصل بهذا الأمر الخطير إلا بالنسب الشريف والعلم بالكتاب والسنة ومعرفة الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والتنزيل والتأويل والتحريم والتحليل والنظر في الكلام والفقه والفرائض واللغة والنحو والتصريف والبلاغة والخطابة، والنشأة على الطهارة والسماحة في السراء والضراء والشجاعة يشهد بذلك الحجازان والعراقان وطبرستان وذلك من فضل الله ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة﴾

ألا يا لهماذان بن زيد تعاونوا
على نصرنا فالدين سرب مضيع
ونادوا بكيلاً ثم و ادعة التي
لها المشهد المشهور ساعة تجمع
سينقاد لى من كان بالأمس عاصياً
ويقرب منى النازح المتمنع
أنا الناصر المنصور والملك الذى
تراه طوال الدهر لا يتضعضع
سنملاً دنيانا من العدل بعدما
مضت حقباً بالظلم والجور تترع

وسار سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة للهجرة فى ذى العقدة إلى صنعاء فملكها وقبض الزكاة والأعشار واستعمل عليها رجلين من ولد الشريف القاسم بن الحسين الزيدى، وولّى القضاء بها الفقيه سعيد بن يزيد من بوادى صنعاء، وسار إلى ذيين فأقام بها إلى صفر سنة ثمان وثلاثين وأربع مائة للهجرة، ثم سار إلى حدّان أسفل وادى السرنبى حشيش، وسار منه إلى علب جنوبى صنعاء فعمر له ابن أبى الفتوح حصن علب بالآجر واستقر فيه ودخل فى طاعته بان أبى الفتوح، وكتب لقبائل عنس ذمار فوصل إليه من رؤسائهم مائة فارس فبايعوه واستدعى الأمير جعفر بن القاسم العيانى فوصل إليه فجعله أميراً الأمراء وأعطاه الربع من الخراج ثم فسد ما بينهما وتعالى على

حربه جعفر وابن أبي حاشد وخرجا من صنعاء فأمر بخراب دور بني الحارث وبني مروان فغضب ابن أبي الفتوح وابن أبي حاشد لذلك ودخلا صنعاء فرفعا عماله وطردا أصحابه من الجامع وقطعا الخطبة له فخرج من علب إلى البون والجوف وخلفه جعفر على صنعاء وجرت بينهما حروب في أثافت وعجيب .

وفى ليلة الثلاثاء الثالث من جمادى الآخرة سنة تسع وثلاثين وأربعمائة للهجرة ثار من جبل مسار حراز الملك على بن محمد الصليحي فسار لقتاله جعفر العياني في جيش عظيم، وعضده جعفر بن عباس الشافعي من مغارب اليمن الأعلى في نحو ثلاثين ألف مقاتل وحاربا الصليحي وأتباعه فقتل جعفر بن عباس وانهزم أصحابه ورجع جعفر العياني إلى بلده، واستفحل أمر الملك الصليحي سنة أربعين وأربعمائة للهجرة وسار إلى بلاد حضور فاستفتحها وتملك حصن يناع فخرج لحربه أمير صنعاء ابن أبي حاشد في جموع كثيرة فالتقيا في قرية صوف من بني سوار ما بين الحيمة وحضور فاقتتلوا قتالاً شديداً فقتل ابن أبي حاشد وألف مقاتل من أصحابه وبقتلة صوف يضرب المثل، ثم نهض الصليحي إلى صنعاء فملكها وبث عماله إلى جميع المخاليف فتقاعد الناس عن نصرة الإمام الديلمي لظهور سلطان الصليحي وعلو شأنه وقهره لكل من ناواه، وما زال الديلمي يتنقل من بلد إلى بلد، وسار إلى خولان وعنس وذيبين خوفاً من الصليحي . وفى سنة أربع وأربعين وأربعمائة للهجرة قصده الصليحي إلى بلاد عنس فقتله ونيفاً وسبعين من أصحابه فى نجد الجاح بالقرب من رداع، وقبروا جميعاً فى محل واحد، ثم نقله ولده السيد محمد بن الناصر أبى الفتح إلى ردمان من بلاد عنس على نحو ثلاثة أميال شرقاً من ذمار، وبعد أن كانت العمارة حول مشهده بالقرن الحادى عشر صار يعرف بقاع الديلمي، وفى ذريته جماعة من أكابر العلماء منهم العلامة الكبير زيد بن على بن حسن الديلمي المتوفى سنة ست وستين وثلاثمائة للهجرة وترجمته بنزهة النظر وقرابته .

وكان العالم الزيدى أحمد بن يوسف الحَجَبْرِى من المحاربين للصليحي ونجا منه إلى بلاد خولان فلم يظفر الصليحي به وصحح أبو الرجال وغيره أن القصيدة التى أولها:

بنى اصبروا للدهر عند الزلازل... إلخ له، وليست للهادى.

علي بن محمد الصليحي

كان أبوه القاضى محمد بن على الصليحي فقيهاً سنى المذهب قاضياً حسن السيرة، وكان الداعى للفاطمية الذين بمصر عامر بن عبدالله الزواحى يتفرس فى على بن محمد ويخلو به حتى استماله إلى مذهبه الإمامى سرّاً من أبيه، وأوصى الزواحى بكتبه له وأعطاه مالاً جزيلاً كان قد جمعه من أهل مذهبه، فعكف على بن محمد على الدرس وكان ذكياً، ثم صار يحج بالناس نحو خمس عشرة سنة ثم حالف ستين رجلاً على الموت أو الظفر، وعمر حصن مسار فأحاط به آلاف المقاتلين لينزل من الحصن فقال: إن تركتمونا نحرس الحصن لكم خوفاً أن يملكه غيركم وإلا نزلنا فتركوه، ووصلته الشيعة بأموال كثيرة وأظهر الدعوة للمستنصر العيىدى الفاطمى، ثم كان ما تقدم قبل صفحة من انتصاره على من حاربه. وكان يخاف نجاحاً صاحب زبيد فسمه على يد جارية جميلة أهداها له سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة للهجرة فى مدينة الكدراء ثم بعث بهدايا جلييلة إلى المستنصر بمصر منها سبعون سيفاً قوائمها من العقيق وغيرها مع أحمد بن محمد الصليحي والد السيدة الملكة وأحمد بن المظفر والد السلطان سبأ بن أحمد. فأمر له المستنصر برياياته وألقاب وأذن له بنشر الدعوة، وبعد وفاة نجاح سار إلى التهائم ولم تخرج سنة خمس وخمسين وأربعمائة للهجرة إلا وقد ملك اليمن كله إلى عدن. ولما وصل فى أول قيامه إلى مسجد الجند وخطب فيه يوم الجمعة وقال: سنخطب الجمعة الثانية بعدن. فقال رجل مستهزئاً: سبوح قدوس. فأخذه معه إلى عدن وخطب بعدن كما قال فقال الرجل: سبوحان قدوسان، ودخل فى مذهبه.

واستقر ملكه بصنعاء وعمر بها قصوراً وأسكن بها ملوك اليمن الذين استولى على ملكهم وهم كثيرون نحو خمسين ملكاً وكان لا يفارقهم. وقال: لا يولى تهامة إلا من حمل إليه مائة ألف دينار فحملت إليه زوجته أسماء بنت شهاب المائة ألف ليولى

أخاها أسعد بن شهاب فسألها من أين المال؟ فقالت: إن الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال هذه بضاعتنا ردت إلينا فقالت: ونبر أهلنا ونحفظ أخانا، وكانت أسماء كريمة حازمة مدبرة إلى الغاية، فأجلّها زوجها وكانت لا تستر وجهها. فدخل أسعد بن شهاب زبيد سنة ست وخمسين وأربعمئة للهجرة فأحسن السيرة، وكان يحمل إلى الصليحي كل سنة بعد أرزاق الجند الذين بتهمة ألف ألف دينار، وعامل آل نجاح بالصفح. ثم في آخر سنة تسع وخمسين وأربعمئة للهجرة توجه الصليحي من صنعاء للحج عن طريق تهامة ومعه الأموال الكثيرة والهدايا الجليلة أعدها الملك مصر العبيدي ومعه الملوك نحو خمسين ملكاً والجيش الكثير ونحو مائة وستين من آل الصليحي منهم أخوه عبد الله وزوجته أسماء وألفا فارس وخمسائة من خيله المجنبة عليها مراكب الفضة ومما معه خمسون دواة من ذهب وفضة وغيرها من الزينة والآلات، ونزل بمدينة المهجم بتهمة، وخيمت عساكره حوله فلما كان الثاني عشر من ذي القعدة سنة تسع وخمسين وأربعمئة للهجرة نصف النهار شاع قتل الصليحي وكان خائفاً من سعيد الأحول الذي سبق أن سمه فخرج سعيد من البحر بجماعته من ساحل المهجم ودخلوا في جيش الصليحي بزيهم فلم يستنكرهم أحد حتى تمكنوا من قتل الصليحي وأخيه عبد الله ويأس الصليحي من الحياة ولم يتحرك من مكانه وبال وقتل بسيفه وتفرق جنده فهاجمتهم القبائل في الطرقات ونهب الناس من المحطة أموالاً كثيرة غنى بها الفقراء وأخذوا زوجته أسماء على جمل وركزوا أمامها رأس زوجها ورأس أخيه إلى زبيد، ثم جعلوا الرأسين أمام طاقتها بزبيد وهرب من زبيد أسعد بن شهاب وبقيت أسماء سنة، فوصل إلى زبيد مشرقى من صنعاء في صورة سائل فرأته من طاقتها ورجمت له بقرص داخله كتاب إلى ابنها الملك أحمد المكرم بن علي الصليحي وفيه أنها قد حملت من العبد سعيد للإثارة ولم تحمل في الواقع، فلما وصل الكتاب إلى المكرّم قرأه على قبائل همدان، فثارت حميتهم، وسار المكرم بثلاثة آلاف فارس، وقال لهم: إنكم ستقدمون على الموت فمن أراد أن يرجع فليرجع فلم يرجع أحد، وقصدوا باب الشبارق بزبيد، وخرج سعيد الأحول بمجموعة عشرين ألفاً لقتالهم وكانت ميمنة العرب لأسعد بن شهاب والميسرة لعمه

والقلب للمكرم، وكان شجاعاً فانكسرت الحبشة وأتى القتل على أكثرهم وكان سعيد الأحول قد أعد خيلاً مضمرة على الباب الغربى باب النخل فركبها مع خاصته إلى البحر ثم ركبوا السفن إلى دهلك وكان أول فارس تحت طاقة أسماء ابنها المكرم فلم تعرفه فرفع المغفر فعرفته فقالت: مرحباً بمولانا المكرم وضربته الريح حتى اختلج إلى موته، وأقبل رؤساء العرب يسلمون على أسماء وهى كاشفة وجهها كعادتها من قبل أيام ملك زوجها فقد كانت تدير أمور الملك وتقابل الرجال ثم عاد أسعد بن شهاب لولاية تهامة بزييد وعاد المكرم بأمه إلى صنعاء، وكان أبوه قد زوجه بالسيدة الحرة بنت أحمد بن محمد الصليحي وقال: هذه ستحفظ ملكنا وأعطاها خراج عدن مهراً كل سنة ثم مات زوجها المكرم بعد ثلاث عشرة سنة فملكته بعده أكثر من خمسين سنة واتخذت جيله عاصمتها مع صنعاء.

السيدة بنت أحمد الصليحية

وولادتها سنة أربع وأربعين وأربعمائة للهجرة وربتها أسماء بنت شهاب وكان يقال لها بلقيس الصغرى وفوض زوجها المكرم أمور الملك إليها وتفرغ للشراب والسماع. وكان الذى اختط جيله عبدالله بن محمد الصليحي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة للهجرة بولاية من أخيه وكان حصن التعكر محزناً لأخيه الصليحي ثم توفيت أسماء بنت شهاب بصنعاء. ولما كانت السيدة بصنعاء وصل إليها القبائل بالسيوف والأسنة فقالت: هؤلاء الجيش ولما كانت بجبله وصلوا إليها بالبر والسمن والعسل والغنم فقالت: هؤلاء العيش والسكون بينهم أصلح ثم عاد بنو نجاح وأخرجوا سعد بن شهاب من زييد.

ولما كانت سنة إحدى وثمانين وأربعمائة للهجرة دبرت السيدة حيلة لقتل سعيد الأحول فأمرت الحسين بن التبعى صاحب حصن الشعر بمكاتبة سعيد إلى زييد بأن المكرم قد أصابه الفالج وعكف على اللذات ولم يبق الأمر إلا بيد امرأة وأن سعيداً أقوى ملوك اليمن فإن رأى أن يطبق بجيشه على جيله والحسين التبعى بجيشه فيفعل ويطبق

الجيشان على جبله فخرج سعيد من زبيد بثلاثين ألف حربة وكانت السيدة قد كتبت إلى عمران بن الفضل وأسعد بن شهاب أن يخلفوا سعيد الأحول إلى زبيد بثلاثة آلاف فارس فدخلوها وهرب بقية بنى نجاح ولحق جيش بالهند.

ولما صار سعيد الأحول تحت حصن الشعر أطبق عليه الجيشان جيش السيدة وجيش الحسن التبعي صاحب الشعر فقتل سعيد ومن معه ونجا منهم نحو ألفى رجل وكانت زوجته أم المعارك معه فأسرت فعرضوا عليها القتل فعرفت زوجها فاحتزوا رأسه وحمل على رمح أمام هودجها وجيء بها إلى السيدة فأسكتتها فى مكان بدار العز بجبله ونصب رأس زوجها أمام طاقتها. وكانت تقول السيدة: ليت أسماء تنظر رأس سعيد تحت طاقة أم المعارك وفى سنة أربع وثمانين وأربعمائة للهجرة توفى المكرم وأوصى إلى الأمير سبأ بن أحمد بن المظفر بن على الصليحي وهو الذى مدحه الحسين بن على بن القم بقوله:

ولما مدحت الهزبرىّ ابن أحمد
أجاز وجازانى على المدح بالمدح
فعوضنى شعراً بشعر وزاد فى
عطائى فهذا رأس مالى وذا ربحى
شقت إليه الناس حتى لقيته
فكنت كمن شق الظلام إلى الصبح
فقبح دهر ليس فيه ابن أحمد
ونزه دهر كان فيه من القبح
فقال سبأ لابن القم: أنت كما قال المتنبي:

وفؤادى من الملوك وإن كان لسانى يرى من الشعراء
وكان سبأ دميم الخلق قصيرا وكان مقر ملكه حصن أشيخ أنس وهو نظير مسار والتعكر فى المنعة، وقد كان جيش بن نجاح قد عاد من الهند واستولى على زبيد واستمر القتال بينه وبين سبأ، ثم غزاه سبأ بثلاثة آلاف فارس وعشرة آلاف راجل وحط على زبيد فرأى التوانى من جيش الحبشة فتراخى سبأ فى الحزم فبيتوه ليلة على غرة فقتلوا أكثر أصحابه ونجا على قدميه طول ليلته حتى وجد من أركبه ثم لم

محاولة سبأ الزواج بالسيدة

ثم خطب سبأ السيدة فرفضت فأرسل إلى المستنصر العبيدي إلى مصر رسولين هما القاضي أبو عبدالله الحسين بن إسماعيل الأصبهاني وأبو عبد الله الطيب بهدايا فاخرة يطلب أمر المستنصر لها بالزواج به فعاد الرسولان بالأمر فبعث به سبأ مع رسله وهي بدار العز بجيلة ومعهم أستاذ من مصر فتكلم الأستاذ وهو واقف ووزراؤها قيام أمامها فقال الأستاذ: أمير المؤمنين يرد السلام على الحرة الملكة السيدة الطاهرة الزكية سيدة ملوك الزمن عمدة الإسلام خالصة الإمام ولية أمير المؤمنين ويقول لها: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً﴾ وقد زوجك أمير المؤمنين من الداعي الأوحّد عمدة الخلافة أمير الأمراء أبي حمير سبأ بن أحمد بن المطفر بن علي الصليحي على ما حضر من المال وهو مائة ألف دينار عيناً وخمسون ألفاً أصنافاً من تحف والطف وطيب وكساوى . فقالت: أما كتاب مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه فإنني أقول فيه: ﴿إنني ألقى إلى كتاب كريم﴾ ولا أقول في أمر مولانا: ﴿يا أيها الملأ افتنوني في أمري ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون﴾ وأما أنت يا ابن الأصبهاني فوالله ما جئت من مولانا سبأ نبأ يقين، ولقد حرفتم القول عن مواضعه وسولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون، ثم تقدم إليها زريع بن أبي الفتح وزيرها وابن الأصبهاني ونظراؤهما فما برحوا يتلطفون بها حتى أجابتهم إلى العقد فعقد النكاح وسار سبأ في أمم إلى جيلة فأقام خارجها شهراً والضيافات الواسعة تخرج إليه إلى مخيمه وأنفقت على عساكره من مالها مثلما قدمه من المهر ورأى سبأ من عالي هممتها وشرفها ما حقر نفسه وندم على خطبتها وأرسل إليها سراً أن تأذن له بالدخول إلى دار العز ليلة ليوهم الناس أنه قد اجتمع بها . وقيل: إنها أرسلت له جارية فباتت الجارية واقفة على رأسه وهو جالس لا يرفع رأسه إليها حتى يطلع الفجر وكان يرى

أن وطىء الجارية عار فلم يطأ جارية ولا شرب مسكراً فى حياته فلما طلع الفجر أمر بضرب الطبول وارتحل وكانت زوجته الجمانة بنت سويد بن زيد الصليحي بحصنة بأشيح إلى أن توفى سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة للهجرة فخرجت صنعاء وأعمالها عن مملكة الصليحيين واستولى عليها السلطان حاتم بن الغشم، ثم أقامت السيدة للذب عن ملكها المفضل بن أبى البركات بن الوليد الحميرى ولم تكن تقطع أمراً دونه ولم يكن فى رجال مملكتها من يساويه وغزا تهامة مراراً وهبط إلى عدن مراراً، وكان حازماً شجاعاً شهماً قصده الشعراء منهم مواهب بن جرير المغربى مدحه بغرر القصائد منها:

يا مالك الدين والدنيا وأهلها ومن بعزته الإسلام ممتسك

قد قيل جاور لتغنى البحر أو ملكاً وأنت يا ابن الوليد البحر والملك

واستمرت السيدة بجبله إلى وفاتها بها سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة للهجرة عن ثمان وثمانين سنة من مولدها وتزوجت بالمكرم وهى فى ثمان عشرة سنة، وحكمت أكثر من ستين سنة وأعادت بناء الجناح الشرقى بجامع صنعاء كما هو عليه إلى الآن بقوة البناء وزخرفة السقف والإتقان، وعمرت جامع جبله وقبرت به، وأصلحت الطرق فى جبال اليمن الأسفل كسمارة وغيره، وأوقفت الصلبة خارج أب للبقر وغير ذلك، واستولى على ذخائرها وأموالها وحصونها بعدها منصور بن المفضل ابن أبى البركات بن الوليد الحميرى وتفاصيل تاريخ الصليحيين فى كتاب الدكتور حسين الهمدانى وغيره. وكان على بن محمد الصليحي شاعراً عالماً من شعره:

أنكحت بيض الهند سمر رماحهم فروسهم عوض النثار نثار

وكذا العلى لا يستباح نكاحها إلا بحيث تطلق الأعمار

وله:

وألذ من قرع المثنى عنده فى الحرب ألجم يا غلام وأسرج

خيل بأعلى حضرموت مجالها وصهيلها بين العراق ومنبج

وقد ذكر الدكتور الهمداني في كتابه الصليحيين في اليمن وصية السيدة للإمام المستور بما يدهش الألباب من الكنوز والجواهر والأموال ونسبة الصليحيين إلى قبيلة الأصلوح من همدان بن زيد.

وأولدت السيدة للمكرم ابنين محمداً وعلياً ماتا طفلين وفاطمة وأم همدان؛ ففاطمة تزوجها يمن بن الداعي سبأ وتوفيت سنة أربع وثلاثين وخمسمائة للهجرة بعد والدتها بستين، وأم همدان تزوجها ابن خالها أحمد بن سليمان الزواحي فولدت له المستعلي وتوفيت سنة ست عشرة وخمسمائة للهجرة قبل والدتها بست عشرة سنة. وكان الصليحيون يرسلون خراجاً كبيراً جداً من اليمن إلى الخلفاء العبيديين بمصر في كل سنة من عرق الرعية اليمنيين.

وبعد أن استولى منصور بن المفضل بن أبي البركات بن الوليد الحميري على ذخائر السيدة وأموالها وحصونها وبلادها بعد وفاتها سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة للهجرة باعها من الداعي محمد بن سبأ بن أبي السعود بن زريع بمائة ألف دينار. ثم أحب الدعة والسكون وطلق زوجته أروى بنت علي بن عبدالله بن محمد الصليحي وبقي بصبر وتعز من سنة ست وأربعين وخمسمائة للهجرة واتخذ ثعبات متزهاً إلى أن توفي في بضع وأربعين وخمسمائة فخلفه ابنه أحمد بن منصور إلى سنة ثمان وخمسين وخمسمائة للهجرة فطلع من تهامة مهدي بن علي بن مهدي فاشتري من أحمد بن منصور صبر وتعز.

حنة بنت عبدالله بن الحسين

وفى سنة خمسمائة للهجرة توفيت الشريفة العابدة ذات الكرامات حنة بنت عبدالله بن الحسين من آل أبي السعود من بنى الإمام الهادي يحيى بن الحسين. قال أبو الرجال في مطلع البدر: «كانت من الفضل بمحل شهير، ومن العبادة بمقام خطير، ولها

حمزه بن أبي هاشم

الأمير المحتسب الشهيد حمزة بن أبي هاشم الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبدالله بن الحسين بن القاسم الرسى قيامه ٤٥٢ واسشهاده ٤٥٩ كان أميراً خطيراً شهماً شجاعاً أجمع الناس على فضله . قام محتسباً لماعظم أمر الصليحي بعد قتله ابي الفتح الديلمي ومطاردته لسائر الأمراء من السادة وغيرهم فقصده عامر بن سليمان بن عبدالله الزواحي فى نحو ألف وخمسمائة فارس وخمسة عشر ألف راجل إلى بلاد أرحب فالتقاء الأمير حمزه فى ثمانية آلاف مقاتل ، وكانت الملاحم الشديدة بينهم قال فيها الأمير حمزة:

أطعن طعنًا نائراً غباره

طعن غلام بعدت انصاره

وانترحت عن قومه دياره

ثم أخذ أجناد الصليحي المضيق فى أعلى وادى المنوى وأسفله ، ورموهم بالنبل والحجارة فقتل منهم نحو ثمانمائة رجل ، وثبت منهم سبعون شيخاً من همدان يجالدون دون الأمير حمزة حتى قتلوا جميعاً ، وقتل حمزة بوادى المنوى غربى قرية بوسان أرحب سنة تسع وخمسين وأربعمائة للهجرة وفيه يقول المنصور عبدالله بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن على بن حمزة الشهيد

أوليس جدى حمزة نعش الهدى

بحسامه وبعزمه من الوقادِ

فمشى إلى أن ذاق كأس حمامة

وسط العجاجة والخيل عوادى

لم يرتدع فى حربه عن عامر

من فرط إبراق ولا إرعاد

وسليله جدى سليمان الرضى

كثرت مكارمه عن التعداد

ولحمزة سبق إلى طرق العلى

يرويه كل أخى تقىً وسداد

ثم كان نقل جسد الأمير حمزة من المنوى إلى قرية بيت الجالد من بلاد أرحب وقبره بها مشهور مزور. ولم تطل مدة على بن محمد الصليحي بعده فقد قتل فى تهامة فى ذى القعدة فى نفس السنة تسع وخمسين وأربعمائة للهجرة، وقتل عامر الزواحي القائد فيما بين ثلا وشبام.

قال صاحب البسامة:

وحمزة روت المنوى له بدم

وفرقت منه بين الرأس والقصر

سر الزواحي والأصلوح مصرعه

وقد ثأرنا به منهم على الأثر

بعامر وبمنصور وأسرتهم

لما التقى رائح منهم بمبتكر

وقال الإمام المعتضد يحيى بن الحسين إلى الأمير محمد بن الإمام عبدالله بن حمزة:

ألم ننقم بثأركم قديماً

بحمزة يوم أهلكه الزواحي

قتلتنا عامراً فيه انتقاماً

ومنصوراً بأطراف الرماح

إذا ملكت يداك مسير يوم

فأرض الله واسعة النواحي

وحمزة بن أبى هاشم هو جد عموم الحمزات وقد يلقب النفس الزكية كوالده الإمام أبى هاشم الحسن وكالنفس الزكية الإمام محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب الشهيد بالمدينة المنورة سنة خمس وأربعين ومائة للهجرة.

أحمد بن سليمان

مولده ٥٠٠ هـ دعوته ٥٣٢ هـ

هو الإمام الأعظم المتوكل أحمد بن سليمان بن محمد بن المطهر بن على بن الناصر

أحمد بن الإمام الهادي يحيى بن الحسن مولده بنواحي حوث سنة خمسمائة للهجرة ونشأ بها فأخذ عن الإمام الفقيه زيد بن الحسن بن علي البيهقي الخراساني القادم إلى اليمن، والسيد الحسن بن محمد من ذرية المرتضى بن الهادي وعن الفقيه عبدالله بن زيد العنسي اليماني الواصل من الجيل والديلم إلى اليمن سنة إحدى وخمسمائة للهجرة بكتب أهل البيت وهو غير القاضي الشهير عبدالله بن زيد بن أحمد بن أبي الخير العنسي صاحب الإرشاد والمجموع وغيرهما المتوفى سنة سبع وستين وستمائة للهجرة بكحلان وسيأتي.

وأخذ عن الشيخ إسحاق بن أحمد بن عبد الباعث اليمني إمام وخطيب جامع صنعاء وعن غيرهم. وله مصنفات وأشعار ورسائل. وكان زاهداً شجاعاً من مصنفاته كتاب «أصول الأحكام في الحديث» جمع فيه أكثر من ثلاثة آلاف حديث وكتاب «المدخل في أصول الفقه» وكتاب «حقائق المعرفة» و«الحكمة الدرية» في أصول الدين ورسالتان في الرد على المطرفية. وجمع سيرته الشيخ سليمان بن يحيى الثقفي، نقل منها الفقيه حميد الشهيد في الخدائق والزحيف والشرفي في شرحي البسامة وصاحب أنباء الزمن ما خلاصته: دعا من الجوف وخرج معه رجلاً إلى برط فبايعه بعض دهمه ثم سار إلى أملح ثم نجران في محرم سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة للهجرة فتلقيه الشيخ العون بن زغبة بن علي بن الجعدى اليامي وأخبره بما قد ظهر بنجران من المنكرات وبايعوه وانتظم له الأمر في صعدة وأعمالها ونجران والجوف والظاهر وبعث ولاته إلى وادعة وسنحان وشريف وخولان الشام ثم صنعاء وأعمالها ومذحج ونواحيها وخطب له في ينبع وخيبر وبعث كتبه إلى الجيل والديلم وكتب إلى بني علي:

ما إن بكيت على رسم ولا دَمَنْ ولا لطلعة ظبي أغيدِ حَسَنَ

لكن بكيت على الأيام حين ذوى مخضره وثوى في اللحد والكفن

لما رأيت الهدى قد مات واندرست أعلامه فسيل الحق لم يين

نهضت أدعو عباد الله مجتهداً إلى الهدى وفروض الدين والسنن

لم لا أبيع من الرحمن خالقنا
 نفسى الدميمة بالوافى من الثمن
 ولى قبيلٌ معينٌ ليس يخذلنى
 من إخوتى وبنى عمى بنى حسن
 وهم جناحى وهم حصنى وهم عضدى
 وهم سنانى وهم سيفى وهم جنى
 قوموا جميعاً بنى الزهراء وانتصروا
 مما أضربكم فى سالف الزمن
 وجاهدوا فى سبيل الله وانتقموا
 للحق واستيقظوا من غفلة الوسن
 فإن تحيوا أملككم بلا كذب
 على الشريعة أرض الشام واليمن
 وقال الشيخ نشوان بن سعيد الحميري يحث على طاعة الإمام:

سلام الله كل صباح يوم
 على خير البرية أجمعينا
 على الغر الجحاح من قريش
 أئمتنا الذين بهم هدينا
 بنى بنت الرسول إلى مَ كل
 فأبلغ ساكن الأمصار أنا
 بأكرم ناشئ أصلاً وفرعاً
 بأحمد ذى المكارم قد رضينا
 وأعلى قائم حسباً ودينا
 رضينا بالإمام وذاك فرض
 نقول به ونعلن ما بقينا

وقال نشوان أيضاً فى حث الإمام على النهوض من يرسمُ صعدة:
 دع يرسماً والمسانى واقصد اليمنا
 فأفقر الناس من يا ابن الأكرمين سنى
 فأنت تصلح للرايات تعقدها
 وللمواكب تحيى الدين والسنا
 وللمنابر تنشى فوقها خطباً
 تعيى اللبيب النجيب العالم الفطنا
 بل مرسلٌ قد أتى بالوحى مؤتمنا
 ما كان جدك حراثاً فتلحقه
 أو قاسماً مغنماً أو مالكاً مدنا
 مازال فى عمره مستفتحاً بلداً

نهوض الإمام إلى اليمن وصنعاء

فى سنة خمس وأربعين وأربعمائة للهجرة نهض الإمام من صعدة وبلادها بعد أن وصلت إليه الجموع تطلب انتقاله إلى اليمن وكتب إليه أخوه عبدالله بن سليمان من حوث يذكر انتشار الفساد فتقدم الإمام إلى عيان ثم وادعة والجوف وتقدم من صنعاء لحربة السلطان حاتم بن أحمد بن عمران بن مفضل الياىى الهمدانى فحال بينهما البلاد المتوسطة، ثم سار الإمام إلى حصن بيت بوس جنوبى صنعاء وأقبلت إليه بنو شهاب وحضور وكثيرون. وأرسل خفية من يشتري له من صنعاء ورقاً وصابوناً فبلغ السلطان حاتماً فكتب إليه:

أبا لورق الطلحي تأخذ أرضنا ولم تشتجر تحت العجاج رماح

وتأخذ صنعاء وهى كرسى ملكنا ونحن بأطراف البلاد شحاح

فقال الإمام: إن شاء الله نأخذها ونهض ووقع الحرب حول صنعاء ومال أهل السرار منها إلى الإمام، ودخلت خيل ورجال الإمام إلى الميدان، وأخذوا درب القطيع ولما عجز حاتم قال وكان فصيحاً:

غَلَبْنَا بنى حواءَ بأساً ونجدةً ولكننا لم نستطع غلب الدهر

فلا لوم فيما لا يطاق وإنما يلام الفتى فيما يطاق من الأمر

ثم خرج حاتم مع جماعة من الأشراف ومذحج إلى الإمام ببيت بوس وأنشد قول كعب بن زهير:

أنبت أن رسول الله أوعدنى والعفو عند رسول الله مأمول

فعفا عنه وباع الإمام هو أصحابه ودخلوا صنعاء جميعاً دخولاً معظماً، وأقبل الناس إلى الإمام من كل جهة، ونصب للقضاء القاضى جعفر بن أحمد بن عبدالسلام، وأرسل عماله إلى الجهات، وخرج حاتم إلى المنظر بالروضة وكتب إلى الإمام:

رأيت إماماً لم ير الناس مثله أبر وأوفى للطريد المشرّد

عفا ووفى حتى كآنى عنده

أخ أو حميم لست عنه بمبعد

ولبت حاتم على ذلك مدة ثم اختلفا والتقيا بعزم السد وافترقا على غير سداد، ثم كانت بينهما معركة بشعب الجن تحت براش وفيها وقع مطر يشبه الدم أثر فى الأرض والثياب.

وفى سنة ست وأربعين وخمسمائة للهجرة وصل بنو الزواحي أهل حصن كوكبان إلى الإمام بصنعاء لتسليم الحصن ثم لم يتم. ثم خالف أهل همدان مع سلطانهم حاتم ووقعت معركة بالرحبة مع أصحاب الإمام انهزم فيها همدان ثم انتصروا بمعركة فى موضع يسمى: رغام فخرج الإمام إلى غيمان ثم ذمار فكانت معركة فى موضع يقال له: القليس فى بلاد ذمار؛ قاتل الإمام فيها بنفسه، ثم بات فى محل يقال له: كرش، ثم سار عن طريق سامك إلى السر ثم الحارد، ووصل إليه سلاطين آل الدعام، ثم نهض إلى الجبجب بصعدة.

وفى سنة سبع وأربعين وخمسمائة للهجرة سار بقبائل خولان الشام إلى حيدان، ثم عذر فبايعته حاشد، ثم إلى وادعة، ثم إلى الجوف ثم إلى بلاد مدع ومسور، ثم إلى جنب وذمار وعيد الأضحى بأفق جهران، وقال قصيدة منها:

لأحكم صوارماً ورماحاً	ولأبذلن مع السماح سماحاً
ولأجلون الأفق عن ديجوره	حتى يعود دجى الظلام صباحاً
يا آل مذحج إننى أعددتكم	لى فى الحوادث جنة وسلاحاً
قوم فتحت بهم أزال ولم أزل	لجميع أمصار الملا فتاحاً
لست ابن أحمد إن تركت زعانفاً	يتبخثرون وينكحون سفاحاً
يتواعدون لكل ليلة جمعة	فإذا توافوا أطفالوا المصباحاً
.. إلخ.	

ثم اجتمع الإمام والسلطان حاتم في قرية بيت الجالد أرحب فاصطلحوا على الصيانة لأصحاب الإمام وشيعته بصنعاء وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وترك الخطبة للباطنية بصنعاء، وإظهار مذهب الهادي يحيى بن الحسين واحترام الأشراف في جميع بلاد السلطان وترك الحرب.

وقعة غيل جلاجل

في رجب سنة تسع وأربعين وخمسمائة للهجرة وصلت إلى الإمام امرأة تجز ذوائها بين يديه وتشكو أن ولدها واقعها في ليلة الإفاضة التي يجتمع فيها الباطنية نساءً ورجالاً ويطفئون المصابيح ويفضون بعضهم إلى بعض وربما وقع الرجل على أخته أو ابنته أو أمه وكان أول من أحدث هذه البدعة الشيعية على بن الفضل كما سبق. فغضب الإمام أحمد وسار إلى بلاد الشام إلى بلاد بني شريف وسنحان الشام وأقبلت إليه نهدي وجنب وخشعهم وقصد بالجميع الباطنية وادعة ويام وقد كانوا ألزموا جنبتي وادي غيل جلاجل في كل جنبه مائة فارس وألف راجل ف وقعت المعارك وانجلت عن هزيمة الباطنية من وادعة ويام واستيلاء أصحاب الإمام على بلادهم وما فيها، وفر بقية الباطنية إلى نجران. وقال الإمام قصيدة منها:

الله أكبر أي نصر عاجل	من ذي الجلال بفتح غيل جلاجل
كم منةٍ منه عليّ ونعمة	وسعادة تترى وفضل فاضل
حمداً له عدّ الرمال وعدة	النعماء والنّفْسِ الكثير الجائل
كفّرت به يام ووادعة معاً	وتجبروا وتمسكوا بالباطل
دانوا بدين الباطنية وهو من	دين المجوس وفوق جهل الجاهل
وأتوا من الفحشاء كل كبيرة	فعلاً وقولاً فوق قول القائل
فدعوت أبطال الحجاز فبادروا	وأنت إلى عساكري وجحافل

ودعوت ذا العليا (منيفاً) دعوة

وله مكارم من أبيه وجده

هم رأس قحطان وذروة مذحج

وفوارس من خثعم أكرم بهم

لما توافى جندنا يمتهم

وقصدتهم فى أرضهم فتركهم

أجليتهم عن أرضهم وبلادهم

وحصونهم معروفة معدودة

إنى لحرب الباطنية قائم

كم قد ظفرت بهم فلم أظلم وكم

إنى دمار الفاسقين وإننى

يا قوم فاعتبروا بذلك وابشروا

فأجاب كالسبع الفروس الصائل

مشهورة وُسِمَتْ بِعَزِّ طائل

ما أيّ قحطان لهم بمشاكل

وصلوا من البلد البعيد الراحل

بلد العدى ووطأتهم بكلاكل

جزر السباع وطعمة للأكل

ولعلها تأتى ثلاث مراحل

مأتان قد حسبت وأى معاقل

وأنا لهم ضد ولست بغافل

جاشت بحرب الكافرين مراجلى

للظالمين كمثل سم قاتل

فلقد ظفرتم بالإمام العادل

آيات سماوية

قال الديبع فى قرة العيون وصاحب أنباء الزمن: فى سنة تسع وأربعين وخمسمائة للهجرة كانت قضية أهل قرية المغلف بتهامة قريب الكدراء. وهى أن سحابة سوداء مظلمة أتتهم من جهة اليمن زاحفة فيها برق ونار تلتهب فغشيتهم احتملت الريح أكثر القرية من أصلها بما فيها وألقتهم فى محل نازح بنحو خمسة أميال صرعى فهلكوا. وفى سنة تسع وأربعين وخمسمائة للهجرة سقطت حجرة من السماء فوقعت فى الصلاحفة قريباً من جيلة وحصلت رجفة شديدة تزلزلت منها تلك الجهات.

وفى سنة تسع وأربعين وخمسمائة للهجرة حصلت زلازل عظيمة من صنعاء إلى عدن هلك بها كثير من الناس، وانهدمت كثير من القرى فسبحان القادر المخوف بالآيات. وفيها وصل الإمام إلى بلاد ذمار وأصلح ما بين قبائل مذحج وقبائل جنب فى قتلى كانت بينهم وقال قصيدته الزهدية منها:

دعنى أطفى عبرتى ما بداليا	وأبكى ذنوبى اليوم إن كنت باكياً
وليس لذنبى من دواء سوى البكا	وتوبة ذى صدق وعفو إلهيا
هبينى نسيت الموت والبعث فينة	وما كان من علم الغيوب وراثيا
ألم أعتبر نفسى ونقصان قوتى	ولم أك للموت المشاهد ناسيا
وكنت امرءاً ذا قوة فى شبيبتي	فأصبح مخضر الشيبة ذاويا
وبُدِّلْتُ نقصاناً بدا فى جوارحى	وجاء نذير الشيب للنفس ناعياً
فيا عجباً من غافل غير عاقل	يجدد من دنياه ما صار باليا
ويعمر ما قد خرب الدهر قبله	ويتبع تسويفاً له وأمانيا
ومن هرم يزداد ضعفاً وقلة	وآماله يرمى بهن المراميا
فيا أيها المغرور أقبل على التقى	وأقصر على الأهواء ولا تك لاهيا
وكن جاهداً فى طاعة الله ربنا	تفز بالذى تهوى ولا تك عاصيا
كفى بالبلا والموت للناس زاجراً	وبالشيب عن فعل المظالم ناهيا
فطوبى لمن يعطى الشهادة تحفة	ومن كان مهدياً ومن كان هادياً
فلولا الترجى للشهادة والهدى	وأضحى إلى الرحمن والدين داعيا
لماصرت إلا فى طريق ابن أدهم	وكنت لعمر بن العبيد مؤاخيا

وقعة الشرة

فى سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة للهجرة نهض الإمام من دمار فى نحو ثلاثة آلاف من مذحج وغيرها ولما وصل الشرة بين شيعان وأسلاف وردعان؛ أقبل عليه السلطان حاتم بن أحمد اليامى الهمدانى فى زيادة على عشرة آلاف مقاتل من همدان وسبخان ونهد وغيرهم فاشتد القتال وانتصر الإمام بقتل خمسمائة قتيل من أصحاب حاتم وأسر خمسمائة أسير وفراره ببقية أصحابه إلى صنعاء ثم إلى حصن براش وغيره، ونهض الإمام إلى صنعاء فأخرب درباً عظيماً كان قد تحصن به حاتم فلم ينفع.

وفى وقعة الشرة وما بعدها قال القاضى محمد بن عبدالله الحميرى من قصيدة:

أقامت منار الدين يا ابن محمد	وصرت كمثل الشمس باد عمودها
فاشرقت الآفاق منك بغرة	كثير لرب العالمين سجودها
ألست الذى أحيت دين محمد	وأسيافه قد كلّ منها حديد
ألست الذى ذكرتنا وقعاته	وبيض الليالى قد محتها سود
بنجران والغيل الشهير وصعدة	وصنعاء والجوفين باد شهودها
ويوم نهضنا من دمار بخيلنا	وزيد بن عمرو يوم ذاك عميد
كتائب من جنب بن سعد ومذحج	تعاذى بهم خيل خفاف لبودها
فلما وصلنا نجد شيعان أقبلت	علينا الأعادى كهلهما ووليد
ولما أطلّ الموت واشتجر القنا	ودارت رحاها ثم شبت وقودها
ركزت لهم صدر القناة كأنما	جبال ثبير ثمة أرسى ركودها
وقلت لمر النفس صبراً فهذه	حياض الردى حقاً وإنى ورودها
وواساك من أهل الديانة عصبه	كثير إذا اشتدت قليل عديدها

صعقنا عليهم صعقة مذحجية
فيا للإكام السود لولا صعودها
فخمس مئين حُرٌّ منها وريدها
وطاروا إلى رروس الجبال شلائلاً
وسرنا لغمدان المنيف فأصبحت
وأضحى ابن عمران المتوج حاتمٌ
وأنت بنفس لا يزال نفيسها
فيا ابن أمير المؤمنين ومن له
إذا طلبت همدان منك إقالة
فعدلهم بالصفح منك و بالرضى
وحاشاك أن تنسى السوابق منهم
فَقَدْ جمعها يا ابن النبی إلى الهدى
فما اجتمعت يوماً نزارٌ ويعربٌ
وكل أناس أعرضوا وتستروا
... إلخ.

فكادت لها تلك الجبال تميدها
لقد كادت الأبطال جمعاً تبيدها
وخمس مئين أثقلتها قيودها
من الخوف فيها خافقات كبودها
ذوائبه فى الترب ثاوٍ مشيدها
يقول ألا عفواً فلستُ أعودها
إلى كل مجدٍ أو طعان يقودها
سوابق مجد ليس يحصى عديدها
وسنحان يوماً واستقام أويدها
فلن يبلغ الغايات إلا معيدها
وما فعلته فى القديم جدودها
فليس يقود القوم إلا رشيدها
بمجمع إلا وأنت تسودها
فما هم من الإسلام إلا يهودها

استعانة أهل زبيد بالإمام على ابن مهدي

كان على بن مهدي الرعيني الحميري قد ثار فى أسفل وادى زبيد وأظهر العبادة والزهد والشعوذة، فعظم أمره وقتل من خالفه، ثم انتقل إلى الرس وصاب، وكرر

الغارات حتى أخرب المحلات بين زبيد والجبال، ثم احتال على قتل القائد سرور الفاتكى أمير زبيد وهو يصلى العصر بمسجده، وزحف ابن مهدي بجموع لا تطاق وثبت أهل زبيد فى نيف وسبعين زحفاً إلى آخر سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة للهجرة ثم استعانوا بالإمام فنهض فى سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة للهجرة بجنوده ولبت بزبيد ثمانية أيام وأمر عبيد آل نجاح بقتل مولاهم فاتك بن محمد بن فاتك بن جياش حداً لأنه كان مأبوناً ظاهراً حتى أنه يلبس بعض ملابس النساء ثم رجع إلى ذمار.

وفى ذمار سنة خمس وستين وخمسمائة للهجرة وقعت حرب بين الإمام والأشراف القاسميين فى وادعة الظاهر، فخرج الإمام يوماً فى نفر قليل ليلقى أصحابه فوثب عليه الأشراف وسجنوه فى أثافت فغضبت همدان وطلبوا من الشريف فليته بن قاسم القاسمى إطلاقه فأطلقه وأصاب الإمام العمى فسار إلى حوث ثم يسمن شمالى صعدة بأكثر من مرحلة ومات الإمام فى ربيع الثانى سنة ست وستين وخمسمائة للهجرة عن ست وستين سنة من مولده وأربع وثلاثين من دعوته، وقبره فى مدينة حيدان بخولان الشام، وأولاده المطهر ويحيى ومحمد وسليمان وفليته وقاسم ومحسن وابنتان. قال صارم الدين فى البسامة:

وأحمد بن سليمان فما رضىت	بعلا به وهو مرضى لدى البشر
دعا وكان إماماً سيداً علماً	براً تقياً ومن كل العيوب برى
وصبحت خيله صنعاء معلمة	لما غدا النكر فيها غير مستتر
وحاصرت حاتمها فيها عساكره	فانقاد للحق بعد الضعف والخور
واجتاحه عند شيعان بملحمة	ألف مضوا بين مأسور ومجتزر
وفى زبيد له فتك بفاتكها	وما فداه الذى أعطى من السبر
وجعفر ثم إسحق له نصرا	فى عصبة وزرٍ ناهيك من وزر

جعفر هو القاضى جعفر بن أحمد بن عبدالسلام بن أبى يحيى الأبنأوى البهلولى مشهده مزور بهجرة سناع على أكمة جنوبها سنة ثلاث وسبعين وخمسائة للهجرة وإسحق هو القاضى إسحق بن أحمد بن عبد الباعث الصعدى المتوفى بها سنة خمس وخمسين وخمسائة للهجرة .

وفى تحفة المسترشدين

وابن سليمان الإمام أحمد الجهبد التحرير والمنتقد
قد قام فى لبث (٥٣٢) بأرض الجوف ينزل بالطاغين كل الخوف
ونازل الأعداء فى أزال وهدركن الجور والضلال
وسار فى القطر مسير الشمس وكم له بمن بغى من طمس
ومات فى الست مع الستينا من بعد خمس كملت مئنا
وعمرة الست مع الستينا وهو بحيدان ثوى دينا
صلى عليه الله من مجدد بعلمه وسيفه المجرّد

سلاطين اليمن فى تلك الفترة

قال صاحب أنباء الزمن وغيره: فى تلك المدة كان فى عدن وأبين وتعز آل زريع بن العباس بن المكرم الجشمى اليامى . وفى ذمار ومخاليقها سلاطين جنب ومشايخها . وفى صنعاء وأعمالها إلى الظاهر والأهنوم آل حاتم اليامى الهمدانى . وفى بلاد الجوف وما إليها آل الدعام . وفى صعدة وما إليها آل الهادى وفى شهارة وما إليها آل القاسم العيانى ، وفى بلاد الشرف والجريب آل عمرو بن شرحبيل الحجورى . وفى تهامة الشامية إلى حرض جنوباً الشريف وهاس بن غانم بن يحيى بن وهاس السليمانى ،

وفى زيد إلى حرض آل عبد النبي بن على بن مهدي الرعيني الحميري حتى أزال
دولتهم جميعاً الدولة الأيوية المصرية بعد قدومها إلى اليمن سنة تسع وستين
 وخمسمائة للهجرة فسبحان من لا يزول ملكه .

بنو الغشم ثم بنو حاتم

بعد الصليحين استولى على صنعاء السلطان حاتم بن الغشم الهمداني سنة اثنتين
 وتسعين وأربعمائة للهجرة ، وأولاده ثلاثة محمد وعبدالله ومعن . فمحمد كان شجاعاً
 وفى عقله اختلاط فإذا تزوج امرأةً وأحبها قتلها فتحامى الناس تزويجه . ومن غرائبه
 أنه رأى بصنعاء ناراً عظيمة يوقد عليها اليهود الفخار وكانت له جارية حسناء يحبها
 فجاء بها وعليها الحلى والحلل فطرحها فى النار فاحترقت وندم وجاء ل طرح نفسه فى
 النار بعدها فأمسكه الحاضرون . ومنها أنه خطب امرأة من بنى الصليحي أهل قيضان ،
 فأبى أهلها إلا بكفالة أبيه فقال له فى محفل عظيم ، إن قتلها قتلتك فقتلها وهرب
 إلى حصن براش فلم يزل أبوه يرأسله ويخادعه فنزل والتقى فى المدرج وقد أمر أبوه
 العبيد بإمساكه فأمسكوه ووثب عليه أبوه فقتله واحتز رأسه ودخل به صنعاء على
 رمح ، وكانت لولود بنت قد فرحت بنزوله وخروج أبيه لا ستقباله مشتاقة إليه
 ففوجئت برأسه فماتت لوقتها وقيل : جنت . ثم مات السلطان حاتم بن الغشم وتولى
 بعده ابنه عبدالله سنتين ومات فتولى بعده أخوه معن فحصل تشويش وخبط أنكرته
 همدان لا سيما عالمها القاضى أحمد بن عمران بن المفضل ، فجمع همدان وخلع معناً
 عن الأمر ، وساعدته همدان فى صفر سنة عشر وخمسمائة للهجرة ، وأقام السلطانين
 هشاماً وحامساً ابني القبيب بن ربيع الهمدانيين ودخلت بهما همدان إلى صنعاء
 وحصرها معن بن حاتم فى الدرب وخرج على يد القاضى أحمد بن عمران واستقر
 بحصن براش مخلوعاً واستقام الأمر بالسلطانين القيبين حتى مات الأكبر هشام فى
 السابع عشر من رمضان سنة سبع وعشرين وخمسمائة للهجرة فاستقام أخوه الحماس
 بن القبيب إلى وفاته ثم اختلف أخوته الآخرون أبوالمغارات وعامر ومحمد واختلفت

آراؤهم فاعتزلهم أهل صنعاء وأقاموا مع همدان السلطان حاتم بن أحمد بن عمران
كما سيأتى .

نشوان بن سعيد الحميرى

بعد عصر الجمعة الرابع والعشرين من ذى الحجة سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة
للهجرة توفى القاضى العلامة الإمام المحقق النحوى اللغوى نشوان بن سعيد بن سعد
بن أبى حمير بن عبيد بن القاسم بن عبدالرحمن الحميرى قال الزحيف المؤرخ: لم
يكن بقدر فيه إلا بكثرة افتخاره بقحطان على عدنان فجرى له مع الأشراف
القاسميين نقائص ثم تصالحوا وأم نشوان من آل أبى عشن . كما سيأتى ذكر ذلك فى
شمس العلوم وافتخر بقول الشاعر:

وسيد همدان أبو عشن الذى غزا بيشة واجتاحها بعظائم

وكان بين نشوان والإمام أحمد بن سليمان مودة ومحبة كما سبقت أشعاره إليه منها:

سلام الله كل صباح حين على خير البرية أجمعينا

على الغر الجحاجح من قریش أئمتنا الذين بهم هدينا

... إلخ،

وقوله للإمام: دع يرسم المسانى وأقصد اليمن . . . إلخ . كما سبق فى سنة اثنتين

وثلاثين وخمسمائة للهجرة

وفى مطلع البدور لأبى الرجال أن نشوان حثّ الإمام على الدعوة ووعدته بمناصرتة

وأن الإمام لما أرسل إلى نشوان رسولا اسمه عيسى يخبره بوصوله فقال:

بشرنا عيسى بأحمد بعده بشارة عيسى فى الكتاب بأحمد

أتانا بنور اليبينات فلم نقل مقال سوانا جئت بالسحر فابعد

وقلنا له سمعاً وطوعاً لربنا

ولابن الرسول الأبطحي محمد

فأهلاً وسهلاً بالإمام ومرحباً

ومن معه من سيد وابن سيد

ولما توفى المطهر بن الإمام وردت التعازى إليه من كثيرين ومنهم القاضى نشوان وصدر
تعزيتة بقول أبى تمام:

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر

وليس لعين لم يفيض ماؤها عذر

تكدرت الآمال بعد مطهر

وأصبح مشغولاً عن السفرِ السفرُ

وأبدل لفظ محمد بمطهر. قال بعض ذرية نشوان: والمشهور أنه كان يختار أقوال الإمام
الهادى على سائر فقهاء الإسلام، ويحكم بها بين الخاص والعام إلا أن تتقوى عنده
دلالة فيخير المستفتين. وكان فى عصره علماء من قحطان وعدنان ولم يزر عليه فى
مذهبه زار مع كثرة المناظرة إلا الأشعار التى وقعت بينه وبين الأشراف القاسمين،
وبعدها صلح حالهم وقال نشوان: انقضت النقائص بينى وبين الأشراف القاسمين
وكانت عند طرور الشارب، وبلوغ المأرب، وأما اليوم فقد زدت على الأشد، وصرت
من الهزل إلى الجد، وأتانى نذير الشيب، وزايلنى كل ريب، وتحليت بحلية الوقار،
ونظرت نفسى بعين الإحتقار، ورغبت عن القريض.، وملاهى معبد والعريض،
وأقمت الشعر بأبخس السعر، واعتضت القرآن بالشعر بدلاً، وتركت الجدال وكان
الإنسان أكثر شىء جدلاً، وذهبت فى ذلك مذهب لبيد.، فى استبداله الشهد
بالهبيد، وجعلت مقاطع الآيات، عوضاً من مصارع الأبيات، وذكر الله عوضاً عن
النسيب، وذكر المعاد بدلاً عن الربع والحبيب، ولست من الشعراء، بل من عباد الله
الفقراء الذين تحل لهم صدقة الدعاء، التى لا تقبض فى وعاء، وزكاة الإستغفار التى
تصرف العذاب عن الكفار. ثم قال نشوان أيضاً: والشرفاء أبقاهم الله مما سألت
مثرون، ومما طلبت مكثرون، فلتشملنى بركتهم بهبة أفضل الصدقات، إذا ذكروا الله
فى أفضل الأوقات، وهى صدقة الدعوات، عقيب الصلوات، إن الله يجزى
المتصدقين، ويجعل العاقبة للمتقين، فدعاء الشرفاء المالكين مجاب، وليس بين العبد

وربه حجاب، فلعل الله أن يحو عنى موبق الذنوب، ويغسلنى من رحمته بذنوب،
فقد ضقت ذرعاً بما فرطت، وانشبت نفسى فى أضيق المسالك وورطت، وأصبحت
لنفسى ظالماً، ومن ظلم غيرها سالماً، ولكنى استغفر رباً كريماً، ومن يعمل سوءاً
ويظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً.

ثم وصل إلى نشوان شعر من الأمير عبدالله بن القاسم بن محمد بن جعفر وهو الذى
كان يهاجيه فقال:

فليهن ندباً سيداً شرفت به
من حمير الأحياء والأموات
... إلخ.

فأجابه نشوان:

أما كتابك يا ابن أوحدهاشم
قد أثمرت محض الوداد وفاح لى
غرس امرئ طابت معارس أصله
فغدا وحيد العصر غير مدافع
أثنى على ببعض ما هو أهله
ثم أتى إلى نشوان شعر من الأمير الأجل محمد بن محمد القاسمى يمدحه ويعتذر من
الهجو الذى سبق من الأمير عبدالله بن القاسم الذى أوله:
أما الصحيح فإن أصلك فاسد...

فأجابه نشوان على اعتذار الأمير محمد:

أعلى الكآبة منكما لى مسعد
إن طاب عيشكما وطاب كراكما
فالخل يأسى للخليل ويسعد
فأخوكم مر المعاش مسهد

فى قلبه من عتب ابنا قاسم
قوم لهم شرف ومجد باذخ
وعلى محبتهم نشأتُ ووالدى
حتى سعت بينى الوشاة وبينهم
وأطاع أمرهم وصدق قولهم
فيها مقال منه ليس بجيد
فرددت حين بهت غير مبالغ
وغدوت مظلوماً كائنى ظالم
يا ابن الأئمة من ذؤابة هاشم
وافى كتابك بالصلاح مبشراً
ونظامك الحسن الذى أهديته
حققت فيه مودة لك ضعفها
وذكرت آل محمد وودادهم
وذكرت زيداً والحسين ومولداً
بأبى وأمى من ذكرتُ ومن بهم
إلى قوله :

واترك جعيذاً سوف يلقي ربه
والعفو منكم عادة مألوفة
وأنا المناضل ضدكم عن دينكم

حرق تأجج نارها وتوقد
من تحت أخمصه السها والغرقد
والحب يولد والمحبة تولد
فأمال عبدالله عنى الحُسد
زفأتى بقافية تقيم وتقعّد
ما بال عبدالله وهو الجيد
فى الرد خوفاً من مقال ينقد
إنى على ما نابنى متجلّد
حيث انتهت علياؤها والسودد
لازلت تصلح أمرنا وتفقّد
تحبى القلوب به إذا ما يُنشدُ
عندي وودٌ في الحشا يتجدد
فرض علينا فى الكتاب مؤكد
لهم زكىّ الأصل نعم المولد
يُهدى الجهول ويرشد المسترشد

ويصيب ما زرعت يده ويحصد
والناس يطلب عندهم ما عودوا
والله يشهد والبرية تشهد

لا أستعيض بدين زيد غيره

ليس النحاس به يقاس العسجد

إنى على العهد القديم بحبكم

كلف الفؤاد بكم وجسمى مبعد

ثم أتى من الأمير الحسين بن القاسم بن محمد بن جعفر شعر إلى نشوان يمدحه
فأجابه نشوان:

والله والله العظيم أليّة

يهتز عرش الله منها الأعظم

إنى لودك يا حسين لمضمر

فى الله أبدية وحيناً أكرم

ولود والدك الذى آثاره

عنه بحسن حديثه تبسم

ولود عميك اللذين كلاهما

فى صالحى آل الرسول مقدم

ولود سائر آل بيت محمد

وودادهم فرض علىّ ومغنم

قوم أدين بدينهم وبحكمهم

ونصوصهم أفتى الخصوم وأحكم

وأنا المحب بن المحب وإن شى

واشٍ ورجم بالظنون مرجم

إن اللسان عن الفؤاد معبر

والنطق عما فى الضمير مترجم

يا طيباً من طيبٍ ومطهراً

من طاهرٍ ما فيه وصمٌ يعلم

شوقى إليك مع البعاد مضاعف

يزداد لآعجه وقلبى مغرم

ثم أتى من الأمير الأجلّ محمد بن عيسى بن محمد بن جعفر إلى نشوان مديحاً أوله:

بكيت وقد يبكى الحزين المشوق

ألا كلما ناح الحمام المطوق

عدّد فيها جدود نشوان وذكر ملوك حمير من التتابعة وغيرهم حتى قال فى آخرها:

أبا حسن والفرع بالأصل ملحق

أولئك هم آباؤك الغر كلهم

بدا بعده فى الجو أزهراً مشرق

فهم كالنجوم الزهران غاب كوكب

وإني لأرجو أنك الكوكب الذى
لئن كنت قد أنسيتَ عقد مودتى
فأجاب نشوان:

به ذلك الأصل المؤسس يسبق
فقلبى بأشطان المودة موثق

أثار شجى ذاك الحمام المطوق
به مثل ما بى من جوى غير أننا
أسرُّ الذى يُخفى الزناد ولم أبح
ثم كثرت الأشعار بين الأشراف ونشوان والمدائح ورفضوا الهجر، وكذا بين نشوان
والإمام أحمد بن سليمان، فكتب نشوان إلى الإمام:

هل لك فى هجرة نفوز بها
لا غرو فى صلحنا وسيرتنا
إنى رأيت النعاج رابضةً
غُمَّ بنا الحاسدين إنهم
ثم مدح نشوان الإمام بقوله:

يا ابن الأئمة من بنى الزهراء
وإمام أهل العصر والنور الذى
كم رامت الكفار إطفاءً له
شمس يراها الحاسدون فلم يَطِقْ
يا داعياً يدعو الأنام لرشدهم
أسمعتهم فكأنهم لم يسمعوا
وابن الهداة الصفوة النجباء
هدى الولى به من الظلماء
عمداً فما قدروا على الإطفاء
منهم لها أحد على إخفاء
وصلاحهم فى بكرة وعشاء
ما جاءهم من دعوة ونداء

لبك ألقاً من صديقٍ وامي
 من شك فيك كمن تبدل حيرة
 يا خير من تمشى به قدم على
 ما عاينت عيني البرية بعده
 لم ألق بعدك من أسر بوجهه
 إن غبت عن نظر العيان فلم يغب
 يجرى ودادك حيث يجرى الروح في
 أقضى لبانتى التى أنا طالب
 فأجابه الإمام أحمد بن سليمان بقوله :
 يا أوحـد الأـدبـاء والشـعراء
 يا من له عقل رصين ثابت
 ويعده الفقهاء فى فقهاءهم
 يا من زكت أعرافه وأصوله
 حاز المكارم والمحامد والعلـى
 من حمير الأملاك خير قبيلة
 وافى الكتاب وكان كالماء الذى
 ينبى بما يخفى وما يبدى لنا
 ومذكراً ما كان قدماً بيننا
 وملياً لى إذ دعوت إلى الهدى
 من بعد خذلان وطول إباء
 بهداية وعماية بضياء
 وجه البسيطة من بنى حواء
 إلا وهم فيها من الأقداء
 ممن أعضت به من الصـدقاء
 ذكراك بين الغلب والأحشاء
 بدنى وحيث يحل فى اعضائى
 فى الدهر عاجل نظرة ولقاء
 بل أوحـد البلغاء والفصحاء
 ويعده العقلاء فى العقلاء
 ويعده العلماء فى العلماء
 جادت له أفعاله بزكاء
 إرثاً عن الأجداد والآباء
 فى يعرب والشوكة الحجباء
 يهدى إلى العطشان فى الرمضاء
 من محض ودٍ خالص وشفاء
 من صحبةٍ ومحبةٍ وإخاءٍ
 كل البرية سامعاً لدعائى

ومؤازراً ومعاوناً ومساعداً

ومعاضداً ومصداً لرجائي

فلتبق في عيش هنيئاً سالماً

في العز والتوفيق والنعماء

وقد كان لنشوان عناية واجتهاد مع الأمير علي بن زيد ومع الإمام أحمد بن سليمان ولبنى نشوان جد واجتهاد مع الإمام عبدالله بن حمزة.

ويروى أن القاضي نشوان دعا إلى نفسه في سنحان، واجتمع معه قريب سبعمائة فارس فيدل على أنه يصحح الإمامة في غير قریش. قال أبو الرجال في مطلع البدور: وقد وقفت له على كلام يدل على أنه ندم على دعوته فوجدت بخط الفقيه محمد بن ناجي الحملائي عن نشوان ما لفظه: كان من علم الله وصولي إلى المشرق فكلفني أهلها أن أُحْمَلَ الذرَّ أحمال العير وسمحوا بالمين والأيمان وشحوا بالصدق والإيمان فطمعت في طاهر كلامهم حتى أدركني الإملاق بمأرب فخرجت من الدائرة الرابعة إلى دائرة المتقارب فقلت:

مشارك الأرض مثل الحس في الضيق

فمن تغرب لا يَهْمُ بتشريق

لم يبق حين بهم حتى صحبتهم

قد أنزفتُ بالرقى من أجلهم ريقى

ولبت بحضرموت على ما لبث يونس ببطن الحوت؛ إلا أن بعض المفسرين قال لبث أربعين يوماً ولبتُ ستين ونصفاً أخصف ورق الندامة خصفاً، وأعرض لرزق حلال فحصل فيه سد الخلّة ثم عدت إلى مأرب فلقيني من بها فتعرض للعة، فقاسمتهم ما على المطّة، ثم عولت على العود إلى المغارب وحلفوا إيماناً على التمام، وسلموا ذماماً بعد ذمام، فأشار السلطان راشد بن جحان الجوفى بترك العود فقصدت الجوف فلحققتني من خولان إلى نقيل فأخذوا القطار وكانت الكتب على بعيرين فسلم أحدهما وافتدى الثاني فسلمت ووصلت الجوف متخلياً من الأعوان والأنصار، ولو شئت وصلته بالجيوش الكبار؛ لكنني قلت ما عند الله خير وأبقى أنشدت:

وما أنا إلا من غزية إن غوت

غويت وإن ترشد غزية أرشد

محمد بن نشوان الحميرى

ومن مطلع البدور أيضاً قول القاضى العلامة الصدر التحرير حافظ العلوم محمد بن نشوان بن سعيد الحميرى: قال صنوه العلامة على بن نشوان: هو غزير العلم والمعرفة فى جميع العلوم، معروف بالديانة والورع والأمانة، ولاء الإمام المنصور عبدالله بن حمزة القضاء فى خولان وحيدان وما يوالى تلك الجهات، وولاه قبض الحقوق منها والأمر والنهى، فقام أحسن قيام، واختصر شمس العلوم لوالده إلى ضياء الحلوم. وفد إلى الإمام عبدالله بن حمزة إلى كوكبان فقرت عينه بإمامته وباحثه فى الدقائق والجلال لما ودعه فى رمضان سنة أربع وتسعين وخمسمائة أنشأ فى الإمام قصيدة منها:

ياسيداً سبق السادات كلهم	إلى مدىّ بالغ فى المجد والجلود
وقائماً مكن الرحمن وطأته	على البرية من بيض ومن سود
الله آتاك ما لم يؤته أحداً	من الأئمة من نصر وتأيد
أجابك الناس من شام إلى يمن	ملقين فى كل أمر بالمقاليد
حمداً لمن ظهر الدنيا ونورها	بنور وجه جميل منك مسعود
يا أيها الناس قد نادى إمامكم	فاسعوا إليه بتشمير وتمجيد
إن ابن حمزة مذ نيّطت تئاتمه	أحى الذى مات من أبائه الصيد
آل النبی وأبناء الوصى ومن	لهم مناقب فضل غير محجود
لهم مناقب من عين ومن أثر	يجل فى الوصف إن تحصى بتعديد
يا من يعز على البعد عنه ومن	أعد طاعته نسكاً لمعبودى
نفسى فداؤك والأقوام كلهم	من المكاره لو أن امرءاً فودى
ولو تخلد فى الدنيا أخو كرم	لكنت أكرم من يحظى بتخليد

على بن نشوان الحميري

ومن مطلع البدور أيضاً قول القاضي: العلامة على بن نشوان الحميري علامة محقق
تولى أعمالاً كباراً مدة طويلة، وجمع سيرة للإمام عبدالله بن حمزة حافلة عظيمة
القدر تدل على علو طبقتة وسمو همته، وله أشعار كثيرة في مشاهد الإمام وحروبه
بوصف بليغ. ومن قصيدة يحث همدان على الجهاد:

أرقت وما طربت إلى الغواني فأبكي في الربوع أو المغاني
ولكني طربت لصوت داع من آل محمد شهيم الجنان
إمام عادل برّ زكي أمين لا يقول بقول ماني
له علم ومعرفة ودين يفوه بذكره أهل الزمان

استدراك لما سبق سنة ثمان وأربعين وأربعمائة للهجرة

الأمير ذو الشرفين وأخوه الفاضل

في سنة ثمان وأربعين وأربعمائة للهجرة اجتمع رؤساء همدان في بني صريم وبلاد
بني الدعام وجمعوا حاشد وبكيل واستنهضوا الشريف الفاضل القاسم بن جعفر بن
الإمام القاسم بن علي العياني فلم يجد بداً من النهوض، وقام معه أخوه ذو الشرفين
محمد بن جعفر فخرج عليهم جند الصليحي إلى حاز همدان فقال الشريف الفاضل
لقومه: اغزوهم إلى مواضعهم، فلم يسعدوه فباكرهم جند الصليحي فانهزموا وثبت
الشريف الفاضل مع خمسة: أخيه وجشم بن عبدان علي ورجلين من خاصته فأبلاوا
بلاء حسناً ثم سار الفاضل بأهل بيته وحشمه وشيعته من همدان وحمير وبني صريم
وبني مالك وبني عبيد نحو ألفي مقاتل وثمانمائة فارس فنهض عليهم الصليحي
فأحاطوا بمركز الهراة ومنعوا عنها الماء شهرى جمادى وعشر من رجب سنة ثمان
وأربعين وأربعمائة للهجرة ونصب عليهم المجانيق والعرادات ودافع أهل الهداية ثم

قبض الصليحي على الفاضل إلى زبيد ثم استأذن في الحج والزيارة فعزم ومعه أخوه محمد بن جعفر وجماعة وتزوجا بخثعم ثم استقر الفاضل بمكة تسع سنين ثم عاد اليمن بعد قتل الصليحي وفي سنة ثلاث وستين وأربعمائة للهجرة خرج الشريف بالفاضل وأخوه ذو الشرفين إلى بلاد الشرف فبلغوا إلى بوسان فتقاتلوا مع عسكر بني الصليحي فانهمز عسكر الصليحي وطلع عسكر الشريفين بوسان وأقبلت العشائر لهما بالسمع والطاعة.

وفي سنة أربع وستين وأربعمائة للهجرة كتب السلطان منصور بن الحسين بن المنتاب بن إبراهيم بن عبد الحميد كتاباً إلى الفاضل إلى الجوف وكتاباً إلى أخيه ذي الشرفين إلى شهارة يذكر لهما أنه عازم على طلوع مسور لأخذه من بني الصليحي واستدعاهما فصار إليه ذو الشرفين فسرَّ به السلطان منصور أعظم السرور وأقبلت له عشائر مسور بالسمع والطاعة، ونهض الفاضل من الجوف، ثم توجه الشريفان إلى بني شاور وحطا بالمسورة من وادي شرس وقبضا على السلطان إلى القبائل ابن هاشم وأرسلاه إلى شهارة وقبضا حصنه حقل، وطلع الفاضل إلى مسور ثم أجمع رأى الشريفين والسلطان منصور وساروا إلى جبل حفاش ولقيهم جماعة السلطان محمد بن إبراهيم الصليحي وهو بحصن القفل فاقتتلوا ساعة، وكانت الدائرة على بني الصليحي فأسرَّ السلطان إلى الحسين بن إبراهيم الصليحي وجماعة وهرب السلطان محمد بن إبراهيم فتبعوه حتى أسروه وأخذوا ما في حصن القفل وعادوا إلى مسور وأرسلوا الأسرى إلى شهارة.

وفي سنة أربع وستين وأربعمائة للهجرة وصل إلى الشريفين إلى مسور السلطان محمد بن ورقا من بني جناح ووعدهما بفتح حصن يناع، فسار وطلعه وكتب إليهما بالبشارة فنهض إليه الشريف حميدان بن القاسم ونهض الصليحيون من صنعاء حتى حطوا بيفاعه فرأوا الحضوريين قد أشعلوا النار برأس جبل بيت خولان فرجع الصليحيون صنعاء فقاتلهم الحضوريون في الطريق ولم يزل القتل في أعقاب الصليحيين حتى صاروا إلى يازل من صوف ونزل عليهم الحضوريون الذين كانوا برأس جبل بيت

خولان فقتلوا منهم كثيراً منهم السلطان أحمد بن أسعد بن جعفر اللهايبى فى عدة من وجوه حراز وغنمت عليهم غنائم كثيرة. ولما بلغ الحادث إلى أحمد بن عبد الله اللهايبى وهو أحد رجال السلطان أحمد بن مظفر وكان بحصن ذروة فخاف ونزل منه فوصل الشريف أحمد بن جعفر بجماعة من بكيل ومن الصيد وغيرهم من بنى صريم ووادة وهمدان مع عاملهم الحسن بن واقد الطهوى فحاصروا من بقى بحصن ذروة وطلعوه قهراً وغنموا ما فيه وكتبوا بالبشارة إلى الشريف الفاضل القاسم إلى مسور.

وفى سنة خمس وستين وأربعمائة للهجرة مازالت الحروب بين الشريفين الفاضل وذى الشرفين وبين الصليحيين والدائرة على الصليحيين فاستفتح الشريفان المعقل كثلاً وبكر وذى مرمر وغيرها.

وفى سنة ست وستين وأربعمائة للهجرة استنهض الصليحيون أهل الدعوة من حراز وأشاعوا أن المنجمين قد أخبروهم بالنصر فساروا إلى حوقل بالحيمة ونهض الملك المكرم وجنوده حتى صاروا بحر ذيب ووقع الحرب فانهمز الصليحيون

وغنم من خيلهم وسلاحهم كثير. وفى شهر رجب نهض ذو الشرفين إلى يناع فاستقبله الشريفان حمدان بن القاسم والحسن بن إبراهيم ومن معهما من الشرفاء والساطين فاجتمعت جنود كثيرة فانهمز الصليحيون، ثم نهض الفاضل من مسور إلى ثلا ثم إلى الجراف وشعوب وغلقت أبواب صنعاء ثم عاد الفاضل إلى ثلا وطلب ذو الشرفين رهائن من بنى شهاب فبعثوا إليه إلى يناع ستة رجال وقصد الصليحيون قرن عنتر فوق بيت سبطان فهزمهم أهله وقتلوا منهم ونهبوا منهم، ومازال أصحاب ذى الشرفين يقصدون إلى قاع صنعاء حتى وصلوا إلى غيل البرمكى ووقع الحصار على صنعاء.

وفىها اشتد القحط وغلت الأسعار وكان ذو الشرفين ينفق كل شهر قدر سبعين ألفاً، وخالف عليه بعض القبائل لكثرة المطالب فاستخلف على يناع الشريف حميدان والسلطان محمد بن ورقا وسار إلى مسور ثم سار إلى أقر وشهارة. ثم إن الشريف الفاضل أقام بوادى بنى الدعام بناحية عمران ليعمل هنالك زراعه ويرد غيل الخارد

إليها على العادة القديمة فعاهد أهل البلاد، ومازال يشتغل بالزراعة حتى غدر به بعض وفيها اشتد القحط وغلّت الأسعار وكان ذو الشرفين ينفق كل شهر قدر سبعين ألفاً، وخالف عليه بعض القبائل لكثرة المطالب فاستخلف على يناع الشريف حميدان والسلطان محمد بن ورقا وسار إلى مسور ثم سار إلى أقر وشهارة. ثم إن الشريف الفاضل أقام بوادى بنى الدعام بناحية عمران ليعمل هنالك زراعه ويرد غيل الخارد إليها على العادة القديمة فعاهد أهل البلاد، ومازال يشتغل بالزراعة حتى غدر به بعض القبائل فقتلوه يوم الثلاثاء الثالث من صفر سنة ثمان وستين وأربعمائة للهجرة بمال من المكرم الصليحي وقتل أيضاً الشريف القاسم بن إبراهيم فى ذى الحجة وفى سنة تسع وستين وأربعمائة للهجرة نهض ذو الشرفين من الجوف بعساكر تقصد القرى التى قتل فيها أخوه الفاضل وقتل منهم كثيراً وأخرج الشريفين فدفن الفاضل القاسم بحصن وادعة والقاسم بن إبراهيم بعيان .

وفى سنة تسع وستين وأربعمائة للهجرة أجمع الشرفاء السلاطين مع الأمير ذى الشرفين على حرب الأباضي الذى ادعى الإمامه بالشرف الحطييط بن عبدالمجيد الأباضي فكانت الدائرة عليه فى المحطور وانقرضت الأباضية من الشرف وفى محرم سنة ثمان وسبعين وأربعمائة للهجرة توفى الأمير ذو الشرفين محمد بن جعفر بن الإمام القاسم العياني بشهارة وخلفه ابنه جعفر بضعف وسميت شهارة الأمير نسبة إلى الأمير ذى الشرفين .

ابتداء دولة بنى حاتم

بعد اعتزال أهل صنعاء لبنى الغشم قصدوا مع همدان السلطان حاتم بن أحمد بن عمران بن الفضل بن على بن أبى زيد بن المعمر بن الصعب بن الفضل بن عبدالله بن سعيد من غوث بن العز بن مذكر بن إليام وقد عدّه أبو الرجال فى الزيدية وأنه يمقت الباطنية بقوله .

ومن ماذون همدان برئت

برئت من الذؤيب ومن على

مواذين عموواوغوا هداهم
فإن شايعتهم فلقد عميت
ظموا ورويت من ماء معين
ولو أنى صحبتهم طميت
شقوا بخلافهم للدين حقاً
وخالفت الغواة فما شقيت
الذؤيب المأذون وهى رتبة لدن الباطنية، وعلى الشاكرى من الباطنية ومن شعر حاتم
فى الإمام أحمد بن سليمان:
رأيت ما لم ير الناس مثله
أبر وأوفى للطريد المشرد
عفا ووفى حتى كأنى عنده
أخ أوحيم لست عنه بمبعد
وفى سنه ثلاث وثلاثين وخمسائة للهجرة دخل إلى درب صنعاء (وهو القصر) فى
سبعمائة فارس من همدان وقال:
يقولون لى قد حَزت مملكة الدرب
فأدمن على اللذات واللهو والشرب
ولا تهجرُ الصباء وهى لذيذة
مسهلة ما كان من خلق صعب
فقلت اذهبوا عنى فلست ببارح
على مذهبي حسبي به مذهبي حسبي
وفى سنة خمس وأربعين وخمسائة للهجرة نهض الإمام أحمد بن سليمان كما سبق
وجرت بينهما حرب ثم دخل الإمام صنعاء واجتمعا بالجامع الكبير وقال له الإمام: قد
عفونا عنك ياسلطان العرب وأنصفه وأكرمه وخرج حاتم الروضة كما سبق وكان
شاعراً أديباً شهماً عالماً طيباً وكان له خيل جيد كثيرة منها (الرازقى) كان يصلى الظهر
بالروضة ويركبه إلى شبام كوكبان فيصلى بها العصر ثم عاد إلى الإمارة وتوفى فى
رمضان سنة ست وخمسين وخمسائة للهجرة بدرب صنعاء وحمل إلى المنظر
(الروضة) وقبره كان مشهوراً بباب الحديد جنوبى الروضة فتولى بعده ابنه الأكمل
السلطان على بن حاتم بن أحمد بن عمران بن الفضل فبايعه إخوته أولاً ثم همدان.
ثم خالف عليه بعضهم ومالوا إلى محمد بن حماس القبيب بصنعاء فدخل على بن
حاتم بسبعمائة فارس من باب شعوب ووقع القتال فى شوارع صنعاء، ثم دخل

الدرب وكان قد قتل أخوه الصغير عمران بن حاتم فخافت همدان لقتله فسامحهم فى دمه وأعطاهم سيفه ذمة ورفاقاً فحضرُوا جنازة عمران . وكانت بنو شهاب تارة يطيعونه وتارة يخالفونه وسلطانهم عمران بن الذيب السلمى الكندى فى حضور والمغرب وحجرة حراز وكان عادلاً .

وكان حصن كوكبان لبنى الزواحى فحاصره السلطان على بن حاتم ثلاث سنين وأخرب مدينة شبام ، ثم استولى على كوكبان من أبى النور بن على الزواحى ، وناصر السلطان على بن حاتم الإمام أحمد بن سليمان على القاسميين ، وأخرجه من حبسهم كما سبق فشكره الإمام . ثم فى سنة سبع وستين وخمسائة للهجرة خالف عليه الشيخ الحسن بن يعفر وكافة وادعة فجهز عليهم أخاه بشر بن حاتم إلى محل يسمى الدّحك فأخذه قسراً وقتل جماعة منهم وأسر آخرين وأخرب المحل الدّحك فى ربيع الآخر سنة ثمان وستين وخمسائة للهجرة ، ثم استولى على اليمن سنة تسع وستين وخمسائة للهجرة السلطان توران شاه الواصل إلى اليمن من مصر وسيأتى تفاصيل الأحداث بينهما وبين غيرهما .

بنو زريع ولاة عدن

أشهرهم عمران الداعى بن الداعى محمد بن سبأ بن أبى السعود بن زريع بن العباس بن المكرم الهمدانى اقتفى طريقة أبيه مع زيادة كرم وأخلاق وقد تسلسلت إليهم ولاية عدن من المكرم بن على بن محمد الصليحي بعد إزالته بنى معن الذين كانوا متولين عليها من على بن محمد الصليحي فلما تغلبوا أزالهم المكرم وكان الجميع يسوقون خراج عدن إلى السيدة الحرة بنت أحمد الصليحي زوجة المكرم كما سبق أن على بن محمد جعل مهرها خراج عدن كل سنة وكان الداعى سبأ بن أبى السعود وابنه الداعى عمران جوادين مدحهما الشعراء منهم القاضى يحيى بن عبد السلام بن أبى يحيى جد القاضى جعفر فمن أول قصيدة مدح بها الداعى سبأ :

النصر من قرناء عزمك فاعزم

والدهر من أسرار حكمك فاحكم

.. إلخ .

ومن مدائحه فى عمران من قصيدة قوله :

كرم المكرم يذهل المشتاق عن

أشواقه والصب عن أوطانه

.. إلخ .

فأجازه بآلاف الدنانير وكذلك غيره من الشعراء الكثيرين .

واقترح الداعى عمران بن محمد بن سبأ على الشاعر أبى بكر بن أحمد العبدى قصيدة فمدحه بقصيدة طويلة منها :

فلكُ مقامُك والنجوم كؤوس

بسعوده التليث والتسديس

والدر وجهك طالعاً فى دسته

لا البدر أجلى وجهه الخنديسُ

يا واحد العرب الذى يسمو به

يوم التفاخر مجده القدموس

يا من تطابق فعله ومقاله

فلسانه التطبيق والتجنيس

حق الكواكب أن تكون مدائحاً

لك والبروج صحائف وطروس

وهى طويلة أجاد فيها فسلم الداعى عمران إليه ولده أبا السعود وقال: قد أجزتك بهذا الولد فأقعده على يمينه وقال: إذا أرغبوك فى بيعه فاستنصف فى ثمنه فخرج إليهم أستاذ الدار يستأذن الشاعر فى دخول الولد إلى الدار فدخل وخرج معه خادم فى يده قدح من فضه فيه ألف دينار وسبعمائة وخلعة ثم أعطاه الداعى عمران ألفى دينار فمدحه بقصيدة طويلة منها:

حَيَّاكِ ياعدن الحيا حياكِ

وجرى رضاب لماه فوق لماكِ

وَهَمَّتْ مَكَارِمَهُ عَلَيْكَ فَصَافَحَتْ
وَتَأَرَّجَتْ رِيَاكَ مَسْكَاً بَعْدَ مَا
فَلْيَهْنِكِ الْفَضْلُ الَّذِي أَحْرَزْتَهُ
شَرَفَتْ رَبَّاكَ بِهِ فَقَدْ وَدَّتْ لَهُ
فَالْجُودُ مَبْتَسِمُ الثَّغُورِ بِيْذِهِ
مِنْ دَوْحَةِ الشَّرَفِ الزَّرِيْعَى الَّتِي
إِلْخ .

ومدحه بقصيدة منها :

مَلِكٌ لَوْ اسْتَسْقَى الزَّمَانَ بِجُودِهِ
مَلِكٌ أَفَاضَ عَلَى الزَّمَانَ بِجُودِهِ
مَلِكٌ يَشْفِ عَلَيْهِ نَوْرَ كَمَالِهِ
فَكَفَى بِقَحْطَانِ بْنِ هُوْدٍ مَفْخَرًا
يَزْدَادُ حَسْنَ الْمَدْحِ فِيهِ وَإِنَّمَا
.. إِلْخ .

وقصيدة منها :

عِمْرَانُ أَكْرَمَ مِنْ جَادِ الزَّمَانِ بِهِ
كَأَنَّ قَحْطَانَ قَدَمَا كَانَ أَوْدَعَ فِي
وَأَزْدَادُ فَخْرًا عَلَى مَا شَادَ وَالِدُهُ

عَنْ كَفِّهِ مَغْنَى الْغِنَى مَغْنَاكَ
عَبَقَتْ بُرْيَا ذِكْرَهُ ذِكْرَاكَ
بِعِلَافِهِ حَسْبُكَ مَفْخَرًا وَكِفَاكَ
زَهْرُ الْكَوَاكِبِ أَنَّهَا بِرَبَّاكَ
أَبْدَأَ وَبَيْتُ الْمَالِ مِنْهُ شَاكِي
رَسَخَتْ بِأَصْلِهِ فِي الْمَفَاخِرِ زَاكِي

أَغْنَاهُ عَنْ سُقْيَا مُلْكٍ سَحَابِهِ
فَأَعَادَهُ فِي عَنفَوَانِ شَبَابِهِ
فِيكَادُ يُلْحِظُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابِهِ
أَنْ أَصْبَحَتْ تُعْزِي إِلَى أَنْسَابِهِ
يَبْدُو جَمَالَ الشَّيْءِ فِي أَرْبَابِهِ

فَرْدًا وَأَشْرَفَ مِنْ فِي حَجَرِهِ نَشَأُ
ضُمَائِرُ الْفَضْلِ سِرًّا فِيهِ أَوْ خَبَأُ
مُحَمَّدٌ وَسَنَاءُ فِي مَجْدِهِ سَبَأُ

. وقصيدة منها :

فكأنما عدن به عدن جلا
رضوان فيها النور من رضوانه
عم البسيطة وصفه فكأنما
قام السماع بها مقام عيانه
وإذا تصرف كاتباً أو مخاطباً
فالدر بين بنانه وبيانه
. الخ .

وتوفى الداعي عمران سنة ستين وخمسمائة ومن مآثره المنبر بجامع عدن، واسمه مكتوب عليه، وخلف ثلاثة أولاد دون البلوغ : منصور ومحمد وأبو السعود كفلهم الأستاذ أبو الدر جوهر المعظمي بحصن الدمלוه، واستمرت الدملوه تحت أيديهم حتى باعها الأستاذ أبو الدر جوهر من السلطان طغتكين بن أيوب كما سيأتي .

عبدالله بن حمزة

مولده ٥٦١هـ دعوته ٥٨٣هـ وفاته ٦١٤هـ

هو الإمام المنصور المجدد للمائة السادسة باليمن عبدالله بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن علي بن أبي هاشم الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبدالله بن الحسين بن القاسم الرسى .

مولده بمحل عيشان من ظاهر همدان في ربيع الثاني سنة إحدى وخمسمائة للهجرة وأخذ عن أبيه والشيخ الحسن بن محمد الرصاص، والشيخ عمران بن الحسين الشتوى، والشيخ علي بن أحمد الأكوع، والشيخ حميد بن أحمد بن الوليد القرشى، والشيخ حنظلة بن الحسن، والشيخ أحمد بن الحسن بن المبارك وغيرهم . وروى صحيح البخارى وسائر الأمهات، وكتب التفسير وسائر العلوم بأسانيده المسلسلة في كتابه «الشافى» المشهور . وكان نادرة في الذكاء والحفظ والبراعة والبلاغة والشجاعة والزهد والعبادة والتقوى .

وكان طويل القامة تام الخلق كث اللحية غلب الشيب على عارضيه وحفظ الأدب وبرّز فيه حتى قيل إنه أشعر الطالبين باليمن.

مصنفاته

تزيد مصنفاته على الأربعين مصنفاً أشهرها «الشافى» فى أربعة مجلدات ضخمة رد فيه على الرسالة الخارقة لابن أبى القبائل من جبلة. وكتاب «المهذب» وكتاب «صفوة الاختيارات». و«زيادة الأدلة العقلية» و«شرح الأربعين السيلقية» و«الجوهرة الشفافة فى أصول الدين» و«الرسالة الناصحة» جزئين فى أصول الدين و«الدرة الثمينه» و«الأجوبة الكافية» و«الرافعة للإشكال» و«الرسالة المثيرة» و«الفتاوى» و«ديوان شعره» فى مجلد ضخم. وله مساجد عديدة فى اليمن، وحصن ظفار على ثلاثة أيام من صنعاء شمالاً شرقاً، وحصون كحلان وتلمص والطويلة وغيرها، وخطب له بالجيل والديلم والصفراء بالحجاز وينع وخيبر وبعث رسائله إلى أمراء مكة والعراق وخوارزم علاء الدين شاه وغيرهم، وله سيرة كبيرة جمعها الشيخ على بن نشوان بن سعيد الحميرى وغيره فى أجزاء كثيرة ثم اختصرها فى ستة أجزاء أبو فراس بن دعنم الصنعانى وهم بيت كبير فى صنعاء فيهم علماء وفصحاء وشعراء وهم من بنى تميم من أولاد أبى بكر المقرئ ونقل منها تلميذه الفقيه حميد فى الحداثق وشرح البسامة وصاحب أبناء الزمن وغيرهم ما خلاصته:

دعوته الأولى وجهاده

دعا بالجوف سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة للهجرة وكتب إلى الأميرين عماد الدين يحيى وبدر الدين محمد ابني أحمد بن يحيى بن الناصر من سادات الجبال بصعدة، ونهض إلى الشام بمائة فارس فتلقاه الأميران بجموع كثيرة من الشام وبايعوه. وكتب إليه الأشراف والمشائخ من حصن مبتك المعروف بعفار ببلاد كحلان يطلبون وصوله إليهم لدفع عسكر السلطان على بن حاتم الياضى عنهم فसार إلى صبرة وحصن جرع

فتسلمه وقرر أهله عليه وبعث عماله إلى بنى عشب وغيرها. وفي خلال ذلك وصل السلطان طغتكين بن أيوب في قوة عظيمة إلى صنعاء واستولى على الأهرج وحصن الفص والظفر وعدة حصون في سنة أربع وثمانين وخمسمائة للهجرة وسنة خمس وثمانين وخمسمائة للهجرة وأمر الإمام أخاه محمداً بالقدم لمناجزة أصحاب طغتكين في قرية شوحطين فقتل أخوه محمد مع جماعة من أصحابه، ونهض طغتكين بنفسه على حصن عفار فانتقل الإمام إلى شرس ورجع إلى الجوف وجهز أخاه يحيى إلى شهارة والاهنوم واستمر طغتكين في حصار كوكبان وفيه عمر بن علي بن حاتم الياصمي بمائة فارس وألف وخمسمائة راجل قتل منهم خمسمائة ومن أصحاب طغتكين أكثر من ألف ثم اصطالحا على أن يكون كوكبان لطغتكين والعرس وغيره لبني حاتم، ثم استلم طغتكين حصن فدة وأخرب دوراً في وادي ضهر وحاصر ذي مرمر أربع سنين وفيه علي بن حاتم ثم اصطالحا على تسليم خمسمائة دينار وخمسمائة كيلجة طعام كل عام للسلطان حاتم ويتخلى عن البلاد، وهدم طغتكين المشاهد على قبور رؤساء همدان بصنعاء وعمر بآلاتها قصراً بصنعاء. وفي سنة ست وثمانين وخمسمائة للهجرة استولى طغتكين على جميع اليمن وانتهت دولة بني حاتم. وفي سنة سبع وثمانين وخمسمائة للهجرة وثب الأمير يحيى بن الإمام أحمد بن سليمان على أصحاب طغتكين بصعدة وطردهم وملكها.

ثم سار طغتكين إلى حضرموت واستولى على شبام وتريم وولى ابنه إسماعيل على كوكبان وبلاد الظاهر فساءت سيرته وسيرة أصحابه فاجتمعت حاشد وبكيل والأشراف مع الإمام ووقع الحرب وقتل من أصحاب طغتكين في أثافت والمصنعة نحو سبعمائة رجل وقتل بين يدي الإمام من أصحابه نحو مائتي رجل ولم يبرح موقفه. واستمر ملك طغتكين أربع عشرة سنة ودعته نفسه إلى شراء أراضي اليمن كلها قسراً ويستأجره من أراد حرث شئ منها فشق على الناس ذلك فاجتمع صالحوهم بالمساجد أياماً صباحاً قياماً ونادى أحدهم ليلاً يا سلطان السماء أكف المسلمين شر سلطان الأرض فسمعوا قارئاً يقرأ : ﴿ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ ثم تحقق موت طغتكين في تلك الليلة في شوال سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة للهجرة بالمنصورة في وادي

نخلان قبلى الجند وكان عمرها وأجرى لها الماء وعمرّ تعز وحصنها وقصر مدينة الجند وحصنى التفكير وجب وسور مدينة زبيد وسور مدينة صنعاء وزاد فيها الجانب الغربى من السائلة وعمر بصنعاء الدور والحمامات والمقارح وقام بعده ابنه المعز إسماعيل وبطل بموت طغتكين ما أراده من تملك الأراضى وقال عند موته: ما أغنى عنى مالية هلك عنى سلطانية.

دعوة المنصور الثانية

وفى ذى القعدة سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة للهجرة جدد الإمام عبدالله بن حمزة الدعوة من الجوف فاجتمع إليه أعيان علماء الهدوية وبايعوه بهجرة معين ببلاد صعدة، وأول من أجابه السلطان على بن حاتم الياىى الهمدانى وبعث بيعته مع أخيه بشر بن حاتم إلى هجرة معين. ومن ألفاظ بيعة الإمام قوله للمبايع له: أبايحك على كتاب الله وسنة رسوله وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وموالاة ولينا ومُعَاذَة عدونا والجهاد فى سبيل الله. فإذا قال الرجل: نعم قال: عليك بذلك عهد الله وميثاقه، فيقول الرجل نعم فيقول الإمام: الله على ما تقول وكيل. وفيها شرى السلطان على بن حاتم حصون كوكبان وبكر وظفر من ولاية طغتكين. ونهض الإمام إلى حصن ثلاث فوفدت إليه العرب من كل جهة وبعث جنوده إلى بلاد حضور.

وفى سنة أربع وتسعين وخمسمائة للهجرة نهض المعز إسمعيل إلى صنعاء فقتل الأمير همام نائب والده على صنعاء وجعل عليها الشهاب الجزرى وكتب إلى السلطان على بن حاتم وحلف له أنه سيعطيه صنعاء، فبعث إليه أخاه بشر بن حاتم وابنه عمر بن على فقبضهما ونكث عهده فثبت على بن حاتم على موالاة الإمام. وسار المعز والأمير جكر بن محمد الكردي لمحاربة الإمام فوقع بينهما حرب ثم رجع المعز إلى صنعاء ثم إلى جبلة فأخرب دار العزب التى بناها المكرم الصليحي، وفيها سار الإمام إلى صعدة وبعث عماله إلى البلاد وسار إلى برط والظاهر ووصل إليه قوم من بنى بطين حجة فبعث معهم صنوه الأمير يحيى بن حمزة وفيها وقع فساد بعض يام ودهمة وقتلوا رجلاً من وادعة فخرج إليهم الأمير يحيى بن حمزة وقبض ستة من

المفسدين إلى صعدة حتى وصل زعيمهم وكفل بما سلبوا. وبعد أن استقلت بلاد صعدة سار الإمام إلى الجوف ببراقش ومعين ووصلت إليه كتب السلاطين والأشراف من كل جهة يرجونه التفريج عنهم من سوء معاملة الدولة الأيوبية فخرج إلى أثافت ثم إلى بنى شاور وبنى قطيل ثم إلى مدع وكوكبان فتلقاء الأمير عمر بن على بن حاتم ومشى بين يديه حتى دخل كوكبان ثم نزل إلى شبام لما كثرت الوفود وخرج الإمام والأمير عمر إلى حصن الظفر فخرجت الفُز من صنعاء إلى شبام فوجدوه مرتباً فعادوا صنعاء ثم أجمع رأى السلاطين والأمراء على قصد بلاد حضور فأسعدهم الإمام وجعل قائدهم الأمير العفيف محمد بن المفضل وغيره فخرج إليهم الغز من صنعاء مع الشهاب الجزرى والأمير جكر ووقعت معركة بمتنه وعاد الغز إلى قرية بيت خولان فاخربوها ونهبوها. وفى سنة أربع وتسعين وخمسمائة للهجرة حصل الاختلاف بين الشهاب الجزرى والأمير جكر بن محمد الكردى فكتب جكر إلى الإمام بموالاته ومباينة الغز فبعث الإمام إليه الشريف على بن موسى العباسى إلى مغارب ذمار فأخذ منه البيعة للإمام وسار جكر إلى ذمار.

فأرسل المعز إسماعيل طائفة من جنده لقبضه فانسل عنهم مع خاصته إلى جبل كتى وأمر الإمام أهل سنحان باستقباله ففعلوا وسار بمن معه إلى حصن لاحج فاستولى عليه وقتل رتبة الغز وأخذ ما فيه ثم سار إلى بريان نهد وقتل الغز فيه.

وفى خلال ذلك أرسل المعز إلى الشهاب الجزرى بصنعاء خزانة عظيمة ومعها مسافرون ببضاعة كثيرة فاعترضهم جكر واستولى على جميع ما معهم وأسر بعض المماليك وأمر الإمام عامله على مذحج أن يمد جكر فزادت محبته للإمام وسار إلى السلطان على بن حاتم بذى مرمر ومكث لديه أياماً يُغير على البلاد الموالية للغز، ثم ترك أثقاله بذى مرمر وسار إلى حضرة الإمام بشبام فقابله بالإكرام وبايعه مع أصحابه، وأمر الإمام الجند بالركوب معه ويحمل الغاشية بين يديه وأرسله إلى الجنات عمران لمناجزة من بها من الغز. وأمر الأمير عمر بن على بن حاتم بالمسير معه وكتب الإمام إلى الأمير محمد بن إبراهيم أن يلقاهم بحاشد وبكيل فلما علم الغز بهم

ارتفعوا إلى صنعاء فتقدم الأمير جكر إلى ريعان قاصداً محاصرة صنعاء وفي هذه المدة أصلح الإمام الخلل في سور مدينة شبام ورتب حصن ثلاث طوعاً ووصل المعز بن طغتكين إلى صنعاء وهمّ بالمسير إلى الإمام بشبام لمحاربته فخالف عليه من رجاله شمس الخواص وخرج إلى عصر في ستمائة فارس وراجل فرجع المعز إلى تعز، وأرسل شمس الخواص إلى الإمام أن يلقاه إلى عصر فتوكل على الله واجتمع به في عصر، ثم نهض إلى صنعاء في سبعة أفراس وفيها من بقية الغز سبعمائة فارس فقصده الإمام الجامع الكبير ولما علمت الغز أحاطت بالجامع فلبث فيه إلى المغرب وصلى ثم أشرف عليه فلم ينطق أحد منهم بكلمة ثم أخرج أهل صنعاء الإمام من الجامع في جملتهم ووقاه الله شر الغز وبقي في بعض دور أهل صنعاء واعتنى أهل صنعاء في تخذيل الغز فلم يصبح الصباح حتى تم لأهل صنعاء ما يريدون من فتح أبواب صنعاء لجند الإمام وبإيعه الخاص والعام وقال قصيدة منها:

رجعنا إلى ذكر الدخول وربما	أتى عارض يحكى اللآلى منظماً
فجاءت أزال جمع الله شملها	وأسدى إليها الصالحات وأنعما
فجادوا بفتح الباب وابتهجوا بنا	وقالوا لنا أهلاً وسهلاً ومغنما
وقالوا جهاد الظالمين فريضة	فقد طال ما كنا نهاباً مقسماً
ستفديك أموال عظام وأنفس	كرام وإن أضحى ذوو الفسق لوماً
فقلنا لهم خيراً ثناء عليهم	لكونهم فيما رجونه سلماً

.. إلخ .

وأهرق الإمام كلما وجده من الخمر في الدور المشهورة به بصنعاء، وجعل ولاية صنعاء إلى الأمير على بن موسى وأمر القضاء إلى القاضي السري بن إبراهيم من قضاة الغز وترك التعرض لحصن براش. وأما شمس الخواص فإنه استأذن الإمام في مسيره إلى زبيد فلما وصل سجنه المعز في دهلك حتى مات .

وفى سنة خمس وتسعين وخمسائة للهجرة وقع اختلاف وفتن وحرب بين يام وشاكر وبني الحارث نجران فخرج عليهم عامل صعدة الأمير على بن المحسن فى ثمانين فارسا وسبعمائة راجل فهزم أهل الفساد وتفرق أصحابه للنهب فعطف المفسدون على العامل فقتلوه ومن لديهم سبعين نفرأ. ولما بلغ الإمام اغتم لذلك وهم بالنهوض فعاقته عوائق فكتب إلى أعيان الجوف وصعدة وخولان فنهض منهم أربعة آلاف مقاتل تقدموا إلى نجران ففر المفسدون إلى الجبال والغائط فأخربت من بيوتهم سبعون دارأ ونحو مائة بيت شعر ثم أقبل أهل نجران إلى الطاعة والامتثال والتزموا بثلاثة آلاف دينار.

مسير الامام إلى دمار

فى ربيع الأول سنة خمس وتسعين وخمسائة للهجرة سار الإمام من صنعاء إلى دمار، وكان قد تقدمه الأمير جكر بن محمد الكردي فى بعض الجنود الإمامية فجهاز المعز الأيوبى من اليمن الأسفل العساكر الكثيرة مع الشهاب الجزيري وغيره وقد استولى الإمام على دمار بعد أن قتل وأسر من أصحاب المعز واستولى الإمام على خزائنهم، وكان الشهاب الجزرى قد خالف الطريق وقصد صنعاء فمنعه عنها أهلها وأصحاب الإمام فقصد حصن براش فلم يظفر فبادر الإمام من دمار مغيراً على صنعاء وأتى بالشهاب الجزرى أسيراً إليه مع أصحابه فاودعهم سجن صنعاء.

قتل الأمير جكر

ثم نهض المعز بنفسه من تعز فى جموع لا تحصر فتلقاه الأمير جكر عن أمر الإمام إلى حقل يريم قريب نقيل صيّد (سمارة) فكانت معركة قتل فيها جكر وانهزم أصحابه إلى دمار فبادر الإمام فى صنعاء لإمداده قبل قتله فلما وصل الإمام جهران بلغه خبر قتله والهزيمة فرجع العودة إلى مركزه شبام فتقدم المعز بجيوشه إلى صنعاء وأخرج الشهاب الجزرى من الحبس واستعمله عليها، وتوجه الإمام إلى أثافت بالظاهر وبعث دعوته

إلى الحجاز فخطب فى ينبع وخيبر والصفراء، ووصلته حقوقها وإلى الجبل والديلم
فخطب لديها.

وفاة يحيى بن أحمد بن سليمان

فى سنة خمس وتسعين وخمسمائة كتب الإمام إلى الأمير يحيى بن الإمام أحمد بن
سليمان وأرسل له بحصان فقبله وواعد باللقاء ثم اختلف أولاً ثم سار إلى حضرة
الإمام فأكرمه وولاه صعدة ولكنه عاد إلى الخلاف مرة ثانية وسار إلى صنعاء إلى الغز
فاستبشروا بقدومه ثم عاد نحو صعدة فلما كان بالهجر وقع حرب بينه وبين الأمير
يحيى بن حمزة ثم نهض الإمام بنفسه فحاصر الهجر وقتل بعض المخالفين وأسر
الأمير يحيى بن أحمد بن سليمان فأودعه الإمام فى دار بأثافت ولم يضيق عليه فعمل
بنجاً فى الطعام للحرس عليه فعرفوه، ثم لم يلبث أن مات. وفى سنة ست وتسعين
 وخمسمائة للهجرة سار الإمام إلى صعدة وكان قد أقبل أهل نجران مذعنين بالطاعة ثم
عاد إلى الجوف فوصل إليه السلطان جحاف بن حميدان فى خمسين فارساً من بنى
منبه وعزان بن فليته فى أصحابه.

جواب صاحب حضرموت

ووصل إليه فى صفر سنة ست وتسعين وخمسمائة للهجرة جواب صاحب حضرموت
السلطان عبدالله بن راشد مهتئاً للإمام بالفتوح ومتعرضاً لخدمته مع قصيدة منها :

الآن قرت على الأساس أركان	وطال للدين والإسلام بنيان
وقام بالشرف البذاخ صاحبه	وعز للدولة الغراء سلطان
من جدّه الأقدم الأعلى نبى هدى	وجده الأقرب الأدنى سليمان
ذاك ابن حمزة عبدالله نور هدى	به المكارم والعلياء تزدان

وبعد وصول السلاطين إلى الإمام حثهم على الصلح واجتماع الكلمة وترك الاختلاف وبإشارةٍ وتحيلٍ من الشهاب الجزرى سار بشر بن حاتم الياى إلى المعز ثم اغرى به الجزرى فحبسه المعز بحصن التعكر. ثم نهض الإمام الى شوابه فأقبل الناس إليه من كل جهة وسار إلى جنات عمران وسلم أهلها ثلاثة آلاف دينار عما لديهم من الحقوق وقبض الإمام رهائنهم. ثم نهض إلى حلملم ووصل إليه أهلُ المغرب والقضاء آل نشوان بن سعيد الحميرى من صعدة فى عسكر نحو سبعمائة فارس فأمرهم بالمسير إلى بنى عشب وعفار ونهض إلى بلاد حجة وبقي فى حصن مبين وقبض أصحابه الحقوق الواجبة.

ثم غزا المعز إلى شبام وأخرب دوراً وجعل جامعها اصطبلًا ونصب الحصار على كوكبان، وأخذ أبواب وأخشاب شبام وعملها زحافة وطال الحصار وبعث الإمام أخاه يحيى إلى ثلا وأخاه الحسن بن حمزة إلى ذى مرمر فما زال يكرر الغارات على صنعاء حتى وصل إلى شعوب، وأقبل إليه أهل الرحبة بما عندهم من الواجبات ومال أهل سنحان إلى أصحاب الإمام، وقطعوا على المغز طريق اليمن الأسفل وطال الحصار على كوكبان فسعى جماعة فى الصلح بأن يكون كوكبان للمعز مقابل إطلاقه للسلطان بشر بن حاتم الياى من سجن التعكر، فتم ذلك وحصل خلاف فى نجران فتوجه إليهم الأمير يحيى بن حمزة فاستولى على خيل البدو وسلاحهم وأما إبلهم وكانت نحوخمسة آلاف فصاحوا عليها فنفرت كالسيل المنحدر وتفرقوا فى الجبال والأودية ثم رجعوا وطلبوا الأمان طائعين.

ونهض الإمام نحو صعدة، ولما وصل العمشية بنى بها مسجداً وشارك فى حمل الحجارة والعمل، ولم يبرح حتى صلى فيه جماعة. ثم سار إلى هجرة معين وبها أهله وأولاده ودخل صعدة ثم سار إلى محل فساد بالمغرب فاهرق الخمر ونفى البغايا وأخرب بيوت المفسدين وأقبل أهل تلك الجهات مذعنين. وفيها سار المعز إلى صبيا فتفرق أهلها فراسلهم بالأمان فلما رجعوا ضرب أعناق بعض رجالهم وأباح النساء لعسكره ولنفسه وكذلك فعل بأهل الضحى.

وفى سنة سبع وتسعين وخمسمائة استقر الإمام ببراقيش الجوف وصنف شرح السيلقية ووصل إليه جماعة من الأشراف القاسميين يشكون من ولاية ابن جعفر بن القاسم العياني على بنى عبد وظليمة وحجور فعزله الإمام فغضب وكتب إلى الشهاب الجزرى، ثم سار إليه ورغبه فى أن يتقدم على بلاد الإمام فلم يُجبه، وجهاز الإمام أخاه سليمان بن حمزة إلى بلاد مأرب ويحان، ثم سار الإمام بنفسه إلى بيحان بعد أن كرر إليهم الكتابة بالطاعة وإقامة الجمعة والجماعة فلم يمتثلوا ففرق شملهم وقطع من نخيلهم وأعابهم فأذعنوا وعاد إلى براقيش ووصل إليه القاضى أبو القاسم راشد بن شبيب السليمانى طائفاً وأعطاه الإمام حصاناً.

رساله الإمام إلى أمير مكة

فى سنة سبع وتسعين وخمسمائة للهجرة بعث الإمام مع القاضى أبى القاسم راشد بن شبيب المذكور رسالةً إلى شريف مكة قتادة بن إدريس الحسنى مع قصيدة منها :

إلى السادات من سلفى على	لباب اللب من سلفى نزار
إلى حسن نداء من إمام	يناديكم على نائى المزار
إمام من بنى حسن أبوه	أبوكم فالنجار من النجار
فصل حبلا بحبل وابن مجدأ	على مجد ونادٍ على المنار
فنحن الطالبون بثأر دين الإله	وأهل ألوية الفخار
وليس لنا على البلوى معين	سوى نفر قليل كالدرارى
وما يوم القيام نظرت منكم	مؤازرة وقد طال انتظارى
وليس الموت يدفع بالتوقى	وليس الريح إلا بالخسار

وثأركم ببغداد فقوموا
معى جمعاً وإن الثأر ثاري
هم قتلوا جدودكم وجدى
وأيام الحسين بيطن فخ
ألا يا ليت شعرى هل أراها
معددة السباب للمغار
... الخ.

وقصيدة منها:

فشمرو صمم يا ابن إدريس واثقاً
بربك إن النصر إن غبت كاسد
فإن تنصروني تنصروا ذا قرابة
له ولكن أصل النبوة واحد
وفيه نهض الإمام إلى حوث وتفقد أحوال بلاد الظاهر وبلاد حجة وأقام الحدود وأمر
بالصلوات والواجبات. وفيها نهض الشهاب الجزرى لمحاربة كوكبان والظاهر فبلغه
خلاف وردسار الكردى على الغز فرجع إلى صنعاء وفى سنة سبع وتسعين وخمسمائة
للهجرة توفى بحصن ذى مرمر السلطان على بن حاتم اليامى الهمدانى وقد تملك
صنعاء وغيرها مدة بعد والده وقد تقدم ذكره كثيراً مع ذكر والده.

مقالة وردسار الكردى للإمام

وفى سنة ثمان وتسعين وخمسمائة للهجرة وصل إلى الإمام كتاب الأمير وردسار بن
يامى الكردى فيه مباينته للغز وخروجه من بندر عدن ووصوله إلى مغارب ذمار،
فأجابه الإمام وبعث بعض أصحابه إليه فخرج الشهاب الجزرى من صنعاء إلى إلهان
أنس لمنع رسل الإمام إلى وردسار، فأرسل الإمام آخرين عن طريق ريمة وأمرهم
بمرافقة وردسار إليه فتلقاهم أهل ريمة بالإكرام وبايعوا الإمام وخطبوا له ورافقوا
وردسار مع شيخهم إلى الإمام عن طريق حراز ولما وصل إلى الإمام بصعدة خرج

لاستقباله فدخل صعدة دخولاً مُعظماً وقابله بالإنعام.

قتل المعز

فى سنة ثمان وتسعين وخمسائة للهجرة دعا المعز اسمعيل الأيوبى إلى نفسه بالخلافة وأظهر دعواه الكاذبة فى نسبه، فوردت عليه كتب من مصر ينكرون ذلك عليه أشد الإنكار وساءت سيرته وقتل كبار أصحابه وأولع بأكل لحوم الأدميين فأنكر عليه الأتابك سنقر وأكثر الجند، وسار إلى المهجم فاستولى عليها وما فيها فتبعه المعز فكانت الدائرة على المعز فسار إلى الكدراء وفيها نساؤه ثم سار بهن إلى زبيد وأغلق أبوابها إلا واحداً فنهض سنقر خلفه واستولى على ما فى الكدراء وكتب إلى الإمام ومال إليه فأجابه الإمام ورغبه. ثم وثب الأكراد على المعز فقتلوه عند مسجد شاشة على نحو ميلين من زبيد واحتزوا رأسه. وقيل إنه ثار عليه عرب تهامة ومدة ملكه خمس سنوات، ثم انتهب الأكراد زبيد. وجهز الإمام الأمير وردسار والأمير محمد بن إبراهيم نحو صنعاء وسار منها الشهاب الجزرى إلى الإمام وعاد معه أخو الإمام الأمير يحيى بن حمزة إلى صنعاء فطارت الأخبار بموالة الجزرى للإمام لما له من الشهرة. وأرسل الإمام للقضا بصنعا القاضى مفرح بن مسعود ونفذت الأحكام الشرعية والحدود على الغز وغيرهم وأقام الإمام فى بيت مساك وكان يهبط لصلاة الجمعة بمدينة ريده وأبقى بريده الأمير محمد بن إبراهيم الحمزى. وقدم إلى الإمام الفقيه محمد بن سليمان العيسى وجماعته من نواحى الكدراء. ووصل جواب الشريف يحيى بن على السليمانى وكان وردسار يتظاهر بطاعة الإمام ويكتم خلافها وسار إلى سنقر بالجند فخلع عليه وأعطاه المال والعبيد وكان فى حضرة الإمام لم يتمكن وأصحابه من اللذات ونيل الشهوات فنكت العهود ونهض نحو صنعاء وأقام بها والبلدان حولها مخالفة عليه وأمر الإمام بقطع المواد عليه فضاق به الحال وقصد حصن عضدان فكافحوه وعقروا من خيله.

وفى سنة ثمان وتسعين وخمسائة للهجرة نهض الإمام إلى حصن ذى مرمر وتزوج

بابنه الأمير فضل بن على بن حاتم بن أحمد اليامى الهمدانى ولبث فى داره سبعة أشهر .

وفى محرم سنة تسع وتسعين وخمسائة للهجرة ماجت النجوم وتطايرت إلى طلوع الفجر واشتد القحط ولم يزل وردساريكر بالغارات على مخاليف صنعاء فاستنجد أهل تنعم بالإمام فأوقعوا ومعهم عشرون من أصحاب الإمام بأصحاب وردسار وقتلوه عن آخرهم وغنموا خيلهم وسلاحهم وكل ما معهم . ثم قصد وردسار بيت أنعم ومنع آل حاتم من أملاكهم فى المنظر (الروضة) ثم خالف عيله أهل صنعاء فوصل سنقر بجنود فأنزل وردسار بأهل صنعاء أنواع العذاب وملأ بهم السجون وباشرهم بالضرب والتعليق والتحريق حتى تم الصلح مع سنقر واستقر الإمام بحوث ثم بصعدة ووصل إليه الأمير المؤيد السليمانى صاحب أبى عريش فى تسعين ركباً وطلب من الإمام تجديد الولاية على مخالفه بعد قتل المعز فولاه وبعث معه الفقيه أبا القاسم بن الحسين للمعاونة على مطابقة الحق والصواب وأعطاه الإمام أربعاً من جياذ الخيل وخلع عليه وعلى أصحابه، فسار من صعدة فى ذى القعدة ومعه حجاج اليمن فسار بهم أحسن سيرة وأقام بحرض فأزال المظالم والمكوس وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر . وفيها انتقض الصلح بين سنقر والأكراد بزييد فسار وردسار لإمداد سنقر فانهزمت الأكراد ونهب أصحاب سنقر ووردسار مدينه زييد .

آيات سماوية

وفى صفر سنة ستمائة للهجرة ظهرت بعد المغرب حمرة شديدة غلب ضوءها ضوء المصابيح فى مشارق اليمن وجبالها . وحصلت فى تهامة ظلمة شديدة ثلاثة أيام ونزل من السماء تراب كلون الرماد يسير إلى زييد كالسيل ففرغ الناس وأمر سنقر ووردسار بإخراج من فى سجونهما . وفى صفر أيضاً سمع أهل محل ماء رهين بالأهجر حطماً عظيماً تحت محلهم ففرغوا وخرجوا بأنفسهم وأنعامهم إلى الجبال التى حول محلهم، فسالت قريتهم وضياعهم نحو ميل ثم وقفت على ضياع قوم آخرين فى أسفل الوادى

ووقع التنازع بين الفريقين وترافعوا إلى الإمام فحكم بالأرض لأهل الضياع السفلى، وأن ينقل أهل الضياع العليا ما أمكنهم نقله من أخشابهم وأحجارهم وتراهم. وفيها وقعت صواعق مفزعة في جهة المغرب، ودخان عظيم فأظهر الناس التوبة حتى رفع الله عنهم، ثم غفلوا فعادوا إلى ما كانوا عليه وخلق الإنسان ضعيفاً.

وفاة المنتصر محمد العفيف الوزير

فى صفر سنة ستمائة للهجرة توفى فى هجرة وقش من بنى مطر الأمير المجاهد المنتصر العفيف محمد بن المفضل بن الحجاج عبيد الله بن على بن يحيى بن القاسم بن يحيى بن الناصر أحمد بن الإمام الهادى يحيى بن الحسين . . إلخ . المعروف بالوزير وكان وزيراً للإمام المنصور عبد الله بن حمزة. وكان قد قام فى جهات صنعاء محتسباً لمقاتله الأكراد عسكر الدولة الأيوبية وعاصر آل حاتم وأقام مدة فى حصن بيت بوس جنوبى صنعاء لحرب الغز، ولما ظهرت دعوة الإمام عبد الله بن حمزة الثانية سنة ثلاث وتسعين وخمسائة للهجرة تابعه وكان من أعيان أعوانه وجهزه الإمام بأجناد إلى تهامة فاستفتح العمل منها وكتب إلى الإمام قصيدة منها:

لقد طاوعتني فى رضاك تهامة^١ وكاتبني فى الصلح أشياخ ريمة

ولكنما خيل الإمام وجنده أفادت جليلاً من طبع وقلت
ولو صبرت نالت غنائم جمّة تضيق بها الآفاق من كل وجهة

فإن يرسم المولى وصولى وصلته بخيل فأورى غزوة بعد غزوة

ولما مات رثاه الإمام المنصور بقصيدة منها:

لعمري لئن مات العفيف محمد^٢ لدينا فصبر ما علمت جميل

فتى من بنى بنت النبی محمد أعز كنصل السيف وهو صقيل

. . إلخ.

وعرف بالوزير بعد مؤازرته للإمام المنصور، وإليه يُنسب السادة آل الوزير جميعاً وسموا باسمه، وهو تلميذ المتوكل أحمد بن سليمان وشيخ المنصور عبدالله بن حمزه وكتب سيرة للمنصور.

ولما قام المنتصر محمد العفيف بالاحتساب لجهاد الغز بايعه وناصره السلطان محمد بن إسماعيل الشهابي والشيخ ناصر بن علي القرشي والأمير أبو الفتح بن محمد العباسي والفقيه أحمد بن محمد مداعس الجنبي والفقيه العلامة علي بن يحيى بن عبدالله البحرى الواقف للجربة التي تسمى مهرة من مزارع وقش. واستمر الناس طوع أمره باقين على موالاته وامثال إشارات لما كان عليه من الاحتساب والاشتغال بالجهاد وجمع العساكر وتجنيد الأجناد. وكان من أهل التقدم والسبق في مدارج الكمال عالماً فاضلاً خطيراً مشتهراً الذكر والصيت حجه عند الأنام مجاب الدعوة مسموع الكلمة عظيم الجاه علمه نافع ومعروفه واسع جاهد طغتكين وابنه المعز حق الجهاد وشن عليهم الغارات من بيت بوس ومن أطراف البلاد قبل قيام الإمام المنصور وبعده، ومن جملة غزواته أيام المنصور غزوة العمدة في حدود تهامة، وكان مقصده بقاء الجند معه وأن يلحق الغز إلى تهامة ولكن الجند قفلوا بغنائم واسعة فكتب للإمام قصيدة منها الأربعة الأبيات السابقة ومنها أيضاً:

عليك سلام الله يا نجل حمزة	ويا ابن رسول الله وابن الأئمة
كتبتُ على بعد المزار الوكة	تعبّر عن فتح قريب ونصرة
أغرّت وقد جمعتُ شمالاً مشتتاً	فرّحت بهم في أوج عز وقوة
فسرت أمام القوم لله طاعة	بفتيان صدقٍ من قبلى وإخوتى
فلماً أتينا ساحة العهد التي	بها يُكفّر الرحمن في كل ليلة
فكلّ له هم بأخذ غنيمة	وهى رؤس المُفسدين غنيمتى
فإن لم يقولوا إننى يا ابن حمزة	أمدٌ يمينى فى رضاك فشلت

وفى طاعة الله الكريم وطاعة الامام أوصالى كل جهدٍ بمهجتى

.. إلخ.

وفى سنة ستمائة للهجرة وصل إلى المنصور الشيخ الورع على بن سليمان الحرّازى السهيلي يطلب من الإمام إعفائه عن قبض الواجبات من بلاد الطرف وبنى شاور وحلملم فساعده الإمام وولاهما القاضى العلامة يحيى بن القاضى جعفر بن أبى يحيى بن عبد السلام فوق ولايته للقضاء بها مع القضاء فى شبام.

وصول حقوق من الحجاز إلى الإمام

وفىها وصل كتاب من بعض أمراء الحجاز أنه قد سلم ما لديه من حقوق بيت المال ونذور إلى مأمور الإمام الشريف حسن بن ضاعن ووصل الحُجّاج من مكة ومعهم من الخيل أربع ثلاث مشتراة لبيت المال من الحقوق وحصان عظيم للإمام أرسله الأمير على بن عطية بن يعقوب صاحب حلى بن يعقوب عن حقوق لزمته.

قضية الحشيشيين

ففىها وصل إلى الإمام كتاب من مكة بأن ملك العراق العباسى بعث برجلين من الحشيشيين الفدائيين لاغتيال الإمام. ورجلين لاغتيال شريف مكة قتادة بن إدريس، وأنهم يُقدمون على قتل من أمروا بقتله ولا يُبالون لزعمهم الفوز بذلك؛ فلم تمض مدة يسيرة حتى قدم صعدة أعجميان أنكرهما الناس فحبسهما الإمام ثم نفاهما عن صعدة إلى تهامة وأباح دمههما إن وُجِدَا بعد ذلك فى بلاده. وسيأتى بترجمة المهدي أحمد بن الحسين محاولة حشيشيين قتله.

استيلاء الإمام على كوكبان وقتل أخيه إبراهيم

فى سنة ستمائة للهجرة استولى الإمام المنصور على حصن كوكبان شبام وكان عامله للغز أراد بيعه للإمام بخمسة آلاف دينار فلم يلتفت إليه الإمام فأراد بيعه من بنى الزواحى فلم يتم له فمال إلى طاعة الإمام وخطب له على المنابر فوصل الإمام إلى كوكبان وشبام. وفيها عاد وردسار من اليمن الأسفل إلى صنعاء بخيل ورجال وأخذ فى التجهيز إلى بلاد الظاهر وأطلق عساكره فى بلاد بنى حاتم فدمروها وانتقل أهلها إلى بلاد الجوف وغيرها من بلاد الإمام ولم يزل وردسار يغزو بلاد الإمام، وأرسل الإمام أخاه إبراهيم لدفع عدوان أصحاب وردسار على أهل مطره وعذر فوقع القتال ووصل وردسار فى جيش عظيم مُغيراً على أصحابه فاشتد القتال وقتل إبراهيم بن حمزة أخو الإمام فى شعبان وعظمت المحنة على الإمام فقال:

روّعنى الدهر بأحداثه	وليس مثلى من شباهها يُراعُ
يروم إنزالى على حكمه	وإنما يفعل ذاك المراع
فَصَدَّ عَنَّا وَالتَّمَسَ غَيْرَنَا	وخصَّ بالربع قلوب الرعاع
فصبر للموت وروعته	إذا نفوس الضد طارت شعاع
وجعل الإمام ولاية الجوف إلى صנוه الأمير الحسن بن حمزة خلفاً لأخيه الشهيد إبراهيم.	

عمارة ظفار

فى شوال سنة ستمائة للهجرة ابتدأ الإمام بعمارة حصن ظفار وسماه بظفار، وكان يُعرف قبل ذلك بأكمة الإمام أبى الفتح الديلمي، وبالع الإمام فى عمارته وجعله مستقر عزه وعُرف بظفار داوود وظفار الظاهر وجامعه وجامع الصومعة شمالى مدينة حوث من أوسع وأعظم مساجد الإمام المنصور. وفى محرم سنة إحدى وستمائة

للهجرة عُقد الصلح بين الإمام ووردسار مدة سنتين لتسكين الفتنة وأخذ الإمام على ووردسار العهود الغليظة المؤكدة بطلاق زوجاته وعق عبيده، ثم نقض الغز الصلح فأمر الإمام بالغارة على من بصعدة وأثافت من الغز فخرج ووردسار بغارة ثم انهزم الغز إلى صنعاء ثم جهز ووردسار جيشاً جراراً مع خمسمائة فارس وعساكر وصلت من اليمن الأسفل وقصد بلاد الظاهر ووقع الحرب بينه وبين الأمير الحسن بن حمزة صنو الإمام.

الدراهم المنصورية والسيل العظيم

فى سنة إحدى وستمئة للهجرة أمر الإمام بضرب الدراهم والسكة المنصورية بزنة كل درهم نصف قفلة وبعضها ثمن قفلة وفى اليوم السابع من ذى الحجة سنة إحدى وستمئة للهجرة وصل سيل عظيم إلى صنعاء لم يعهد مثله إلا السيل الأول فى الإسلام أيام الخليفة أبى بكر الصديق وهو السيل الذى كشف ما تحت مسجد النهرين من قبور قديمة جداً قبل الإسلام. ثم السيل الثانى النازل فى ذى الحجة سنة اثنتين وستين ومائتين للهجرة الذى أخرج نحو ستة آلاف دار بصنعاء وأتلف الأموال الجزيلة. ثم هذا السيل وهو الثالث فى الإسلام وكان ووردسار قد عمر لنفسه داراً فى بستان السلطان (طغتكين) بالجانب الغربى الجنوبى من صنعاء ونقل إلى داره أمواله وذخائره وجعل فى بستانها حماماً وأجرى إليه الماء من غيل البركى وكان خندق السيل مُشَبَّكاً بشبائيك حديد مقفلة فإذا جاء المطر رفعت تلك الشبائيك فوصل هذا السيل العظيم قبل رفع الشبائيك فرجع إلى قرة العين جنوبى السور ثم دفع دفعة واحدة فأخرج دار ووردسار وأذهب جميع ما فيها، وكان ووردسار فى الحمام فدخل عليه السيل من باب الحمام ففر بنفسه إلى باب السبحة وكاد أن يهلك وأخرج السيل الدور التى على جانبى السائلة وأهلك ما فيها من نفوس وأموال ولما وصل إلى الخندق الشمالى لم تسعه المخارج فهاج كالبحر المتلاطم وأخرج قرية بنى غانم ومساكن بنى الطماح غربى السائلة وهلك عالم من الناس والدواب وبلغ ارتفاعه فى مسجد ابن

الحسين قدر القامة وأحاط به حتى صار كالسفينة وسط البحر وأخذ ماحوله وأخرب
سور صنعاء الشمالى وخرج إلى شعوب .

وفى سنة ثلاث وستمائة للهجرة نقض وردسار الصلح وسار إلى البون فتلقيه الإمام
بجمع عظيم فكانت الدائرة على وردسار وانهزم إلى صنعاء بعد أن قاسى مشقة .
وفيها وصلت إلى صعدة طائفة من قبائل حرب أجلاهم الشريف قتادة عن منازلهم
بين المدينتين . وفيها وقعت المراسلة بين الإمام والمطرفية من الزيدية الذين كانوا فى
قاعة البون ووقش بنى مطر وسناع ، وحكم الإمام بتكفيرهم إن لم يتركوا مبتدعاتهم
فرجع إليه من رجع منهم . وقال قصيدة منها :

لستُ ابن حمزة إن تركت جماعةً
يتجمعون بقاعة للمنكر
فلأوردنَّ البيض فى أعناقهم
وسنابك الخيل الجياد الضمرَّ

وفيها جهز الإمام أخاه يحيى إلى المهجم بهتام .

وفى سنة خمسٍ وسمائة للهجرة وصل كتاب من الشهاب الجزرى إلى الإمام يطلب
منه الإذن له بالوصول إليه ووافى الإمام فى حلملم من الأشمور .

الأمير يحيى بن أحمد

وفى صفر سنة ست وستمائة للهجرة توفى بهجرة قطابر خولان صعدة من أعظم
أعوان الإمام الأمير الشهير الكبير الحافظ شمس الدين يحيى بن أحمد بن يحيى بن
يحيى بن الناصر بن الحسن بن عبد الله بن محمد بن القاسم بن الناصر أحمد بن
الإمام الهادى يحيى بن الحسين عن تسع وسبعين سنة قال ناظم ذلك :

ألا أن شمس الدين يحيى بن أحمد
تقضت لياليه عقيب المحرم
لست مئين قد تقضت عديدها
وست سنين بعد ذلك فاعلم

وعاش من الدينأ ثمانين حجةً سوى حجة والمرء غير مُسلم

وقد كان شيخ آل الرسول وإمام فروعهم والأصول، ولما فيه من الفضائل قال فيه القائل:

يحيى بن أحمد لولا أن والده محمداً خاتم الأنبياء كان بني

وفيه يقول الإمام عبدالله بن حمزة:

أخو العلم شمس الدين يحيى بن أحمد بن يحيى حميد الفضل شيخ الفواطم.

ورثاه بقصيدة منه:

عهدنا مغيب الشمس فى الغرب دائماً فغابت ضحى شامية فى قطابر

.. الخ.

وقصيدة أخرى منها:

فلو كان يُفدى بالنفيس فديته بنفسى وما أحوى من المال والوفر

.. إلخ.

وفضائله لا يُطاق لها حصر ولا يحويها سفر.

وفى سنة ثمان وستمائة للهجرة سار الأمير الحسن بن حمزة والأمير يحيى بن بدر

الدين محمد بن أحمد بن يحيى بن يحيى وغيرهم إلى المهجم والمحالب بتهامة،

فكانت بينهم وبين عسكر الغز ملحمة قُتل فيها الأمير يحيى وجُرح الأمير الحسن

وحُملا إلى هجرة الحموس بحاشد حيث دفن الأمير يحيى. ورثاه الإمام بقصيدة منها:

أمرّ الوجد ما أجرى الدموعا واضلع من فضاضته الضليعا

أيحيى ليت عينك أبصرتنا لفقدك ليس عن ذل خضوعاً

فقدنا منك بحر جدى وعلم وليث شجاعة وندى ربيعا

.. الخ.

هلاک سنقر والجزرى ووردسار

فى سنة ثمان وستمائة للهجرة نهض سنقر إلى صنعاء وخرج إلى بنى شهاب وثلا وأحزب من فيها وحصلت المراسلة بينه وبين الإمام على صلح ستين وسار سنقر إلى تهامة ثم تعز فمات بها. واستقل بعده بالملك «الناصر أيوب بن طغتكين بن أيوب» على صغره، وكان القائم بأمره أستاذة غازى بن جبريل فسأ ظنُّ الناصر بوجوه دولة الغز فقتل أكثرهم بالسُّم وطلب وردسار من صنعاء فاشترط تسليم الشهاب الجزرى إليه ليقتله فسلمه إليه فقتله خنقًا.

وفى سنة تسع وستمائة للهجرة سار الناصر وردسار من المهجم إلى طريق حجة وعادا إلى زييد فسقى الناصر وردسار سُمًّا خفيه فهلك وقد طالت ولايته على صنعاء وفى سنة عشر وستمائة للهجرة أنكر السيد محمد بن منصور بن المفضل بن الحجاج تكفير المنصور للمطرفية أهل وقش وقام معهم وخرج على الإمام المنصور. وهو الملقب بالمشرقى.

هلاک أيوب ثم وزيره

وفى سنة إحدى عشر وستمائة للهجرة طلع أيوب بن طغتكين ووزيره غاز بن جبريل لمحاربة الإمام فمرض أيوب ومات بصنعاء وعمره خمس عشرة سنة. ويُقال إن وزيره سَمَّه وانتهب الممالك جميع ما فى داره حتى نزعوا الفراش من تحته وسقط إلى الأرض، وجمع غازى الأمراء وفرق فيهم الأموال التى أخذها قبل موت أيوب واستحلفهم لنفسه وتلقب بالظافر، ورجع إلى اليمن الأسفل وسار إلى الشعب ثم إلى نقيل قيضان فاجتمع القبائل وانتهبوا أمواله، ولما وصل إلى السحول قتل ثلاثة من أهلها فثبتوا أعلى الوادى وانتهبوا بقية ما معه من الخيل والسلاح وهتكوا النساء وقطعوا آذانهن للحلية وأخذوا على إحدى نساء وردسار ما قيمته أربعون ألف دينار ذهبًا، ثم قتلوه فى مدينة أب تقريبًا منهم إلى أم أيوب.

دخول الإمام صنعاء

بعد قتل غازى بن جبريل اضطرب أمر الغز باليمن وبعث الإمام أخويه يحيى والحسن وغيرهما بجنود القتال بقية الغز ومال أكثر أهل صنعاء إلى الإمام وأدخلوا أصحابه صنعاء فارتفع الغز إلى حصن براش وقبض أصحاب الإمام على بقية ممالك وردسار وغيرهم وأرسلوهم إلى الإمام بظفارة. ثم دخل الإمام صنعاء فى ثالث ربيع الأول سنة إحدى عشر وستمائة للهجرة فاستقر فى الدار السلطانية ووصل إليه الأشراف والأمراء يهنئونه ثم استخلف على صنعاء وسار إلى ذمار فالتجأ الغز إلى هران ودار خولان ثم طلبوا الأمان من الإمام فأمنهم.

تنكيل الإمام بالمطرفين ورسالة ابن النساخ

ثم رجع الإمام من ذمار إلى صنعاء وأخرب مساجد المطرفية بسناعاتهم ودروهم ومساجدهم بوقش وغيرها، وسار أهلها إلى بلاد آنس وخولان وذهبوا كل مذهب، مع أنهم زيدية يقولون بإمامته وافترقت الزيدية فرقتين: المخترعة ومنهم الإمام يقولون إن الله يخلق كل شئ بجزئياته ويخترعه ببنت القصة والسنبلة ويخلق كل فرد فرداً. والمطرفية نسبة إلى مطرف بن الشهابى يقولون بالعناصر وأن الله خلق فيها الأسباب ووكّلها إليها وإلى خواصها، ولقولهم وجه لا يبلغ إلى حد التكفير وخراب الدور والمساجد واستباحة دمائهم لاسيما وهم لم يحاربوا الإمام، وإنما اعتقدوا عقيدة هداهم إليها تفكيرهم وصمموا عليها فلو استفاد منهم ومن فكرتهم الإمام فلربما نشأت فوائد طبيعية من خواصات الأشياء. ويقال إن فى كتبهم ما يدل على كفرهم بكذا كذا آية من القرآن. والله أعلم ويتأولون الآيات فى إسناد خلق الجزئيات لله أنه مجاز لأنه خالق السبب وهى العناصر الطبيعية. ويقولون إن العالم يحل ويستحيل بالطبع، وأن الله مكن الإنسان من العناصر وخواصات الأشياء الطبيعية ليخلق الجزئيات باختياره من الإنبيات والولادة والإختراع. . وما أنشأ منهم الفقيه البليغ حسن بن محمد بن النساخ المطرفى اليمنى رسالته المشهورة نثراً ونظماً إلى ملك بغداد أحمد الناصر

العباسى يحثه على إرسال عسكره إلى اليمن وهى :

السلام عليكِ أيها المعالم المقدسة بالأكياس، المطهرة من الأدناس، المحلاة بأفضل لباس، المنتخبه لخلفاء بنى العباس، المتأرج عرّفها ونشرها، والسائر مع الأمثال ذكرها، وطن العزة الرضية، ومغرس الشجرة النبوية،

ومغنى أمير المؤمنين وداره وفيها عماد الملك قر قراره

تخيرها المنصور قدماً فحلها وأوطنها من طاب حقاً نجاره

هى الروضة الغناء والربوة التى تخيرها قدماً فطاب خياره

عقوة العز والتحصين، والحرم المحرم الأمين، مسقط رأس الخلفاء الراشدين، والربوة ذات القرار المعين، وعند استلامك للباب الأعظم، والمعاينة لذلك الحرم المحرم، تقبل مواضع القدم، وتعفر خدك بالسجود للواحد المعبود، حين بلغك المرام، باستهلال بدر التمام، ملك الإسلام، جمال الدنيا والدين، واسطة عقد الهاشميين، أحمد الناصر للدين، أمير المؤمنين،

فيكتحل الطرف المحاسن كلها ويرتاح إذ نال المنى والأمانيا

خليفة أذكى العالمين أرومةً ومن لم يدع للعدل ضداً مناويا

تشعشع نور الأفق من نور عدله فيُخجل فى الأفق الهلال اليمانيا

وبعد ذلك تحضه على الاستعداد لإطفاء نار تأججت باليمن، أذكى وقودها قائم من بنى الحسن، تمالى أهل اليمن على نصرته، وسارعوا إلى جماعته وجمعته، وعقدوا له الألوية والبنود. وأطاعوا أمره كطاعة المعبود، وحشروا له الرعية والجنود، ولقد قدر علينا واستظهر، فعند ذلك اصدع بما تؤمر، فقد أعذر من أنذر،

وقبل ثرى أرض الخليفة واسجد وسلم سلام العارض المتردد

وسائل بنى عم النبى محمد وأنشد بملء الشدق فيهم وغرد

أما بلغتكم دعوة المتهجّد

وإيعاده فيكم يروح ويغتندي

يُسائل بنى عمه الأخيار، من أهل البادية والقرار، فى إعاره يوم من الأعمار، لبيتك
منكم الأوتار، ويغنم منكم بالثار، وعند استيلائه على المحرمين، والتقاء أولاد
البتنين، ينهض إلى الشام والعراقين، وعيد لا يفند واعدّه، ومنهل لا يصدر عنه
وارده، هى والله إحدى الكبر، التى لا تُبقى ولا تذر، وأين منه المفر، ولا ملجأ ولا
وزر. شعراً:

ويجرى إليكم بالمغاوير ضمراً

دلاص الدروع السابري ثيابها

ببيض مواض لا تفل غروبها

وسمر دفاق يطردن كعابها

ويم نرى أيام صفين دونه

بمعترك ما إن يطير عقابها

اللهم إلا أن تنهضوا إليه جيلاً بعد جيل، ورعيلاً فى إثر رعيلى، وتُعِدُّوا للجلاد،
السواعد الشداد، والسيوف الحداد، فعسى أن تحمى بحماها بغداد، وكوفان
وخراسان، وتملك ما سواها من البلدان، هيهات من ذلك هيهات، لإدراك ما فات،
وقد هياً لضرب الدينار والدرهم دارين وملاً بهيئته ومملكته كل قلب وعين،

وساعده المقدور حتى جرت له

بما يشتهى أفلاكها ونجومها

ونادى أنا ابن المصطفى وابن عمه

على أنا ترب العلى ونديمها

أما أحمد جدى وحيدر والدى

وأنى للعلياء حقاً أقيمها

يستنزى العصم، ويزلزل الشم، أحلى من العسل، وأمضى من البيض والأسل، وقد
بلغت دعوته جيلان وديلمان وطنجة وأصفهان فماداً، يسد اشتهاه بالقيام تنتظرون،
كأنى والله بما أمله فيكم يكون،

وتصهل فى أكتاف دجلة خيله

وتُضَرَّبُ فوق الشط منها مضاربه

ويُسمى قضيب الملك ملكاً لكفه

وخاتمته فى خنصر هو صاحبه

ويدخل بغداد فيقتل أهلها

ويطلع فوق المنبر الأسمر الذى

مقالة حق إن وفيتم رأيتم

ومن لم يخف من غائلات عدوه

ومن جعل التفريط والعجز دأبه

على ملك الإسلام ألف تحية

ومع الرسالة هذه القصيدة:

لمنشى الخلق ذى الملكوت حمدى

حملت على البريد بسعد جدى

يروح إلى خراسان ومصر

ينادى فى دمشق بفرد صوت

قوافيها أزمتهما بكفى

إلى حرم الخلافة متهماها

تخصكم رسالة ذى وداد

سأنتزع القوافى من فؤادى

لها غرب شباه تشيب منه

نيام يا بنى العباس أنتم

أراكم غافلين وسوف عنها

ويرميكم ببغداد بجيش

ويغنى بسلب الملك من هو سالبه

خليفتنا للأمر والنهى راكمه

بداركم ما الكف بالطرق كاتبه

فرت نحره أنيابه ومخالبه

وجانب رأى الحزم أعيت مطالبه

إذا بلغتنا خيله وكتائبه

ثياب الحمد أفضل ما تردى

نظاماً ناظماً تبديد عقدى

وبغداد وكوفان بقصد

فيسمع كل فلاح وجندى

سأرسلها بخدمتها تؤدى

لتلثم أرضها بثناء حمد

يحثكم بحزم بعد رشد

شباها يستطيع بأرض نجد

نواصى القوم من قرب وبعد

وملككم المعظم فى تردى

يباعدكم بحد أى حد

أجش معقباً برقاً برعد

ينادى بالثارات بفتح

ويدعو ابن إدريس ويحيى

أأنسى قتلكم لهم جميعاً

بأحشائي عليكم نار وجد

علينا أن ننبتكم ونبدى

إمام هاشمى فاطمى

أشار إلى الخلافة فانتضاها

وسيماء الملوك عليه بادٍ

فصيحُ لفظه عذب فرات

يقود قبائل اليمن اللواتى

بكندة والذرى همدان يأتى

وحيي حاشد وبكيل منهم

وسنحان وخولان ونهم

وقومُ من بنى الملطوم شرس

قبائل دعوة الداعى أجابوا

كتائبه إليكم ذا لغاتُ

تشعشع ضوء نور بنى على

ويترككم له خولاً عبيداً

وينقم منكم بالثأر قدما

وباخمرأ ووقعة يوم مهدى

وعبد الله ابن أبى وجدي

معاذ الله أفردت وحدى

تثير عليكمُ مكنون حقدى

بأن المرءَ همتهُ التعدى

معيد للنضال لكم ومُبدى

ولكن لا تملأها بخلد

بعيد صيته يعطى ويجدى

يفض به صلابة كل صلد

تزوركم مكفرة بسرد

ومذحج أسد حرب أى أسد

وعنس والأولى من آل سعد

وجنب والسكون وحى نهدي

يحاكى بأسهم عمرو بن معدى

وودوه وقد جاءوا بإد

بأرماع مثقفة وجُردٍ

سيطفئ نوركم من غير بدٍ

إذا ما قاد جنداً بعد جندٍ

يصار فكم به نقداً بنقد

وظنى أن داركم ستضحى

ولا عهدا لها أبدا بفرد

إذا لم تنهضوا بالخیل شعناً

نواصيها عليها كل صلد

من الأتراك أهل البأس حقاً

يقودهم شريف من معد

إذا أبطأتم إبطاء فند

ولم تجروا إليه بكل نهدي

أصبتُم قول ليت يجر ضيماً

وما ليت مع التفريط تجدي

لكم إرث الخلافة من أبيكم

لأنكم أولو رشد ومجد

وقد أقامت هذه الرسالة خليفة بغداد وأقعدته. وروى صاحب المستطاب فى تراجم الزيدية الأطياب أن ابن النساخ اعتذر للإمام المنصور بعد إرسالها وامتدحه بشعر بليغ.

ولاشك أن انقسام الزيدية إلى مختصرة ومُطرفية أضعفهم وأن مطرف بن هشام الشهابى كان علامة كبيراً وفيلسوفاً قديراً، ولذا تابعه كثيرون من العلماء والأدباء ولو عاش فى العصور المتأخرة لكان له شأن. وقد استمروا أيام المتوكل أحمد بن سليمان والمنصور عبدالله بن حمزه ثم فترة بعده، ثم اضمحلوا مع كتبهم ومساجدهم ومدارسهم ودورهم، وتغلبت عليهم المختصرة بقسوة الذين يقولون إن الله يَخترع الجزئيات كالعناصر، وأن القول بعدم اختراع الله للجزئيات كفر بكذا كذا آية من القرآن، والمطرفية يقولون إن الله خلق العناصر ثم وُكِّلَ إليها الجزئيات وإلى الإنسان. ولو اطلعنا على شئ من كتبهم لوضححت الحقيقة. وترجم فى (المستطاب) لعلماء من المطرفية ونُسب إليهم القول بأن الحوادث اليومية كالنباتات والمولودات والموت والآلام ونحوها حادثة من الطبائع فى الأجسام، ولا تأثير للصانع القديم فيها أصلاً. وكان شيخهم مطرف بن شهاب الشهابى العبادى علامة كبيراً زاهداً يلبس مدرعة صوف شيعياً ترجم له مسلم اللحجى الزيدى المطرفى وملاً بفضائله الأوراق وأعظم مشائخه العلامة على بن حرب الزيدى أخذ العقيدة عنه. وأكثر المختصرة لا يُكفِّرون المطرفية لعدم تكفيرهم باللازم، والمكفرون باللازم هم الأقل القليل من المختصرة كالمنصور وخالفه آل الوزير ويحيى وحمزة والمهدى أحمد بن يحيى، والأغلبية الساحقة لأنهم

رسالة الإمام إلى خليفة بغداد

كتب الإمام المنصور رسالة إلى خليفة بغداد الناصر أحمد بن المستنصر العباسى ومعها هذه القصيدة :

يا أهل بغداد إنى سائلكم
عن ملة الدين اذ غيرتم فيها
أنتم عيون بنى الأيام قاطبة
فى النائبات ولكن القذا فيها
قد اشتملتم على عمياء مظلمة
لا يهتدى بنجوم الحق هاديها
إن الخلافة أمر هائل خطر
صعب مسالكها صعب مراقيها
لو كان ما أنتم فيه على سنن
قام المريض إلى المرضى يداويها
أيلزم الحد محدود بحكم إلاه الناس أم يرشد الضلال مغويها
جعلتم حجة الدعوى مطهمة
جرداً ومطرودة تصمى نواحيها
إن الخليفة من يهدى بستته
حتى تضيء به الظلما لساريها
ويقتفى سنة المختار معتمداً
حتى يضم إلى الأدنى قواصيها
ولا يميل إلى لهو ولا لعب
إلا بسمر العوالى فى مجاريها
يجرى الشريعة مجراها الذى وضعت
عليه حتى يحل الدار بانيتها
خليفة الله ترضى الله سيرته
وتطهر الأرض طراً من مخازيها
القوم منا ولكن أين فاطمة
وزوجها وسليلاها وواليتها
وأين سيرتنا المشهور طهرتها
باسم المهيمن مجريها ومرسيها

نقفو بها جدنا المختار لا عوج

لا نعرف الخمر إلا حين نهرقها

إن الخلافة حكم الله فانتظروا

أيستقل بها من لا تقوم له

وكم فتى سملت عيناه قام بها

أى الإمامين أولى بالقيام بها

نعوذ بالله من قول تقوم له

أنا ابن أحمد إن فتشت عن نسبي

المانع النفس ما تهواه من عرض

وسائل عن فنون العلم ملتف

وطالب جاء والآفاق قائمة

من ذا يكون كآل الطهر فاطمة

خلافة الله دينُ الله فانتقدوا

يا أهل بغداد خافوا الله إن له

فارعوا حقوق رسول الله والتزموا

وراقبوا الله فى سر وفى علن

ونحن فى غمرات الشك فلك هدى

نحمى حمى الدين بالجرد العتاق والبيض الرفاق رؤس الضد نغشينا

وكم فتى يلتقى الابطال مبتسماً

فيها ولا أمت يلقي فى معانيها

ولا الفواحش إلا حين ننفيها

حكم المهيمن فيها فهو معطيها

شهادة فى حقير إذ يؤديها؟

وبكتأذن ثان فى تعاطيها

يا قوم أولها أم ذاك ثانيها

سوق من الخزى لا تخبى نواديها

القائد الخيل منكويًا حوافيها

عمداً لتسمو وتعلو عن مساميها

همى عليه بماء العلم هاميا

غبراء نال أموراً وهو راجيها

من ذا يقارنها أم من يساويها

ربّ السرير ليعطى القوس باريها

بأسا يحس القرى جمعاً وما فيها

بعروة لا يخاف الفصم راعيها

فنحن مهديها منا وهاديها

تنجى وتهلك عند الموج قاليها

منا ويطعننها شزراً ويرديها

يحميه منصبه الزاكي الفرار إذا دقت من السمر في الأحشا عواليها
إن الحجاب لربات الحجاب فلا تقبل لنفسك تليساً فتصميها
إن الإمام الذى يبدو لطالبه كالشمس لا يستطيع الغيم يخفيها
إذا دجت ظلمات الخطب قام لها مشمراً فتجلى إذ يجليها
صخم الدسيعة محمود الشريعة لا يرضى لنحلته كبراً يدانيها
وفى سنة إحدى عشرة وستمئة للهجرة أغار الأمير سلمان بن موسى عامل الإمام
على بلاد دمار إلى لحج وأين وعدن فحصلت حروب بينه وبين نائب الغز ظفتكين بن
محمد الملقب بالمجنون.

وصول المسعود الأيوبي

وفى سنة اثنتي عشرة وستمئة للهجرة وصل الملك المسعود يوسف بن الملك الكامل
محمد الأيوبي المصرى إلى زبيد عاملاً لأبيه على اليمن وهو فى سن البلوغ ومعه
أتاكبه جمال الدين، وبعد وصول خزائنه من البحر نهض إلى تعز، ثم جمع أتاكبه
الجيوش الجرارة ونهض إلى دمار فوفدت إليه الوفود من كل جهة ومنهم رؤساء
سنحان بيت الهرش وبنى شهاب ثم توجه إلى صنعاء فخرج الإمام إلى بيت أنعم ثم
كوكبان فدخل المسعود صنعاء فى ربيع الثانى سنة اثنتي عشرة وستمئة للهجرة بستمئة
فارس وغيرهم، ثم تقدم إلى بيت أنعم وشبام فحاربه من فيها ووقعت المراسلة بينه
وبين الإمام فى الصلح فتقرر لمدة ستة عشر شهراً وأطلق الأسارى والإمام أطلق
محمود العجمى وعاد الأتابك تعز بعد أن استخلف على صنعاء وفى سنة ثلاث عشرة
وستمئة للهجرة خالف أهل سنحان على الغز وعسكروا فى جبل كنن، وقطعوا طريق
اليمن الأسفل وطلبوا المدد من الإمام فأمدهم بابنه محمد بن المنصور، فحاربوا الغز
بقيادته.

استشهاد أمير حضرموت

فى سنة ثلاث عشرة وستمائة للهجرة قُتل السلطان عبدالله بن أبى قحطان الحميرى صاحب حضرموت عن ستين سنة من مولده، وكان أميراً عادلاً نبيهاً له مشاركة فى علم الحديث، وصحب جماعةً من أهل العلم والزهد، وسالته الأيام أعوام إمارته فكان عصره أحسن العصور بحضرموت وكان يقول: فى بلادى ثلاث خصال افتخر بها على السلاطين: لا يوجد فيها خراج ولا سارق ولا محتاج. ثم ترك الإمارة فى آخر عمره، ومال إلى الطاعة فعوتب على ترك الإمارة فقال: لم أجد من يوالينى على الحق. وخرج ليُصلح بين قبيلتين فقتل ظلماً. وهو الذى سار إليه الشيخ نشوان بن سعيد الحميرى.

وفاة الإمام المنصور

فى ذى الحجة سنة ثلاث عشرة وستمائة للهجرة خرج الإمام من ظفار يريد كوكبان ولما وصل إلى قاع البون ابتدأه المرض فسار واشتد به المرض فى كوكبان وهو يصبر ويتجلد ويقوم بأمر الناس حتى توفى بكوكبان يوم الخميس الثانى عشر من محرم سنة أربع عشرة وستمائة للهجرة عن اثنتين وخمسين سنةً وثمانية أشهر من مولده وعن تسع وعشرين سنة من دعوته، ودفن بكوكبان، ثم نقل إلى حصن بكر ثم إلى حصن ظفار الظاهر، وقبره مشهور به. قال صاحب البسامة:

وفى ابن حمزة عبد الله قائمنا	وخير داع دعا منا ومفتخر
جاءت بمعضلة نكداء رائعة	وحاولت من غدا بالمكرمات حرى
وقادت العجم من أقصى ممالكها	إليه تركض خيل البغى والأشر
وحاصرت كوكبانا وهو ساكنه	وصنوه فارس الهيجاء فى بكر
حتى قضى نجه والسيف منصلت	فى كفه ومضى فى معشر صبر
وكان للمال فى كفيه أجنحة	فإن يقع منه شيء فيهما يطر

وشيبتا الحمد شيخانا له نصرا
وما رعى المشرقى الندب حرمة
وفرقا همما فى الضم للبشر
بعد العفيف عفيف الثوب والأزر
والمشرقى هو الأمير محمد بن منصور بن المفضل بن الحجاج . . إلخ الذى خرج على
الإمام . لما اوقع بالمطرفية كما سبق، وهو ابن أخ الأمير المنتصر العفيف محمد بن
المفضل وزير المنصور
وقلت فى تحفة المسترشدين:

ثم الإمام الحافظ المشهور الحجة العلامة المنصور، طود علوم آلال عبدالله نجل الكرام
حمزة الأواه، مجدد الأحكام للقرآن، فى قرنه بالعلم والسنان.

مولده فى (٥٦١) فى عيشانا
ثم دعا محتسباً فى (٥٨٣)
والدعوة العظمى له فى ثصبج (٥٩٣)
وموته فى أربع وعشر
بكوكان وهو فيه مُنحصر
من بعد ست مائة فاستقر
ودفن به بعده إلى بكر
ودفته الآخر فى ظفار
بعلمه وسيفه المجرد
وقام شمس الدين فى الجمهور
وموت شمس الدين عام (٦٠٦)
ودفنا بالشام فى قطابر
وكان قد قام الأمير المنتصر
وموته كان به فى فئة
وبعده قام الامير المشرقى

الجيل المعروف من همدانا
من بعد ست مائة فاستقر
ونقلوه بعده إلى بكر
ودفته الآخر فى ظفار
بعلمه وسيفه المجرد
مع صنوه بدعوة المنصور
وصنوه محمد فى (٦٢٤)
• مهاجر الأعلام والأكابر
من وقش وعاد فيه مصطبر
فى صفر من عام ستمائة
من وقش فى أهله وفيلق

قيامه فى أعشر والست مائة

بزعمه يذب عن تلك الفئة

وقد أشرنا إلى شمس الدين يحيى بن أحمد بن يحيى وأخيه بدر الدين محمد، وإلى الوزير العفيف المنتصر محمد وأخيه الأمير المشرفى محمد بن منصور بن المفضل.

أشهر أولاد المنصور

منهم الأمير المحتسب الأديب محمد بن المنصور عبد الله المتوفى بظفار سنة ثلاث وعشرين وستمائة للهجرة والأمير أحمد بن المنصور المتوفى بصعدة سنة ست وخمسين وستمائة للهجرة والأمير داوود بن المنصور المتوفى بظفار سنة تسع وثمانين وستمائة للهجرة وسيأتى لهم ذكر. ومنهم على وإبراهيم وسليمان والحسن وموسى ويحيى والقاسم أبناء المنصور، وعشر بنات كما حقق ذلك تلميذه الفقيه حميد الشهير فى الحدائق الوردية وغيره. وذريته الحمزات كثيرون فى الجوف وبلاد الشام ونجران ومأرب وغيرها ولهم تاريخ طويل.

يحيى بن المحسن

دعوته ٦١٤هـ وفاته ٦٣٦هـ

هو الإمام المعتضد يحيى بن المحسن بن محفوظ بن محمد بن يحيى بن يحيى بن الناصر بن الحسن بن عبدالله بن القاسم بن الناصر أحمد بن الإمام الهادى يحيى بن الحسين. الداعى المجتبى، نجل المحسن صاحب المُقنَّع الشافى لذى النظر، سلالة الصيد سادات الجبال مصابيح الليالى جمال العلم والسير. أخذ العلم بصعدة عن الفقيه سليمان بن عبدالله السفينانى ومحمد بن الحسن النجرانى والأمير على بن الحسين الحسنى وغيرهم وتبحر فى العلوم.

قال المنصور عبدالله بن حمزة إن لصاحب الترجمة علم أربعة أئمة وإن ربع علمه

شهد المنصور عبدالله لى

بظفار وبصنعا وحكم

أن لى علماً غزيراً ربه

عندنا يكفى الإمام المحترم

وكان شاعراً شجاعاً وله مؤلفات نافعة منها المُقْنَع فى أصول الفقه قال فيه :

هذا الكتاب كتاب المقنع الشافى

أربى على الكتب فى مجموع أوصاف

أدلة كسيوف الهند قاطعة

صقلتها بصقيل الفكرة الصافى

وما أحتذيت مثالا فيه من أحد

إلا طريقة آبائى وأسلافى

وعاقه الحمام عن التمام فأكلمه الأمير محمد بن الهادى بن تاج الدين أحمد بن بدر

الدين محمد بن يحيى بن يحيى المتوفى سنة عشرين وسبعمائة للهجرة .

دعوته ومجمل حوادث أعوامه

بعد وفاة الإمام عبدالله بن حمزة قام داعياً ببلاد صعدة فى صفر سنة أربع عشرة وستمائة للهجرة الإمام المعتضد بالله يحيى بن المحسن، وخرج واستنصر بقوم من بنى شريف ومن جهات عسير وغيرهم، وأعانوه بثلاثمائة فارس فتوجه إلى صعدة ووقع بينه وبين الحمزات مناوشة فسار إلى الحموس قبلى الهنوم وقاموا معه وحصل مع الحمزات معارك . وكان الأمير محمد بن المنصور عبد الله قد قام محتسباً فى جبل كزن سنحان بعد موت والده فبايعه أشراف ومشايخ سنحان حتى نهض المسعود يوسف الأيوبى فاستولى على كزن وعقد الصلح بينه وبين الأشراف .

ثعبان عظيم

فى سنة أربع عشرة وستمائة للهجرة ظهر ثعبان عظيم فى مخلاف جعفر قريب جبلة

له صوت كنباح الكلاب فأفزع الناس وانقطعوا عن أعمالهم فالتجأوا إلى الله فانقضض عليه طائر أبيض الريش أصفر المنقار والمخالب وجعل ينقر رأس الثعبان وهو ينفخ فيخرج من فيه مثل لهب النار يحرق ما قابله فيرتفع الطائر حتى ينقضى نفس الثعبان وما زالاً يعتركان حتى ضعف الثعبان واضطرب فأمسكه الطائر حتى هلك، ثم ذهب الطائر وحفر أهل القرية حفرة عظيمة وألقوا الثعبان فيها. ذكر هذا الأهدل في تاريخه.

وذكر المؤرخ الجندي أن رجلاً من ذى أشرق خرج إلى محتطب ملتف الشجر فوثب عليه ثعبان عظيم فالتقمه وجره إلى حجره ولم يقدر الناس على تخليصه. وفي سنة خمس عشرة وستمائة للهجرة جرى بين يحيى بن المحسن ومحمد بن المنصور حروب كما قال في البسامة:

وأضمرت بين داعينا وصاحبه
محمد نار حرب جزلة الشرر
جدت ظفار وحوث في عداوته
وقام فيها أبو فتح مع العذرى
وكتب الإمام يحيى إلى الأمير المؤيد أحمد بن القاسم قصيدة منها:
أترضى بهدم الدين يا نسل قاسم
وكشف حريم جدهن محمد
وما كان إلا نشر أيمن دعوة
ومالوا إلى الشتوى جهلاً وقلدوا
هم حسدونا إرثنا من جدودنا
ضلالاً وأرباب الرياسة تحسد
ومن شعره:

أنا كنز الله في الأرض وما
قلت في دعواى هذا كذبا
وأمين الله في الخلق فهل
بعد هذا أبتغى لى مكسباً
وإذا صدت معد لم نلم
أن دعونا للعلى ابنا سبا
حمير الشم وكهلان الأولى
كرموا فرعاً وطابوا منصبا

ومن قصيدة إلى بعض أقاربه

وفي مكة قام الخطيب لجدنا
وأدت عمان خرجها وهى تسأم
وكان لكم سبعون حصناً مشيدة
ذمر مر منها دونه الطير حوم
ومنها ذخار مع ثلا وشهارة
وهم دون أسباب السماوات سلم
وفى بكر قد كان منكم عصابة
نُهان ونرمى بالصغار ونهضم
وفى سنة ست عشرة وستمئة للهجرة وقع الصلح بين الحمزات والملك المسعود،
واستولت الغز على حرض.
وفى سنة ثمان عشرة وستمئة للهجرة شرى المسعود حصن بكر ببلاد كوكبان من
الأشراف بعشرة آلاف دينار.

ابتداء تولى نور الدين الرسول

وفى سنة تسع عشرة وستمئة للهجرة سار المسعود إلى مصر وأتاب باليمن الأمير نور الدين عمر بن على بن رسول.

مرغم الصوفى

وفى سنة تسع عشرة وستمئة للهجرة ثار بحقل يريم مرغم الصوفى زعم أنه داع إلى إمام، وأنه منصور حمير الذى يخرج كنوزهم ويناصر المهدي الذى يخرج آخر الزمان فأطاعه قبائل جنب وعنس، فسار إليه نور الدين فهزمه ثم اضحمل. وفيها وجد فى مدينة سبار بحراز حجراً مكتوب عليها ما معناه: طلبنا البر بالدرّ فما وجدناه. وقيل إنه كان بهذه المدينة ثلاثمائة بئر على كل بئر حجر مكتوب عليها: لا إله إلا الله موسى كريم الله.

معركة بين محمد بن المنصور وبنى رسول ثم وفاته

فى سنة ثلاث وعشرين وستمائة للهجرة نهض الأمير المحتسب محمد بن المنصور عبدالله وإخوته إلى صنعاء بسبعمائة فارس وألفى راجل وكان بصنعاء جماعة من أصحاب الأمير الحسن بن على بن رسول، وأقبل الحسن من ذمار وأخوه عمر بن على فدخلوا صنعاء والحرب قائمة بعصر، فتقدما بخيلهما وجيشهما وحملوا حملة رجل واحد فانهمز الأشراف وقتل منهم نحو ألف، فساروا إلى ثلاث سار المحتسب محمد إلى حوث فمات به فى سابع ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين وستمائة للهجرة عن ثلاث وثلاثين سنة من مولده ببراقش، ونُقل إلى ظفار فدفن به وهو شاعر بليغ وله سيرة وقال فى مرضه:

لعمري لأنه ضاقت بنفسى فرائض
لغفو الذى سوى السموات واسع
جزعت وأعتنى ذنوب لمثلها
يراع أخو العلم اللبيب ويفزع
وكيف اعتذارى يوم ألقى صحيفتى
مضمنة ما كنت بالأمس اصنع
حنانيك رب الناس من أن تصيبنى
بدينى وهل إلا إلى الله أفزع
وله :

هل لعين تأبى الكرى من هجوع
أو لهم ملازم من نزوع
ولقلب للدهر فيه صدوع
وكلام يدمين كل صدوع

وليالى عرقن جسمى فغاوين سجودى مطابقاً لركوعى
ونفين الرقاد عنى فأمسيت وبالنيرات أرعى ربوعى
من لنفس أليمة فى رضى الله أميتت فزايلت ممنوعى
ستر الله ذو الجلال عليها
أى ستر يعطى وأى منيع
إن أكن واثقا بها فى رضى الله فمن لى بقلب سوء جزوع

وفاة بدر الدين بقطابر

فى نصف رجب سنة أربع وعشرين وستمائة للهجرة توفى بهجرة قطابر بجهات صعدة الأمير العلامة الكبير بدر الدين محمد بن أحمد بن يحيى بن يحيى . . إلخ . عن خمس وثمانين سنة وهو من مشائخ الإمام عبدالله بن حمزة . وأخذ عنه أيضاً ابنه العلامة الأمير الحسين بن محمد صاحب «شفاء الأوام» وغيرهما كثير، وكان المنصور عبد الله قد حاول قبل دعوته قيامه أوصنوه الأمير شمس الدين يحيى بن أحمد بأمر الإمامة فامتنعوا وبايعاه .

وفىها عاد الملك المسعود من مصر إلى اليمن فحبس بتعز أبا بكر بن على بن رسول وأخاه موسى بن على ونهض إلى بلد بنى سيف ببلاد يريم فأخبره لقيامهم مع مرغم الصونى وفى سنة خمس وعشرين وستمائة للهجرة تجهز الملك المسعود إلى مصر بما جمعه من أموال ذهب وفضة وجواهر وغللمان وجوار واستخلف باليمن السلطان عمر بن على بن رسول ومات المسعود بمكة .

ابتداء دولة بنى رسول

وفى سنة ثمان وعشرين وستمائة للهجرة استقل السلطان عمر بن على بن رسول محمد بن هارون بن أبى الفتح من ذرية جبلة بن الأيهم الغسانى وولى من يعتمده وعزل من يخافه ونهض من زبيد إلى تعز وأقطع ابن أخيه الأمير أسد الدين محمد بن الحسن بن على صنعاء وبلادها، وفى رمضان نهض السلطان إلى صنعاء فصالح الحمزات على يد آل حاتم وخلع عليهم الخلع العظيمة وحباهم بالمال الجزيل وأقرهم على بلادهم واستلم حصن براش صنعاء من أحمد بن زكريا نائب المسعود الأيوبى وأحسن إليه وزوجه بأخته وأعلن خلع بنى أيوب وتلقب بالملك المنصور وكاتب

الخليفة العباسي فجعل له مُلك اليمن وحارب عمال بني أيوب على مكة.

وفى سنة تسع وعشرين وستمائة للهجرة نهض السلطان عمر إلى اليمن الأعلى فتسلم كوكبان وبكر وغيرهما وجهاز جيشاً إلى مكة مع الشريف راجح بن قتادة الحسيني وابن عبدان فنزلوا بالأبطح وحاصروا أمير مكة الذي قبل الملك الكامل الأيوبي فخرج إلى ينبع فجهز الملك الكامل جيشاً كثيفاً. فى سنة ثلاثين وستمائة للهجرة ضرب السلطان عمر نور الدين السكة باسمه، وأمر بأن يخطب له على منابر اليمن.

وفى سنة أربع وثلاثين وستمائة للهجرة سار الأمير محمد بن يحيى بن حمزة بن سليمان إلى زيد فأكرمه السلطان وأقطعه المحالب، فلما رجع أطمعته نفسه فأخذ كوكبان وأخذ والده يحيى من حمزة حصن منابر فوق تهامة فغضب السلطان فجهز العساكر وأنفق الخزائن والذخائر، فكانت تصب أكياس الدراهم بين يديه كما يصب الطعام، وجعل على مقدمته الأمير أحمد بن زكريا صهره فى ستين ألف راجل فأخذ حصن منابر وغيره وحصون حجة والمخلاة، فخاف الأمير محمد بن يحيى، وبعد رجوع السلطان إلى تهامة راسله الأمير يحيى بن حمزة وأولاده واعتذروا فقبل عذرهم وأرجع لهم حصون حجة والمخلاة.

وفاة يحيى بن المحسن ويحيى بن حمزة

فى رجب سنة ست وثلاثين وستمائة للهجرة توفى بهجرة ساقين الإمام يحيى بن المحسن من سادات الجبال. قال ابن مظفر فى الترجمان: سادات الجبال آل يحيى بن يحيى سادات السادات وقادات القادات وبحور العلم، ومن ذريته آل الداعى بجهات صعدة وآل الشامى بجهات صنعاء وخولان وخبان وآل الأنخفش.

وفىها مات بكحلان تاج الدين الأمير الكبير يحيى بن حمزة بن سليمان أخو الإمام المنصور وإليه ينسب السادة بيت الأمير وغيرهم.

عبرة موقظة

فى الخامس والعشرين من رمضان سنة خمس وأربعين وستمائة للهجرة كانت آية عظيمة وهى أن بنى منبه وبنى معين من جهات رازح التقوا للقتال فأصيب رجل من بنى معين يُسمى مسعود بن على بسهم فحُمِلَ فمات فى الطريق فلما وصلوا به إلى بيته ميتاً وضعوه ليحفروا له فخرج إليهم أخوه وقال: ادخلوا لتنظروا الميت. فإذا هو قد صار كقطعة من جبل وقد تلغ لسانه واسود وجهه، فهدموا جانب البيت وألقوه فى حفرة كبيرة جداً، فلم يلبث أن بدت رجله من الحفرة فأزالت جميع ما وضعوه عليه من التراب والأحجار والأخشاب وسمعوا صراخاً أربعة أيام، ثم انقطع ففتحوا جانباً من الحفرة فلم يجدوه فيها، وقد اسودّت جوانبها نعوذ بالله من عذاب القبر والنار، ونسأله التوفيق وحسن الخاتمة قال صاحب أبناء الزمن وفى هذا دليل على وقوع عذاب القبر كما وردت به الأحاديث ومثلها قصة محلّم بن جثامة فى السيرة النبوية.

أحمد بن الحسين الشهيد

مولده ٦١٢هـ دعوته ٦٤٦هـ استشهاده ٦٥٦هـ

الإمام الأعظم الشهيد المهدي أحمد بن الحسين بن أحمد بن القاسم بن عبد الله بن القاسم بن أحمد بن أبي البركات إسماعيل بن أحمد بن القاسم بن أحمد بن محمد بن الإمام القاسم الرسى بن إبراهيم بن اسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبي طالب، المقبور بذيبيّن، مولده بهجرة كومة الظاهر فى ذى القعدة سنة اثنتي عشرة وستمائة للهجرة، وأخذ عن الشيخ أحمد بن محمد الرصاص الحوثي والشيخ أبي الحسن الكنانى والفقيه قاسم بن أحمد الشاكري والفقيه صالح بن أحمد عريق والفقيه أحمد بن محمد الأكوع وغيرهم حتى صار من محدثي الزيدية وأكابر أعلامهم وكرمائهم وانتشر فضله ومن أجل تلامذته القاضي محمد بن أحمد أبي

الرجال، والفقيه أحمد بن نسر العنسى وغيرهما، وله رسائل عديدة وأبحاث مفيدة، وترجمه الشيخ على بن حسن الخزرعى الشافعى المؤرخ بالقرن التاسع فى كتابه (طراز أعلام الزمن فى طبقات أعلام اليمن) فقال : «كان إماماً فاضلاً كاملاً سيداً، حسن السيرة، أمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، حليماً كريماً جواداً، أمثل الأئمة الزيدية فى عصره، أجابته بعد دعوته كافة الشيعة وعلماء الزيدية، ومدحه عدة من الشعراء بجملة من القصائد الطنانة... إلخ.

وكان لطيف الشمائل شديد الشكيمة سريع النهضة على الهمة كثير العبادة والصلوات واتسعت رقعة نفوذه فى أقرب وقت ولكنه ابتلى بالحمزات من أول دعوته إلى استشهاديه. وله فى الجود والكرم أحاديث تهتز لها القلوب وترتاح لسماعها الأرواح حتى قيل إنه كان يحثو المال حثواً وأنه حصر ما وهب من الخيل فبلغت ألفاً وستمائة وسبعين فرساً، وأنه أعطى ابن هتيمل الشاعر التهامى من الدراهم والخيل والثياب ما قيمته مع الدراهم نحو عشرة آلاف. وله سيرة خاصة جمعها السيد شرف الدين يحيى بن قاسم بن يحيى بن حمزة بن أبى هاشم الحسنى المعاصر له، وفيها وفى «اللألى المضئية» و«أبناء الزمن» و«العقود اللؤلؤية» و«قرة العيون» ما خلاصته:

دعوته وحوادث أيامه

دعا فى صفر سنة ست وأربعين وستمائة للهجرة من ثلا بعد تمكن الدولة الرسولية من عموم اليمن فى غرة شبابها أيام الملك المنصور عمر بن على بن رسول فى اليمن الأسفل وابن أخيه الأمير أسد الدين محمد بن الحسن بن على فى صنعاء وأعمالها والحمزات فى البون إلى بلاد بنى شريف شمال صعدة، فبعث دعوته فى عرض البلاد وطولها فكتب إلى السادة الأعلام آل يحيى بن يحيى فى الشام، وإلى السادات الحمزات، وإلى عموم العلماء والأعيان، وإلى الملك عمر بن على بن رسول، وإلى السلطان إدريس صاحب ظفار الحبوضى على البحر الهندى، وإلى أشراف مكة، وبلاد الزيدية بالعراق وغيره فأصبح الملك الرسولى فى أمر مريح.

وفى يوم سابع دعوته جهز عساكره إلى كثير من الجهات وقد التف حوله السادة آل يحيى بن يحيى والحمزات وقبائل حمير والمغارب فكانت معركة مع بقية الباطنية حول أسوار شبام فاحتلتها عساكره فاهتزت الدولة الرسولية، وطلع السلطان عمر من تعز واجتمع بابن أخيه أسد الدين، وتقدما إلى بلاد كوكبان للتنفيس عن الحصون المحاصرة فحالت القبائل عن ذلك، وكان الأمير على الحصون للرسولى هو القاضى عمارة الأصفهاني، وقد احتل أصحاب الإمام حصن قراضة وشددوا الحصار على حصن موقر، وقتل الشريف علي بن عبدالله الحمزى ونحو خمسة وعشرين من أصحاب الإمام، ثم سلم القاضى عمارة حصين عزان وغيره، فعدل القاضى إلى الحيلة فطلب الأمان واجتماعه بالإمام، وكان قد تعذر عليه الاجتماع بالسلطان قبل الأمان، ولما اجتمع بالسلطان أشار عليه أن جميع الحصون على وشك السقوط وأن الأولى أن يعطيها لولدى الأمير يحيى بن حمزة ليوقع الخلاف بين الحمزات والإمام وأظهر للإمام الإخلاص فأذن له بالعود إلى حصن عزان. ووفد إلى الإمام الأميران محمد وعبد الله ابنا يحيى بن حمزه واستأذناه بملاقة السلطان فأذن لهما فتمما الكلام مع السلطان فى الحصون والتزما بحرب الإمام، ثم حاصر أصحاب الإمام فى حصن الموقر، ثم وفد إلى الإمام الأمير أحمد بن المنصور وأظهر الطاعة. وتقدم السلطان على قرية حضور الشيخ فانهزم إلى قاع حوشان ثم انهزم إلى صنعاء وجهز الإمام فى إثره الأمير عبدالله بن الحسين الحمزى فى عسكر عظيم إلى سنجان وبلاد ذمار والمشارق، واستمرت الغارات من سناع على صنعاء ثلاثة أشهر وقطعت قبائل مذحج صلتها بالدولة الرسولية واضطربت عليها سائر البلاد المجاورة لصنعاء.

وفى سنة سبع وأربعين وستمائة للهجرة أرسل السلطان قوة إلى مخلاف بنى شهاب، وأرسل الإمام جنداً إلى بيت شعيب فدامت المعارك فى بلاد البستان.

وسار الأمير أحمد بن يحيى بن حمزة إلى السلطان فأعطاه حصن بكر، ثم سار السلطان إلى جهران فى طريقه إلى اليمن الأسفل فتألب عليه أهل البلاد نحو عشرة آلاف مقاتل فهزمهم وأخرب قرية عاثين آنس وسار إلى ذمار وأرجع أسد الدين إلى

صنعاء فحالت عليه البلاد ونهض الإمام إلى بيت جنبص حول صنعاء فاجتمعت إليه القبائل من كل جهة وكانت معركة فى أرتل انتصر فيها أسد الدين وتحقق الإمام أن الحمزات يتربصون به الغوائل فأمر الأمير الحسن بن وهاس وجماعة بالوقوف فى سناع وعاد إلى ثلا لتدارك خطر الأشراف .

وقعة قارن بين أصحاب الإمام والحمزات

كان الإمام قد صارح الحمزات بما بلغه عنهم فى وقعة أرتل فانفرجوا عنه إلى بلادهم الظاهر، وعاثوا فى بلاد الإمام فنهض إلى الجنات عمران واجتمع أصحاب الحمزات وهم الظاهر وسفيان ومرهبة والصيد وبنو صريم بقيادة محمد بن أحمد بن المنصور وتقدموا إلى قرية يشيع واستدعى عبدالله بن يحيى بن حمزة بعض جنود الرسوليين، وساروا زهاء ألف وسبعمئة مقاتل إلى قرية قارن غربى البون فاستغاث أهلها بالإمام فخفف لنصرتهم. وفى «قارن» اشتد القتال وانتهى بهزيمة الحمزات بعد قتل ثلاثمائة وثمانين منهم وجرح كثيرين منهم وفرار الباقيين وقال ابن هتيمل قصيدة كبيرة منها:

إذا جزت الفضا ولك السلامة	فطارح بالتحية ريم رامة
وقل للوائلية هل لروحي	وما أتلفت من جسدى غرامه
حللت تهامة وحللت نجداً	وأين وأين نجد من تهامة
تكلفنى العواذل نقل طبعى	لا حباً لهن ولا كرامة
على مَ وفيم أمنح خير عمرى	أضاليل المنى سفهاً على مه
عليك بأحزم الأمرين تسلم	فكم أمر عواقبه ندامة
ولا ترام محل الضيم واشمخ	بأنف لا تذلل الخزامة
إلى المهدي أحمد أرقنت بى	مراق العدو تحسبها نعامه

الى من لو وزنت الخلق طراً
شبيه سمية خلقاً وخلقاً
تواضع عن لباس التاج زُهداً
قرنت بأهل (قارن) يوم سوء
خذ الحمزات بالألطف واخفض
ولا تعمل قرب حمى أنفٍ
فهم عين وأنت لها سواد
. . إلخ .

وأورد المؤرخ الخزرجى قصيدة أخرى لابن هتيمل منها:

أغلقت فضلة قلبك المرهون
قمر يعاتبني بما يشوى به
أزف الرحيل فضمنى بشماله
فدموعه كمدامعى مرفضة
إياك والطمع الردى وأن يرى
الفقر يبلى والغنى يطغى فعذ
الحزن بعد الحزن ليلك والسرى
من فاته نظر النبی بيشرب
هذا ابن ذاك وفى أبيه وجده
هدى كهدى المرسلين كأنه

بظفر منه ما بلغوا قلامه
وهدياً فى الطريقة واستقامة
فصار التاج من خدم العمامة
أرحت به الزعيم من الزعامة
جناحك للقرابة والرحامة
يكن بعد نفرتة زمامه
وهم بيت وأنت له دعامة

وكان أحمد أحمد وكأنه
وأرى النبوة بالإمامة أصبحت
يهنى بنى حسن المثنى أنهم
رجعت خلافتهم إليهم بعدما
ملك تقمصه ابن هند فاعتدى
وغدت بنو العباس تزعم مثله
خلعوه بالطائر المسعود من
بأعز أعلم هاشمى قائم
خذ فى علاج ذوي النهى بفظاظة
فلقلما اعتدل القنا ما لم يكن
واشدد قواك بآل حمزة واعتضد
واترك جيادك تغز من صنعا إلى
فعلى العراق وأهلها لك غزوة

بين الصفوف على فى صفين
مقرونة كالحاجب المقرون
قد عوضوا المحقوق بالظنون
ألقى الأمين بها إلى المأمون
بعد ابن هند فى بنى ميسون
بالفتح والفضلين والأفشين
مبديهم والطائر الميمون
فى الله بالمفروض والمسنون
فى رحمة وبقسوة فى لين
تثقيفه بالنار والتسخين
بالشمس طالعة على الشاهين
مصر إلى حلب إلى جيرون
لحقت معرتها بصين الصين

ثم نهض الإمام إلى حللم الأشمور وأقبلت إليه قبائل حمير ومسور، ثم سار إلى
بلاد الظاهر فحاصر الحمزات حتى أذعنوا، واستولى الإمام على حصن ذروه المنبع
القديم.

قتل السلطان الرسولي

فى ذى القعدة سنة سبع وأربعين وستمائة للهجرة وثب جماعة من ممالك السلطان نور الدين عمر بن على بن رسول فقتلوه فى قصر الجند من اليمن الأسفل، وكان قد استكثر من الممالك حتى بلغ عدد البحرية ألف فارس عدا الممالك المصرية وغيرهم، وكان قد اعتزم عزل ابن أخيه أسد الدين بن الحسن بن على عن ولاية صنعاء فأسّر أسد الدين إلى الممالك بقتله قبل أن يتمكن من عزله. فلم ير أسد الدين بعد قتله لعمه يوماً سعيداً، ونقل إلى تعز ودفن بها وهو مؤسس الدولة الرسولية.

وفى سنة ثمان وأربعين وستمائة للهجرة سار الإمام من الجوف إلى صعدة فى عدد كبير فاستقبله بدرب الحناجر الأمير الحسن بن بدر الدين مؤلف أنوار اليقين وأخوه الأمير الحسين بن بدر الدين مؤلف شفاء الأوام فى جماعة من بني عمهم وأقاربهم وقبائل خولان، وأقبلت قبائل صعدة والمخلاف بثمانمائة عنان من الخيل، ولما علم الأمير أحمد بن المنصور أنه لا قدرة له على مناوأة الإمام طلب الصلح وتقرر على تسليمه حصن تلمص بالشام وحصن القفل بالظاهر وحصن مدع والمكرام بميتك والجاهلى والظفر بحجة، وعلى إخراج أسرى حاشد وبكيل من لدن الحمزات وأن تكون بلاد الشرف للإمام وبلاد البون بين الإمام والحمزات، وبعد الصلح هدأت الأحوال ثم نهض الإمام نحو صنعاء وبصحبتة الأمير أحمد بن المنصور، ونزل الإمام بالدار السلطانية بصنعاء وحط الأمير أحمد بالقرب من باب اليمن، وأنزل الإمام الشيخ أحمد بن محمد الرصاص فى دار فخمة مزخرفة وأعطاه ضياعاً وحوانيت وصوافى ما قيمته ثلاثون ألف دينار لما يعرفه من ميله إلى الدنيا. وأجابت الإمام البلاد من صعدة إلى ذمار، وضرب الدراهم باسمه وجعلها أرجح من الدرهم المنصورى ومن درهم الغز، واستمر أسد الدين ببراش وتوسط بالأمير أحمد للصلح وخدع الأمير أحمد الإمام بتجهيز أسد الدين على المظفر الرسولى فانخدع الإمام وجهزه على رأس قوة فيها الأمير علوان بن بشر بن حاتم الياضى فلما كانوا بالشوافى خرج المظفر من تعز لاستقبالهم فانضم أسد الدين بقوته إلى المظفر.

سقوط الإمام عن جواده المحيا

فيها سقط الإمام يوم الجمعة إذ عثر به جواده المحيا فأصيب في وجهه وأنفه ورضت
رجله، ولم يرجع إلى داره إلا على أعناق الرجال، فقال الشاعر مفضل بن يحيى
الصنعاني البهمة قصيدته التي فيها حسن التعليل ومنها:

هو الشط من صنعا الذي كنت تعهد
وغمدان والقصر المنيف المشيد
وذا المنظر النضر الذي في رياضه
أفانين من وشى السحاب منضد
رياض يروح الروح منها ويغتدى
بروح وريحان يصوب ويصعد
وكم بين (عضدان) (وغضران والحمى)
و(ريمة) عيش بارد الظل أرغد
(فحدين) من تلقا (سناع) و(حدة)
إلى (العشة) القصوى وحبك معهد
مبادين خيل كالسراحين ضمّر
وساحات خير ذكره ليس ينفد
نعم هذه الدنيا وهذا نعيمها
وذا القائم المهدي ذو الجود أحمد
وذا ابن الحسين القاسمي الذي له
عزائم منها الأسد في الروع ترعد
أقام ملوك الأرض حول رواقه
عكوفاً ومنهم ركعون وسجد
ولما توسمت النهوض (لطيفة)
وثغرك بسام وسيفك مغمد
دنوت وفي قلب (المحيا) استطارة
وقد راعه بالأمس منك التهدد
وخالطه زهو وكبر وهيبة
وعين كمال دائماً تتردد
وأقبلت فاعروريت فوق سراته
فخر ولم تحمله رجل ولا يد
ولم يستقم جأش المحيا وطالما
له الصافنات الجرد بالفضل تشهد
ولكن دنا منه ثبير وراعه
جلال تكاد الشم منه تأود
.. إلخ .

عودة أسد الدين لمحاربة الإمام

لم يقتنع أسد الدين من الغدر بأصحاب الإمام وانضمامه إلى المظفر، بل زحف على صنعاء بجموع كثيرة، وكان جند الإمام قد نفرت عنه وتحول الأمير أحمد إلى ظفار يرتقب ما تنتجه الأيام فجهاز الإمام الحسن بن وهاس في جماعة من الفرسان والمشاة إلى حصن المكيم بالحداء، وأمره بحفظ الطريق ومنع طلوع أسد الدين، فذاهمهم أسد الدين بقوة كبيرة وتغلب عليهم وأمَّ صنعاء فخرج الإمام إلى سناع، وكانت مدة إقامته بصنعاء سبعة أشهر وخرج بخروجه خلق كثير من أهل صنعاء. وقبض أسد الدين الحسن بن وهاس وأخاه وغيرهما وسجنهم في حصن براش. وفي ذى الحجة سنة ثمان وأربعين وستمائة للهجرة طلع المظفر إلى صنعاء.

وفي محرم سنة تسع وأربعين وستمائة للهجرة عاد المظفر إلى اليمن الأسفل، وترك بصنعاء وبلادها الأمير أسد الدين، وتسلم حصن التعكر ووافقه إلى تعز الأبناء بقدوم عميه حسن وأبى بكر ابني علي بن رسول من الديار المصرية إلى زبيد، فأمر بإكرامهما واستقبلهما بنفسه إلى حيس مع شدة خوفه من وصولهما وبعد وصولهما إلى تعز أمر بقيدهما ونقلهما إلى القلعة فلما دخلاها قالوا: قبحك الله من قلعة خرجنا منك مقيدين وعدنا مقيدين.

صلح الإمام والمظفر وشراء الإمام لحصن براش

فيها جنح المظفر لمصالحة الإمام على أن للمظفر اليمن الأسفل والتهائم، وللإمام اليمن الأعلى وثمانون ألفاً محمولة إلى خزائن الإمام، وتسليم حصن حلب فيما بين ثلا ومدع وحصن كوكبان للإمام.

وفيها شري الإمام من الأمير أسد الدين حصن براش صنعاء بخمسمائة ألف وعشرين ألف درهم مهدوية كل درهم ثلثا قفلة إسلامية غير الخلع والحلل للوسائط، واستعان الإمام بجميع أهل بلاده من صعدة إلى ذمار على تسليم هذا المبلغ لمصلحة رآها. ولما

قبض نائب الإمام الحصن وجد فيه بعد المستثنى من المنجنيقات والألات الحربية ما يقارب القيمة المذكورة. وأمر الإمام بنقل أنواع الحبوب والزبيب والجلجلان والملح إلى براش.

وفيهما تسلم الإمام حصن حرام ببلاد الشرف، وما زال يتردد في جهات صنعاء وذمار ولبث في خدار شهراً، وقد عرف أسد الدين أنه لا طاقة له بحرب الإمام فخرج عن صنعاء وبلادها. وفي آخر شعبان سنة تسع وأربعين وستمائة للهجرة رجع الإمام إلى صنعاء فأقام بها وبسناح أياماً، ثم رجع إلى ثلا ووصل إليه الحمزات تائبين فعفا عنهم واستولى الإمام على مسور لاعة.

وفيهما بعث المظفر رسولاً إلى خليفة بغداد العباسي لتقرير ولايته على اليمن فسلك الرسول طريق براقش ثم اتخذ منها الأدلة ومر بالرملة على الرواحل فوصل العراق بعد أربعة عشر يوماً وكتب المستعصم الولاية للمظفر على اليمن وأمره بمحاربة الإمام المهدي وحرضه على استتصاله.

وفي المحرم سنة خمسين وستمائة للهجرة نهض الإمام إلى مأرب وبيحان، ووقع الصلح بينه وبين الأمير أسد الدين ودخل في طاعة الإمام بسبب قبض المظفر على أبيه الحسن بن علي بن رسول وأقاربه وسجنهم بقلعة تعز كما سبق.

وفي سنة خمسين وستمائة للهجرة انتقض الصلح بين المظفر والإمام فجهز الإمام أسد الدين وأحمد بن المنصور وغيرهما بجيوش كثيرة وجهز المظفر الأمير الطواشي وغيره بجيوش كثيرة، ثم أمد الإمام أصحابه بعسكر، ولما رأى أسد الدين تكاثر أصحاب الإمام على أصحاب المظفر أخذته الحمية الرسولية فسار إلى رداق والمشرق ولم ير بداً من قصد عدوه علوان الجحدري فتلقاه بالإكرام وطلب له الأمان من المظفر فأمنه ونزل إليه.

وفي سنة خمسين وستمائة للهجرة أمر الإمام نائبه على بلاد ذمار بالتقدم إلى يريم وإرباب وكحلان خبان وفيها قوم من الباطنية فحاربهم أصحاب الإمام واستولوا على مساكنهم

وأخربوها. وحصن كحلان يريم من المعازل المشهورة القديمة، وكان أهله زيدية همدانية لا يعرفون مذهب الباطنية حتى استفزهم بعض الباطنية فدرس إليهم مذهبه.

نهوض المظفر إلى صنعاء

وفي سنة إحدى وخمسين وستمائة للهجرة نهض المظفر ومعه الأمير علي بن وهاس وغيره إلى صنعاء بقوة كبيرة فخرج الإمام إلى صنعاء ثم بيت رجال فخرج المظفر إلى صنعاء فأخربها وقطع أشجارها ورجع اليمن الأسفل.

مخالفة الحمزات للإمام

وفيها خالف أحمد بن المنصور وأقاربه على الإمام، وكاتب المظفر إلى يريم، وكان في حرب الباطنية بكحلان، وطلب من المظفر النصرة على الإمام ففرح المظفر وأمره مع أسد الدين بحرب الإمام، فساروا مع بقية الحمزات إلى ذيبان أرحب فدمروها مع بلاد الصيد، وتحول الإمام إلى حوث، ثم غزا إلى الجوف لمطاردة أحمد بن المنصور فالتجأ مع بقية الحمزات إلى مصالحة الإمام، ولما عرف فشله أمام الإمام كتب إلى المظفر أن أسد الدين ترك المحطة إلى صنعاء فكتب المظفر إلى أسد الدين فخرج إلى الجوف وحاول مع الأمير أحمد أخذ براقش فامتنعت عليها فساروا إلى الزاهر وأحرقاه. فسار الإمام نحو صعدة ورتب بها الأمير الحسن بن وهاس وتقدم الأمير داوود بن المنصور والحمزات على صعدة فدافعهم أهل صعدة وقتلوا رجلاً من أصحاب داوود وفقت عين الأمير علي بن عبدالله بن الحسن بن حمزة، وكاد أهل صعدة يستظهرون على الحمزات لولا أن الأمير أحمد أمدهم. وفي اليوم الثاني نهض الأمير أحمد والأمير أسد الدين إلى غربي صعدة فصدتهم أهلها لولا أنهم استمالوا بعض الخونة من أهلها فأدخلهم ليلاً من درب الحدادين، ولم يتنبه أهل صعدة إلا والسيوف تعمل فيهم، والجنود ترحف إليهم ينهبون ويقتلون ويهتكون، وقتلوا شيوخاً أعلاماً كالقاضي يحيى بن عطية بن أبي النجم والشيخ يحيى بن محمد بن خالد وقد طعن في السن

وأخرجت بعض المخدرات مكشفات الرؤوس. وكان أسد الدين أحسن حالاً من الحمزات فكان يأمر بإدخال النساء وراء جدران لسترهن ومنع مماليكه من القتل والنهب، وأقام القوم بصعدة يجاهرون بشرب الخمر وارتكاب الفواحش، وكان الشريف المرتضى بن مفضل بن منصور الحسنى من علماء آنس قد قصد الإمام يوماً وكان يصلى فابطأ عليه الإذن فغضب وسار إلى المظفر، فأعطاه واسعاً وخرج فى جيش المظفر ثم ندم وسار إلى صعدة وربط نفسه بسارية بمسجد الهادى حتى يعفو عنه الإمام فأمر الإمام بحل وثاقه وعفا عنه. ثم جهز الإمام عسكرياً إلى الجوف فأسروا الأمير موسى بن المنصور وغيره وسار الإمام نحو صنعاء وجهز أخاه سليمان بن الحسين والأمير محمد بن فليته فى عسكري إلى صعدة فهزموا رتبة الحمزات وأسد الدين ودخلوا صعدة وأدبوا الخائنين.

وفى سنة اثنتين وخمسين وستمائة للهجرة نهض الإمام من حوث إلى بلاد حمير وكان المظفر قد أمد الأمير بن أسد الدين وأحمد بن المنصور بأموال عظيمة لمحاربة الإمام فخرجوا إلى حاشد وأخربا عدة محلات ثم توجهوا إلى البون والظاهر فاخذوا الأبرق وقصد الإمام إلى هجرة بنى قطيل من بلاد حمير، وكان الإمام قد جمع جموعاً وجهزها إلى نقيل الحصبات فغشيهم عسكري الأميرين من جوانب النقيل وقتلوا منهم مقتلة عظيمة من أعيانهم الفقية العلامة حميد الشهيد، وأسروا الشريف أحمد بن يحيى بن حمزة، وكان مع الإمام على أبناء عمه الحمزات. ثم رجع الأميران إلى الظاهر وقد استفحل أمرهما ولكنهما انهزما عن حوث ورجعا إلى صنعاء.

حميد الشهيد

من الشهداء من علماء أصحاب الإمام، استشهد فى رمضان سنة اثنتين وخمسين وستمائة للهجرة الفقيه الإمام شيخ الإسلام حميد الشهيد بن أحمد بن محمد المحلى الهمداني الوادعى الصنعاني عن سبعين سنة من مولده، وكان من أكابر العلماء المفيد المصنفين أخذ عن الإمام عبدالله بن حمزة، والشيخ محمد بن أحمد الوليد

القرشى، والشيخ أحمد بن الحسن الرصاص، والفقيه على بن أحمد الأكوع والشيخ عمران بن الحسين، والشيخ زيد بن أحمد البيهقي الواصل إلى اليمن سنة عشر وستمئة للهجرة وغيرهم. قتله غلام تركى من عماليك أسد الدين فى نقيل الحصبات بقرب وادى عفار. ومن أجل مؤلفاته: (الحدائق الوردية فى مناقب وتراجم الأئمة الزيدية) فى مجلدين ضخمين اشتملا على مقدمة فى بعض ما ورد فى العترة النبوية ثم تراجم مفيدة للإمام على بن أبى طالب والحسين والحسن بن الحسن والإمام زيد بن على وابنه يحيى والإمام محمد بن عبدالله بن الحسن وإخوته إبراهيم ويحيى وإدريس والحسين بن على الفخى والقاسم الرسى وصنوه محمد بن إبراهيم والإمام الهادى بن يحيى بن الحسين وولديه المرتضى محمد والناصر أحمد والناصر الأطروش الحسن والداعى الحسن بن القاسم وابنه محمد والقاسم بن على العيانى وابنه الحسين والمؤيد أحمد بن الحسين الهارونى وصنوه أبى طالب يحيى وأبى هاشم الحسن بن عبدالرحمن وابنه حمزة بن أبى هاشم وأبى الفتح الديلمى والناصر الحسين الهوسمى والهادى على الحقيقى وأبى الرضى الكيسمى وأبى طالب الصغير يحيى بن أحمد الهارونى والإمام أحمد بن سليمان والمنصور عبدالله بن حمزة ثم خاتمة مفيدة فى موضوع الكتاب.

ومن مؤلفات الفقيه حميد الشهيد (محاسن الأزهار فى مناقب إمام الأئمة الأبرار) على بن أبى طالب، وهو شرح قصيدة الإمام عبدالله بن حمزة التى يخاطب بها الملك العباسى ببغداد فى زمنه وأولها:

نشدتك الله بآلائه وبالنبى المصطفى والوصى

وكتاب (العمدة فى أصول الدين) مجلدان وكتاب (النصيحة) فى مجلد، وكتاب (عقيدة آلال)، و(الوسيط)، و(الحسام)، و(الرد على الباطنية). وغير ذلك من الرسائل المفيدة. ولما وصل الإمام شرف الدين يحيى لزيارة قبر الفقيه حميد الشهيد بقرية رحبة بلاد السود قال:

وقفت بمشهد الشهم الشهيد

فتى شاد الهدى وبني المعالي

وظفر بالشهادة يوم حانت

أما حذر الذى أسقى حميداً

لقى من قاتليه بغير جرم

وشابهه ابن ملجم من مراد

وما نقم الخوارج من حميد

ونشر العلم فى يمن وشام

وتعظيم الأئمة من على

أقام قناة مذهبه وجلّى

حميد نجل أحمد الحميد

وأسس سامى الشرف المشيد

منيته فقدس من شهيد

كؤوس الموت من نار الوقود

كما لاقى ابن حيدر من يزيد

وضاهاه قدار من ثمود

سوى الإيمان بالله الحميد

وطمس رسوم إبليس المريد

ونشر علومهم نشر البنود

دجى شبه من الأقوال سود

ونسب الفقيه حميد الشهيد هكذا: حميد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الواحد بن عبدالرزاق بن إبراهيم بن أبى القاسم بن على بن الحسن بن إبراهيم بن محمد بن يزيد بن يعيش المحلى الوادعى الصنعانى الهمدانى، وجميع بيت حميد ينسبون إليه وهم كثيرون فيهم العلماء والرؤساء والفضلاء، وبلغ أن لهم مشجر نسب إذا وصلنا فسيكون فى «مشجر الأنساب» المعد للطبع - إن شاء الله - فى مجلدين.

وقال المؤرخ الطيب بن مخزومة الحضرمى الشافعى فى تاريخه (قلادة البحر فى وفيات أهل العصر) فى ترجمة الفقيه حميد بن أحمد: إنه كان من علماء الزيدية وأفاضلهم، وله التصانيف الحسنة، والرسائل الدقيقة، قتله الحمزات فى حربهم مع الإمام أحمد بن الحسين بالبون، وفى الليلة التى قبل قتله رأى الإمام قائلاً يقول: يقتل الصباح نظير الحسين بن على فقتل الفقيه حميد. انتهى.

وفى مطلع البدور لأبى الرجال أن من كرامات الفقيه حميد الشهيد أنه سمع الأذان بألفاظه من رأسه بعد قطعه، ولقبته نذور واسعة وأموال للتدريس بها والإطعام. وكان من أعظم أنصار الإمام عبد الله بن حمزة ثم الإمام أحمد بن الحسين، وكان من أعيان أهل الطريقة والزهد مع كمال الرياسة والصدارة والرجوع إليه فى مهمات الإسلام. وهو الذى تولى تربية الإمام المهدي وتهذيبه وكان المهدي يعتبره كوالده ويكتب إليه الوالد ولم يتحول عن الزهد إلى وفاته فكان المهدي يعطى الناس العطاءات وهو لا يقبل ولا يريد شيئاً.

نزول أحمد بن المنصور وجماعته إلى المظفر

بعد رجوع الأمير بن أسد الدين وأحمد بن المنصور إلى صنعاء عزم أحمد وأخوه داوود مع حمزات إلى المظفر بزيد فبالغ فى إكرامهم ولكنهم أصيبوا بأمراض مات جماعة منهم الأمير جعفر بن عبدالله بن الحسن بن حمزة وأحمد بن جعفر بن الحسين. وأمر المظفر لأحمد بنيف وأربعين ألف دينار وبالملايس الفاخرة وأقطعه مدينة القحمة، وجهاز معه مائة فارس من الممالك، ومدحه أحمد بقصيدته التى أولها:

لعل الليالى الماضيات تعود وتبدو نجوم الدهر وهى سعود

ورجع إلى الجوف فاستباحه بوقعات عديدة أعظمها وقعة البيضاء بمعين أسفل الخارد وقد خربت.

وثوب الحشيشى على الإمام

فى سنة ثلاث وخمسين وستمائة للهجرة سار الإمام المهدي إلى بلاد الظاهر ثم حوث. وفيها كتب المظفر إلى الملك العباسى ببغداد يشكو ميل الناس إلى الإمام وطاعتهم له فبعث إليه رجلين من الحشيشيين، وهم من جهات خراسان والديلم

عجم، شأنهم المخاطرة بنفوسهم والإقدام على من أمروا بقتله غيلة، ولو هلكوا، فأرسلهما المظفر إلى الإمام في هيئة المصلحين وأغراهما بقتله فوصلا إلى الإمام في ربيع الثاني إلى قرب ثلا فأكرمهما أياماً، ثم دخلا لموادعته وليس عنده إلا الفقيه قاسم بن أحمد الشاكري والفقيه عبدالله البهلولى والشيخ عبد الله الصعدي فقال لهما الإمام: تكلمما حاجتكما فتكلم أحدهما بكلام غير مستقيم وقال: مرادى ألقى إليك حديثاً سراً، ودنا من الإمام فاتهمه الفقيه قاسم الشاكري، فجذب الحشيشى سكيناً من باطن ثيابه وطعن الإمام في كتفه الأيسر حتى دخل السكين قدر إصبع وأراد أن يطعنه ثانية فقبض السكين الفقيه قاسم الشاكري وأوثقه وضغطه إلى الجدر، ثم كان قتل الحشيشى وصاحبه وشفى الإمام بعد نحو شهرين لم يخرج فيهما للجمعة ومن التهاني بسلامته قصيدة منها:

هنيئاً كلما مر الجديد
بما أولاك ذو العرش المجيد
ولا زالت تصاحب كل يوم
معاليك السعادة والسعود
... إلخ.

وقصيدة منها:
ألا تبت يمين فتى ترامت
به من أرض بغداد الأكام
أراد السوء بالإسلام كفراً
وطغياناً فعاجله انتقام

نار بالحجاز بالمدينة المنورة

فى يوم الإثنين مستهل جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة للهجرة وقع صوت يشبه الرعد يومين وزلزلة عظيمة رجفت منها الأرض والحيطان واضطرب المنبر النبوى ساعة بعد ساعة إلى يوم الجمعة خامس جمادى الآخرة، وظهر من الحرة بقرينة نار عظيمة وسالت الجبال ناراً تاكل الأرض أكلاً ويخرج منها مثل النهر الأحمر الأزرق

لها دوى يأخذ الصخور بين يديه وانتهت إلى قرب المدينة ورؤيت من مكة ومن جبال
بصرى مدة ثلاثة أشهر وروى البخارى حديث: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من
الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى». ذكرها النووى والسمنهودى فى «وفاء الوفا
بأخبار دار المصطفى» والقسطلانى وابن أبى شامة والسيوطى فى «حسن المحاضرة»
وابن كثير فى تاريخه وصاحب أنباء الزمن. وفى الفتوحات الإسلامية. وفى ليلة
الجمعة مستهل رمضان سنة أربع وخمسين وستمائة للهجرة احترق المسجد النبوى ابتداءً
من زاويته الغربية الشمالية دخل أحد خدمة المسجد الى خزانة هنالك ومعه نار فعلقت
فى الآلات واتصلت بالسقف بسرعة، ثم دبّت فى السقوف فما كان إلا ساعة حتى
احترقت سقوف المسجد أجمع وسقطت بعض أساطينه وذاب رصاصها.

دخان بحوث وصواعق بالمغرب

وفى سنة أربع وخمسين وستمائة للهجرة يوم الأحد نصف جمادى الآخرة وقع فى
مدينة حوث باليمن دخان غشى الأبصار فأوحش الناس وتغير ضوء الشمس والقمر
حتى كأنهما لا ضوء لهما. ثم وقع من البروق والصواعق ما لم يعرف مثله حتى
هرب الناس وأيقنوا بالهلاك، وكثر ذلك فى جهة مغارب اليمن، ولقد كانت الصاعقة
تخطف روح الواحد من بين الجماعة من غير أثر فى بدنه، وتأخذ السيف من غمده
فتذيبه ويسلم الغمد، وتذيب ما على المرأة، من حلى وتسلم المرأة وتأخذ من فى قعر
البيوت ويسلم من فى أعلاها؛ فسبحان القادر الحكيم.

القحط والموت باليمن

فى سنة خمس وخمسين وستمائة للهجرة ابتداءً القحط والغلاء باليمن، ومات كثير من
الناس جوعاً، وأكلوا الكلاب والحمير، وأكل بعضهم بعضاً، ونضبت المياه، ودارت
رحى الموت من ذمار إلى صعدة والجوف إلى مغارب بلاد حجة وحجور وخولان

الشام ونجران والمشارق والتهائم وما بين ذلك، وبلغ سعر الصاع النبوى من الذرة عشرة دارهم، والشعير أربعة دراهم، وقيمة الرأس البقر خمسمائة درهم، وقيمة الرطل السليط أو السمن ستة دراهم، واستمرت هذه الشدة من رجب سنة خمس وخمسين وستمائة للهجرة الى سنة ثمان وخمسين وستمائة للهجرة فحصد الموت نحو نصف من فى هذه البلدان، فسبحان القادر القاهر بعباده.

إعلان الرصاص مخالفة الإمام

فى سنة خمس وخمسين وستمائة للهجرة اجتمع الشيخ أحمد بن محمد الرصاص الحوثى ومن إليه وطعنوا على الإمام المهدي فى سيرته، وسبب ذلك أن الرصاص خطب ابنة أخ الإمام لابنه إبراهيم بن يحيى فصوبه الإمام، ووقع عقد النكاح بين يدى الإمام بحدّة، وحضره عدة من الأعلام والرؤساء وكأن الرصاص استبطاً تمام ذلك. ومن الأسباب أن الرصاص طلب من الإمام أن يوليه على بلاد الظاهر ويطلق يده فى الولاية عليها فلم يساعده وكان أول خلافه اعتدائه على شريف من ولد العباس بن على كان يتولى قبض معونة جهاد من أهل حوث فهوّل الأمر الرصاص فى العلماء والشيعة، وأمرهم بالاستعداد بالسلاح، وطلب الشريف فضربه بالسيف عدة ضربات فى رأسه ونزع ما عليه من الثياب وأحرقها فخرج الشريف من عند الرصاص على أسوأ حال مضرجاً بدمائه إلى الإمام بيت ردم فشق ذلك على الإمام وكتب إلى العلماء والشيعة أن الرصاص خالف أحكام الكتاب والسنة. فلما علم الرصاص أ برق وأرعد وأوهم أتباعه أنه لا يأمن أن يقصدهم عسكر الإمام على حين غفلة وخرج بهم إلى بطنة بلاد عذر ومنها إلى حصن الظفر بحجور وهنالك أطلق عنان قلمه ولسانه بالانتقاد والاعتراض فكاتبهم الإمام وألان لهم الخطاب فلم يزدهم ذلك إلا بعداً. ثم رجح الإمام إرسال الشريف الحسن بن وهاس لمناظرتهم فخادعوه وناظروه حتى صار من جملتهم. فاستبدله الإمام بآخرين منهم الأمير أحمد بن محمد بن حاتم العباسى فرجع إلى الإمام وحذره بأنه لا مطعم فى رجوعهم. ولما بلغ الأمير

أحمد بن المنصور كتب إليهم وقوى عزائمهم ثم خرج إليهم من صنعاء والتقوا بالبون واجتمعت كلمتهم على حرب الإمام.

استيلاؤهم على حصن الإمام ثم قتله سنة ست وخمسين وستمائة للهجرة

بعد أن رد الإمام على اعتراضاتهم برسالة بليغة هاجموا حصن ذروة معقل الإمام وانتهبوه وهتكوا الحريم، وكتبوا إلى السلطان المظفر يشرونه بذلك فأمدهم بمائة ألف درهم مظفريّة مع الشريف الحسن بن حمزة، والدرهم فضة خالصة مكتوب فيه بظاهره وباطنه: لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، أبو بكر عمر عثمان على رضى الله عنهم، السلطان الملك المظفر شمس الدين يوسف بن الملك المنصور، الإمام المستعصم بالله أمير المؤمنين ضرب بزييد سنة خمسين وستمائة للهجرة فجهز الإمام الأمير أحمد بن محمد العباسي ونهض في جنده من مدع في النصف الأخير من شهر صفر سنة ست وخمسين وستمائة للهجرة وخرج الرصاص وجماعته إلى شوابه فتبع الإمام القوم إلى شوابه، فاعترضته خيل الخمرات ووقع القتال فأحاطت بالإمام عساكر الأشراف الحمزات من كل ناحية وهم ثمانون فارساً وأربعمائة راجل، والإمام في ثلاثمائة فارس وألفى راجل، فانهزم أصحاب الإمام وثبت الإمام وقاتل قتالاً شديداً حتى عقروا فرسه وأصيب بسهم في وجهه فوقع على الأرض وتولى قتله رجال من أهل ظفار واحتزوا رأسه وأدخلوه إلى خيمة الرصاص ودفنوه مع جسده في شوابه في سلح صفر سنة ست وخمسين وستمائة للهجرة ثم نقل إلى مشهده بذيبيّن. عن ثلاث وأربعين سنة وأربعة أشهر من مولده، وعن عشر سنين من دعوته.

وكتب أحمد بن المنصور إلى المظفر يشره بقوله: تجدد السعادة أوجب شكر نعمة الله تعالى. ثم للمقام العالى خلد الله ملكه وتنهى صدورهما من المصاف بشوابه ورأس أحمد بن الحسين بين يدي:

وأبيض ذى تاج أصابت رماحنا
هوى بين أيدي الخيل إذ فتكت به
وقال صارم الدين فى البسامة:
وزلزلت عضد المهدي أحمدا
فخضبت شيبة لابن الحسين دماً
وكلفت حسناً تحسين أقبح ما
وسامت الشيخ بن حوث مهاجرة
دارت رحي حربهم للدين طاحنة
ضحوا بأبيض يستسقى الغمام به
مالوا إلى أحمد عن أحمد وبغوا
بمعترك بين الفوارس اقتما
صدور العوالى تنضح المسك بالدماء
بأحمد ورمته منه بالكبر
وعفرت وجهه الوضاح بالعفر
جرت به من صروف الدهر والغير
بعد الولاء على صاع من الفطر
فليت أن رحاهم تلك لم تدر
قد بايعوه فكانوا أخسر البشر
على الإمام وقالوا جار فى السير

مراثى الإمام

رثاه أدباء عصره منهم مؤلف سيرته السيد يحيى بن القاسم بن حمزة بقصيدة منها:
من لطرف العين من سهره
يالقومى إنه حدث
برزخ فى قعر مظلمة
أين خير الناس من مضر
أحمد المهدي من خلقت
ملك تهمل أنامله
ولرفض بمنهمره
ومصير الناس فى أكره
موحش لا بد من سفره
من صميم العيص مفتخره
هالة الإحسان من قمره
كسجال الدلو فى مطره

ملك بزّ الملوك فما
 حاز فضل السبق يوم جرى
 لم يحل الوصم مئزره
 طالما أحى العلوم وما
 قسماً بالمشعرين وما
 مامشى فوق البسيطة فى
 كسليل القاسمى ومن
 فابكه وأنغم وقل حسناً
 إنما الدينأ أبو دلف
 فإذا ولى أبو دلف

أحد يرقى إلى خطره
 وارتقى للمجد من صغره
 عُمره من مبتدا عُمره
 عبدالرحمن فى سحره
 فى تلاع الخيف من جمره
 بدؤ هذا الخلق أو حضره
 ختم المعروف فى يسره
 كفريد الدر من درره
 بين ياديه محتضره
 ولت الدنيا على أثره

ورثاه القاسم ابن هتيمل بقصيدة طويلة منها:

أقسمت أحلف صادقاً وأنا الذى
 إن الشجاعة والسماحة والندى
 حيث الإمام بن الحسين مخيم
 حيث ابن فاطمة الإمام مضمخ
 ذاك الذى أحى شريعة جده
 ونفى الضلالة والجهالة وانثنى
 فبغت عليه أمة ضليلة
 ما كان يوم شوابة فى عصرنا

ما قط أحلف آثماً يمينى
 حلت بقبر فى ربى ذيين
 ياحبذا من طاهر وأمين
 بدم الشهادة ثاوياً فى الطين
 بحسامة وأذل كل قرين
 لجهاد أهل البغى والتبطين
 ظلماً بغير دلالة ويقين
 إلا كيوم الطف أو صفين

دعوة ابن هاس وموت ثلاثتهم

كان الرصاص وجماعته قد استمالوا الحسن بن وهاس بن أبي هاشم بن محمد بن الحسن بن قاسم بن حسين بن حمزة بن أبي هاشم. وفي اليوم الثالث من قتل الإمام بايعوا له مع الحمزات، فسار إلى صعدة وخوّل الحمزات نصف البلاد، وكره الناس ابن وهاس ثم سجنه داوود بن المنصور عشر سنين بظفار، وخلع نفسه سنة ثمان وستين وستمئة للهجرة ومات بصعدة سنة ثلاث وثمانين وستمئة للهجرة. وأما أحمد بن المنصور فمات بعد المهدي بسبعين يوماً، وكان قد قام بأمر بلادهم من سنة أربع وعشرين وستمئة للهجرة وبعد دعوة المهدي سنة ست وأربعين وستمئة للهجرة بايعه وامتدحه بقصائد منها قصيدة أولها:

أضاء على الإسلام نورك وانجلي ..
بوجهك ليل الهم وابتسم الدهر
وقد علمت آل النبي محمد ..
بأنك أنت الفلك لما طغى البحر
وأنت لا وان ولا أنت طائش ..
ولا مضمر سرا لحقود ولا وعر
... إلخ.

وبعد موته قام بأمر بلادهم صنوه موسى بن المنصور فلم يلبث أن مات، ثم مات أخوهما الحسن وجماعة من بنى وهاس. وبعد ستة أشهر من قتل الإمام مات الرصاص، وكان من أكبر أعوان الإمام، ثم كان منه ما ليس في الحسبان.

الحسن بن بدر الدين

مولده ٥٩٦هـ دعوته ٦٥٧هـ وفاته ٦٧٠هـ

هو الإمام المنصور الحسن بن بدر الدين محمد بن أحمد بن يحيى بن يحيى بن الناصر بن الحسن بن عبد الله بن محمد بن القاسم بن أحمد الناصر بن الإمام الهادي يحيى. نشأ بوطنة هجرة رغافة، وأخذ عن المنصور عبد الله بن حمزة، وعن الشيخ

على بن يحيى عطية، وعن أخيه الحسين بن بدر الدين وعن غيرهم . وكان من أكابر علماء العترة علماً ورجاحةً وكمالاً . ومن مؤلفاته (أنوار اليقين فى فضائل أمير المؤمنين) علي وهو شرح على أرجوزة له طويلة، وفيه جملة من مسائل أصول الدين، وفوائد جمّة، وذكر فيه الأئمة إلى زمن، وأول أرجوزته:

الحمد للمهيمن القهار . . . مكور الليل على النهار

ومنشى السحاب والامطار مع جميع النعم الغرار

ثم صلاة الله خصت أحمدا أبا البتول وأخاه السيدا

وفاطما وابنيهما سم العدى وآلهم سفن النجاة والهدى

حتى قال فى آخرها:

فهذه أرجوزة الأنوار كأنها غزالة النهار

قد فصلت بالآى والآثار وعقد اجماع بنى المختار

فأى ريب بعد هذا يوجد لا ريب لولا البغض ثم الحسد

والانبياء قبلنا قد حسدوا وأى نقص وأبونا أحمد

صلى عليه منشىء السحاب من مرسل مكرم الأنساب

والد الشم ذوى الأحساب ينابيع الحكمة والصواب

وكانت دعوته فى الخامس والعشرين من شوال سنة سبع وخمسين وستمائة للهجرة بهجرة رغافة . ومن أجل من تابعه القاضى عبدالله بن زيد العنسى والقاضى محمد بن معرف، وبث دعوته فى البلدان وهو من محرزى الشروط فى الإمام، وأجابه أهل المغرب وجبالها وسار إلى المصانع ووصل إليه بعض علماء جهتها، ثم رجع إلى جهات صعدة ومن جواب له قوله: وقد علم الناس أنا بعد نشر دعوتنا لم نبن البيوت ولم نؤثر السكوت، بل صدعنا بالحق ودعونا الناس إلى الصدق، وفارقنا الأهل

والأولاد والأحباب وخرجنا إلى الثغور لسدها، وتقدمنا على الفور إلى تهامة ثم عدنا إلى المراكز بنواحي صعدة، ونهضنا إلى جهات المغرب ثم إلى عفار، ومما عابه الناس علينا كثرة الرفق والرأفة بالخلق ونحن نعلمكم أنا قاثمون بمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الله تعالى فيه: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ إلى آخر رسالته بالألألى المضيئة.

ومن شعره:

إن الأمور إذا اشتدت مواقعها
فإن شدتها تُدنى إلى الفرج
أما نظرت إلى ما قيل من حكم
من النبوة شدى أزمُ تنفرجى
وكل من سدت الدنيا مذهبها
فما عليه إذا ما غم من حرج
لكنها حكم يقضى الحكيم بها
فاصبر عليها ولوسالت على المهج
إن الشدائد ما مرت على رجل
إلا وكانت له في الدهر كالسرج
وفى البسامة:

ولم تمد بإحسان إلى حسن
كفا وقد رام منها كف كل جرى
واستمر على دعوته إلى وفاته بهجرة رغامة فى محرم سنة سبعين وستمائة للهجرة.

مخالفة أسد الدين على المظفر ثم سجنه

فى محرم سنة ثمان وخمسين وستمائة للهجرة طلع المظفر إلى صنعاء وولاهها على بن يحيى العنسى وعاد تعز، ثم شن أسد الدين الغارات على صنعاء فجهز المظفر لمطارده سنجر الشعبى ففر ومازال يتردد من ظفار إلى ظفر وقد تنكرت له الأيام حتى باع ثيابه فكتب إلى المظفر:

فإن كنت مأكولاً فكن خير أكل
وإلا فأدركنى ولما أمزق

فأمر المظفر عامله العنسى أن يؤمنه ويصل معه إلى تعز ولما بلغ أحمد بن محمد حاتم العباسي كتب إلى أسد الدين يحذره ويذكره فعل المظفر بابنه وأبيه وعمه:

تأن ولا تعجل فقد مدح الوري
فتى ذا آناة ثم ذم عجول
أتامن أضغان المظفر وهو لا
يقيل ولكن بالحسام يصول
ألم تر فى موسى سليلك فعله
على ذمة والعفو منه قليل
وأن ببدر الدين أعظم أسوة
وبالفخر من غالته قبلك غول
أعد نظراً يا ابن الرسول فرما
يوافيك من نصر الإله رسول
ولا تلقِ يا ابن الصيد نفسك فى الردى
وفى الأرض ذات الطول حيث تجول
فإنك قد جربت يوسف قبل ذا
مراراً بها فيمن يحب يصول
وجربته فى كل عهد وذمة
حديثك فيها للأنام يطول

فلم يرعو أسد الدين إلى هذا النصيح. ولما وصل إلى المظفر بكى من حبس المظفر لأبيه وعمه وولده وأسر إليه العنسى لعلك بالقرب منهم انفع لهم ولعلنا ننتهز فرصة فنفعل كذا وكذا فبلغ المطهر فسجنهما مع الأولين إلى أن قضى كل واحد منهم نحبه فى السجن وأرسل المظفر لولاية صنعاء الطواشى نظام الدين ثم غيره. وفى سنة تسع وخمسين وستمائة للهجرة تسلم المظفر حصن عضدان جنوب غرب صنعاء وحصن براش من أحمد بن محمد العباسي وعوضه حصن المصنعة وعزان ببلاد حمير علاوة على ما أعطاه من مال.

وفى رمضان سنة تسع وخمسين وستمائة للهجرة وصل سنجر الشعبى عاملاً للمظفر على صنعاء.

يحيى بن محمد السراجي

دعوته ٦٥٩هـ أسره ٦٦٠هـ وفاته ٦٩٦هـ

الإمام يحيى بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن الحسن سراج الدين بن محمد بن عبد الله بن الحسين بن علي بن محمد بن جعفر بن عبد الرحمن بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب السراجي نسبة إلى جده سراج الدين لقب به لجمال وجهه. أخذ بتهامة عن الفقيه الشهير أحمد بن موسى عجيل صاحب بيت الفقيه وعن أبي بكر بن عيسى اليعرقى الزبيدي الحنفي ابن حنكاش. وعن أحمد بن محمد الشاوري وسليمان بن أحمد المالهماني وغيرهم من علماء اليمن والحجاز وبرع في فنون العلم، وتبحر في الحديث وحفظ غيباً نحو ستين ألف حديث عن عبد الله بن يحيى بن المهدي وغيره. ومن روى عنه ابن أخته الإمام يحيى بن حمزة.

دعا بعد استشهاد الإمام أحمد بن الحسين ببلاد مسور المتاب وأجابه الجموع من الناس وحاربه سنجر الشعبي عامل المظفر. ثم سار إلى بني فاهم بحصن يناع حضور فغدروا به.

وترجمه المؤرخ الجندی الشافعي فقال: كان هذا الإمام السراجي إماماً كبيراً أخذ الناس العلم عنه ودعا إلى الإمامة ونزل مع قوم بني فاهم بيناع وأطبق معهم على إجابته خلق كثير من الناس فبذل الشعبي أمير صنعاء مالاً جزيلاً لبني فاهم فقبضوه وسلموه إليه فكحله وأعماه وحبسه فأنزل الله بالذين غدروا به الجذام حتى كان الواحد منهم يعزل في كهف لئلا يجذم الصحابة فلم يشعروا حتى يجذم آخرون منهم ثم يجيئوا جيفة عظيمة بحيث لا يستطيع أحد أن يقربهم لنتن روائحهم حتى هلكوا، وما زال الباقي منهم على ضر من قتل بعضهم بعضاً في كل وقت إلى وقتنا. انتهى كلام الجندی. وكان كحله سنة ستين وستمائة للهجرة وبقي يدرس العلوم من حفظه إلى وفاته سنة ست وتسعين وستمائة للهجرة وقبر في حمى مسجد الوشلي بصنعاء.

وللسراجى والشعبى سنجرها قضية خطها الكتاب فى الزُّبر

وذكر المؤرخ الخزرجى فى (طراز أعلام الزمن) أن سنجر الشعبى لم يشعر وهو فى قصره بصنعاء سنة اثنتين وثمانين وستمئة للهجرة إلا بدخول غبار عليه من شبائك مكانه ثم انتشر التراب والغبار من السقف وانحطم السقف الذى تحته قبل الأعلى فحفروا فوجدوا سنجر ميتاً، ومات معه صهره محمد بن بدر الدين وأبو بكر بن عمار وعلى بن حاتم ومن كان لسنجر. ولم يخرج حياً من الهدم إلا الشيخ محمد بن حاتم مصنف كتاب (العقد الثمين) والقاضى عمر بن سعيد فقط. انتهى.

وفى تحفة المسترشدين:

ثم الإمام الحافظ السراجى إمام حق واضح المنهاج

كان إماماً حافظاً للسنة ستين ألفاً سنداً ومته

دعوته فى مسور المتاب فى تاسع الخمسين فى صحاب

وقيل بل فى السبع والخمسين وعام (٦٦٠) ستر أسره يقيناً

وسملوا عينيه بالشرار فعوجلوا بالأخذ والدمار

وبعده فى سادس التسعين فى وشلى صنعا غدا دفينا

ومن شعره فى رثاء الأخوين بدر الدين محمد بن وهاس بن أبى هاشم، وعلم الدين على بن وهاس وكانا قد قتلا بنجران مع أولاد المنصور عبدالله:

مصاب همّت بالحادثات غمائمهم وخطب جرت بالمعضلات عظامهم

ورزء أصاب المسلمين بأسرهم وهدت من المجد الأثيل دعائمهم

بصنوين من آل النبى وحيدر نوالهما قد طبق الأرض ساجمه

فهذا على العافين فاضت مكارمه

فقل للمنايا بعد قتل محمد

أصيب العلى والجود والعلم والتقى

فإن يك بدر الدين أصبح ثاوياً

تولى من الدنيا خميصاً وظهراً

وكان بعين المقت ينظر نحوها

مضى وهو محمود الطريقة سيد

وقائلة عاد الرجال ولم يعد

وأقبل أهلوه وألفوه بعدهم

وأمسى طريحاً فى بلاد بعيدة

فقلت لها إن المنايا شواخص

أبى الله إلا أن يموت بغربة

تظل سيوف الملحين تنوشه

وفتك ذوى الإلحاد فيه وبغيهم

وقد فاز إذ أعطى مقادة نفسه

انتهى .

وهذا لخصم فى الجدل يقاومه

وهلك على أنفذ الحكم حاكمه

وأصبح ركن المجد وهناً عزائمه

فما دفنت أفعاله ومكارمه

خفيف ولم تكتب عليه مآثمه

ويزرى بمن يدلى بها ويصارمه

وقد أمنت أحقاده وسخائمه

على ولم يقدم ببشراه خادمه

وأفراسه يندينه وصوارمه

وحيداً ولم تجمع عليه مآثمه

إلى كل حى عن قريب تصادمه

شهيداً بسيف الكفر تدمى قسائمه

وراحته ترس لهم وبراجمه

دليل على أن المهيمن راحمه

ومهجته فليتنق الله لائمه

شراء المظفر للحصون

فى سنة إحدى وستين وستمائة للهجرة اشترى المظفر حصن الجاهلى بحجة من الشريف أحمد بن قاسم القاسمى من أقارب المهدي أحمد بن الحسين . وفيها سار

سنجر الشعبى لحصار ذى مرمر ومن فيه من بنى حاتم، فأحاطت عساكره بجميع جوانب الحصن، وبذل المظفر لبنى حاتم فيه مائة ألف دينار وحصون براش وفده ووادى ضهر فلم يسعدوا، فأقام الحصار إلى سنة ثلاث وستين وستمائة للهجرة ونزلت الأمراض بأهله حتى هلك أكثرهم فطلب بقيتهم خروجهم فأعطاهم ستة وعشرين ألفاً وأبقى لهم حصن فده وفيها خالف أهل بيت أنعم على سنجر فخرج لحربهم، وكتب بنو حاتم إلى سنجر أن يكف عن حربهم فلم يجبه فأظهروا الخلاف. وفى سنة اثنتين وستين وستمائة للهجرة تسلم المظفر من الحصون الحميرية حصن مدع من بنى وهيب وعوضهم منه حصن بيت أنعم ومالاً اشترطوه، وفيها سار سنجر إلى براقش فاستولى عليها.

الأمير الحسين بن محمد

فى سنة اثنتين وستين وستمائة للهجرة توفى بهجرة رغبة الأمير الإمام الحافظ الكبير المحدث الحسين بن محمد بن أحمد بن يحيى بن يحيى صاحب الشفا عن ثمانين سنة من مولده سنة اثنتين وثمانين وستمائة للهجرة مؤلف الشفاء أربعة أجزاء فى مجلدين، ولم يكمله وله تتمتان يسيرتان لغيره بعده، وفيه تقرير لمذهب الهادى بالأدلة وقد خرج أحاديثه القاضى عبد العزيز بن محمد الضهرى بالقرن الحادى عشر وحرر عليه حاشية «وبل الغمام» القاضى محمد الشوكانى. ومن مؤلفاته «التقرير شرح التحرير» فى أربعة مجلدات فى الفقه والإرشاد إلى سوى الاعتقاد وينايع النصيحة فى العقائد الصحيحة والعقد الثمين فى معرفة رب العالمين ودرر الأقوال النبوية. وثمرة الأفكار فى حكم الكفار. والرسالة المنقحة بالبراهين الموضحة، والضياء البادى والمدخل والذريعة وغيرها.

تسلم المظفر لحصون

فى سنة ثلاث وستين وستمائة للهجرة تسلم المظفر حصن ذى مرمر وحصن الفص الكبير وبراش وبراقش وعزان والمصنعة واللجام وذيفان والقفل وبيت دردم وثمان.

ابن حنكاش الزبيدى

فى ربيع الثانى سنة أربع وستين وستمائة للهجرة توفى عن أربع وسبعين سنة من مولده الشيخ العلامة المحقق أبو بكر بن عيسى بن عثمان اليعرمى الحنفى الزبيدى المعروف بابن حنكاش، وكان عالماً كبيراً ومدرساً على مذهب الشافعية والحنفية وغيرها، وفى الحديث وغيره وقد قصده إلى زبيد الإمام يحيى بن محمد السراجى وأخذ عنه. وله أتباع وأصحاب واليعرمى نسبة إلى اليعارم بطن من الأشاعر.

قتل الأمير يكتم

فى سنة خمس وستين وستمائة للهجرة قتل فى الجوف الأمير يكتم الغلاب، وكان المظفر قد أمره بعمارة الزاهر وأرسل معه مائة فارس وخمسمائة راجل، فقصدته الحمزات فقتلوه وجماعة من أصحابه، وانحاز بقيتهم فى براقش وخرج سنجر إلى بلاد الظاهر. وطلعت الجنود من لدن المظفر من تعز إلى بلاد حجة ووقعت حروب عظيمة هنالك، ثم أرسل المظفر ولده الأشرف عمر بن يوسف على رأس قوة عظيمة إلى حجة فاستولى على حصن مبين والموقر وقراضة وكحلان وغيرها.

عطية النجرانى

فى جمادى الآخرة سنة خمس وستين وستمائة للهجرة توفى بصعدة من مفاخر علماء الزيدية ومفتيهم إمام المفرعين ورأس المذاكرين الشيخ عطية بن محبى الدين محمد بن

أحمد بن عبد الله بن أحمد بن الربيع بن علي بن الربيع بن عبيد الله بن عبد الله بن يزيد بن الأشد بن الحارث الأصغر بن مالك ملاعب الأسنة بن ربيعة بن كعب بن الحارث الأكبر بن كعب بن عمرو بن علي بن خالد بن مذحج . ويشاركهم في نسبهم المنيف آل أبي الحسين القضاة بخبان وبأضرعة عنس وبنو القفر وبنوكحيل بدمار وبنو عز الدين وبنو السمان النجراني الصعدي عن اثنتين وستين سنة من مولده، ومن أنفع مؤلفاته (البيان الكاشف عن معاني القرآن) في سبعة مجلدات، وكتاب المذاكرة وغيرهما، وترجمه ووالده صاحب مطلع البدور وصاحب المستطاب ولأهل بيته عدة مصنفات .

أحمد بن علوان

وفي رجب سنة خمس وستين وستمائة للهجرة توفى بقرية يفرس الشيخ الصوفي الشهير أحمد بن علوان ترجمه الخزرجي في العقود اللؤلؤية والشيخ أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي الزبيدي الحنفى في طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص فقال أبو العباس أحمد بن علوان الصوفي الشيخ الكبير المشهور: كان والده يخدم الملوك فنشأ على طريقته من الاشتغال بالكتابة، وقرأ في النحو واللغة وغير ذلك، ثم قصد باب السلطان ليخدم مكان والده وذكر قصة أشبه بالأساطير عن وقوع طائر عليه حتى قال ثم ألقى الله له المحبة والقبول في قلوب العالم، وتبعه خلق كثير من الناس، وظهرت كراماته وتواترت مكاشفاته، وله في التصوف فصول كثيرة يتكلم فيها على لغات شتى ومن كلامه: العلم دعوى والعالم مدع والعمل شاهد؛ فمن ثبتت بينة دعواه صحت للمسلمين فتواه . وله ديوان شعر في أيدي الناس، غالبه في التصوف منه :

جزت الصفوف إلى الحروف إلى الهجا
حتى انتهت مراتب الإبداع
لا باسم ليلي استعين على السرى
كلا ولا لبنى تقل شراعى

وقبره فى يفرس معروف مقصود للزيارة من الأماكن البعيدة لا سيما فى آخر جمعة من رجب فإن أهل بلاد تعز وغيرهم يقصدونه ويخرجون بالنساء والأولاد... إلى آخر كلام الشرجى. لابن علوان نصيحة للسلطان عمر الرسولى منها:

يا ثالث العمرين افعل كفعلهما
وليتفق فيه منك السر والعلن
واستبق ملكاً يقول الناظرون له
نعم المليك ونعم البلدة اليمنى
عار عليك قصورات مشيدة
وللرعية دور كلها دمن

وكان قد عمر على قبره قبة عالية وبنائات وزخارف فخمة السلطان عامر بن عبد الوهاب الطاهرى وغيره من جهلة الملوك الذين هدموا القرى والمدن وشادوا الأضرحة والقباب وقد دام الافتتان بقبره القرون العديدة حتى أمر ولى العهد أحمد بن الإمام يحيى فى نحو سنة ثلاث وستين وثلاثمائة وألف للهجرة بهدم تلك الأضرحة والأقفاص وما عليها من سبج وتعاويد وأعلام ورماح وخناجر ودرق مما كان يضعه المشعوذون لاصطياد ضعفاء العقول، وزال بذلك اعتقاد الجهلاء الذين كانوا يظنون ارتياح الشيخ بما يصنعون. كما أمر ولى العهد بإصلاح الجامع بيفرس وفتح أبوابه للمصلين بدلاً عن الزاوية التى كان يأوى إليها المجاذيب والمخبلون وغيرهم من أهل الخرافات التى أضلت المسلمين، ونقل ولى العهد عظام ابن علون وتراب لحده إلى مقبرة مجهولة دفن بها لثلا يضلوا به مرة أخرى، ومدحه الشعراء على فعله ومنهم القاضى يحيى بن محمد الإريانى والسيد محمد بن يحيى الذارى والقاضى محمد بن محمود الزبيرى والسيد زيد الموشكى، وقد أنشد الزبيرى قصيدته أمام ولى العهد فى ميدان تعز فى حفل كبير وهى:

كذلك المجد إما رافعا علما
أو باعثاً أما اوهادما صنما
يا من يجدد من آثار والده
المختار ما لو رأى المختار لابتسما
بنيت ما كان بينه لأمته
كما هدمت لها بالسيف ما هدمما

قد اقتلعت قباب الشرك متخذاً
 حطمت قبراً عظيم الشأن جانبه
 جرح على كبد الإسلام متسع
 كاد ابن علوان إذ بردت مضجعه
 يشكو إليه أناساً أحدثوا بدعاً
 عرش الخلافة يأبى أن يجاوره
 هذا يفيض على الدنيا أشعته
 خزي على مسرح التاريخ يحسبه الجهال مجداً بعين الله محترماً
 يرنو إليه الملوك السابقون فما
 كأنيهم قط إلا شاهدوا الحرماً
 خديعة للجماهير التي زعمت
 بأن من دينها أن تعبد الوهما
 من كان يملك حد السيف في يده
 فكيف لا يعلن الحق الذي علماً
 فذرهم يا ولي العهد في نفق التاريخ واذهب إلى آفاقه قدماً
 ودع ضميرك يهفو نحو غايته
 إن الضمائر تدنى غاية العظما
 يا ناصر الدين قد أنقذت ملته
 من معضل طالما قد أعجز القدماء
 كم كابدوا كل مكروه فما فطنوا
 ولا اشتكوا منه لا همّاً ولا سقماً
 وقدسوا جيفة في القبر متنته
 حتى إذا ما تلاشت قدسوا الرما
 وآلهوا منه ميتاً كان قد ألفتة الدود من طول ما عانت به التُّحماً
 وهان عندى عبّاد النجوم به
 وكدت أعذر قوماً آلهوا الصنما
 سيف الإله فما أكدى ولا اثلما
 بقية من بقايا الشرك حطمها

ساد الضلال وأعمتهم غشاوته

وما دروا أن فى تلك العيون عمى

مرّت قرون طوال فى جهالتهم

فلم يغير لهم طول المدى حلماً

وفى الجماهير طبع لا يقوم له المؤدبون ولا يأسو له الحكماء

لا يفهمون لغير الجيش مزدحماً

والحرب محتدماً والموت مصطلماً

السيف يعطيهم الرشد الذى فقدوا

ويقتنى لهم العقل الذى عُدماً

بموت عائلهم بالفقر وهو يرى التابوت بنكاً لمال الشعب ملتهم

يقول فى الليل باباهوت متخذاً

له ملاذاً ومعبوداً ومعتصماً

ويستعين به فى عثرة عرضت

فى السير أو شوكة أدمت له قدماً

ويتقيه إذا ما جاء ساحره

بأمره ينهب الأموال مغتنماً

إن لم يكن ذاك إشراك بخالقه

فأى شئ ترون الشرك يا علماً

قالوا له كتب فى القبر يكتبها

ينهى ويأمر أنى شاء محتكماً

يا ليت شعرى أسحر ذاك يزعمه

أم أنه يخلق القرطاس والقلم

أم أنها أمة ضلت وضل بها

ملوكها حينما ألقوا لها السلما

حتى تمخضت الدنيا بواحدھا

وأنجبته زعيماً يفضح الزعما

فجاء قلباً إلى الإصلاح متجها

لا يشتكى تعباً منه ولا سأم

يرى ويسمع ما يجرى وليس له

عين تنام إذا ما طارق دهما

ما واجهته الليالى فى حوادثها

إلاً رأت فى حنايا صدره هرما

يستقبل الهول فى نفس قد التحمت

أعصابها بجيوش الدهر فانهزما

ويستجن بقلب لو تصارعه

مناكب الأرض ما استخذى ولا وجما

يلقى الخطوب ويصلى من حرارتها
ونحن فى ظله نستبرد النعما
إن الزعامة روح الشعب تشعره
بدائه وتحس الضر والألما
والشعب من دون سلطان يدبره
ميت تبعثر فى أكفانه ربما
صاغ الإله لنا ملكاً يلاحظنا
بناظر يسع الأقطار والألما
أما محيًّا كثغر العيد مبتسماً
أوصارماً كلسان النار مضطرباً
سطا على ظلم الإلحاد فانصدعت
وأشرق الدين والتوحيد وابتسما
وقلت فى تمة البسامة عند ذكر ولى العهد:

وهذا ما عمرت فى يفرس وحمى
بيت الفقيه على الأجداث والحفر
من المباني التى كانت زخارفها
ذكرى يسوع ونسر دائم العصر

ومن خط السيد عثمان بن على الوزير أن نسب ابن علوان هكذا: أحمد بن علوان بن عطف بن يوسف بن مطاعن بن عبد الكريم بن عبد الأكرم بن حسن بن إبراهيم بن سليمان بن على بن عبد الله بن محمد بن عيسى بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبى طالب.

وفى ترجمة السيد على بن محمد بن عبد الله العباسى العلوى بكتاب مطلع البدور لأبى الرجال أن أهل حيفة ثلثا من ذرية العباس بن على بن أبى طالب، وأنه يقال أن الشيخ أحمد بن علوان المشهور منهم والله أعلم.

حروب صعدة وقتل حمزة بن الحسن

فى سنة ست وستين وستمائة للهجرة سار سنجر فى خمسمائة فارس وثلاثة آلاف راجل إلى صعدة فجمع الأمير داوود بن المنصور الحمزات وعسكراً عظيماً وثبتو للشعبى فى رأس نقيل العجلة فوصل سنجر الشعبى إلى وادى مذاب تحت النقييل،

وترك في محطته أميراً في مائة فارس وألف راجل وسار بباقي عسكره عن طريق أخرى فلم يشعر الحمزات إلا وقد خالطهم سنجر بعساكره وكان أول قتيل من الحمزات الأمير حمزة بن الحسن بن حمزة وهو فارس بنى حمزة، فأنكشف عسكرهم بعد معركة عظيمة، والتجأ الأمير داوود إلى براش صعدة وسار سنجر إلى صعدة ورأس حمزة بين يديه، فاستولى عليها وأخرب عدة بيوت، ثم خرج إلى مخاليفها وانتهب ما وجده بها ورجع صعدة مدة ثم عاد صنعاء وبعد سنة تسلم المظفر حصن براش صعدة من الأمير محمد بن أحمد بن المنصور.

انهزام سنجر عن ثلا

في سنة سبع وستين وستمائة للهجرة خرج سنجر من صنعاء لمحاصرة ثلا فاستولى على المدينة وأقام الحصار على الحصن فضاق الخناق بالمحصورين وفزعوا إلى الله فوصل جماعة من مشايخ البلاد إلى سنجر فأغلظ لهم القول وقال: والله ما ارتقب إلا أخذ هذا الحصن ثم اتفرغ للعرب حتى أطأهم. فانتشر كلامه وأنكره العرب وأخذتهم الحمية فرجعوا مغاضبين وأمر بقية عسكره أن يزحفوا على الحصن فتوهموا أنه يريد الفرار ففشلوا وتولوا هارين، ولما رأى من في الحصن أن خيامهم تقوض وجمالهم تشد هبطوا من الحصن وكان أقرب القوم في عسكر سنجر قوم من ذمار فقتلوا منهم جماعة ونهبوا ما وجدوه من محطة سنجر وكفاهم الله شره وانهزم إلى صنعاء.

وفي خلال ذلك حاصر جند للمظفر حصن تلمص بصعدة، وسار الشريف علي بن عبد الله الحمزي من ظفار إلى حصنه الميفاع وجمع الجنود وقصد جند المظفر المحاصرين لتلمص حتى انهزموا إلى فللة واستجاروا بأهلها وبخولان فاجاروهم وسيروهم عن طريق تهامة، واستجار الأمير موسى الرسولي بقوم من نجران فعلم به الحمزات فطلبوه وقتلوه، ثم ساروا إلى العبدة بثلا فاخرجوا منها من بقى من عسكر سنجر.

عبدالله بن زيد العنسى

وفى شعبان سنة سبع وستين وستمائة للهجرة توفى بحصن كحلان تاج الدين القاضى العلامة الشهير عبد الله بن زيد بن أحمد بن أبى الخير العنسى المذحجى الزيدى صاحب المؤلفات العديدة النافعة منها: «الإرشاد إلى نجاة العباد» و«اللفظة البديعة» و«المحجج البيضاء» أربعة أجزاء و«السراج الوهاج» و«الشهاب الثاقب» و«التحرير» فى أصول الفقه. ويحكى أن مؤلفاته مائة كتاب وخمسة كتب، وكان جيد العبادة حسن السبك، وكان من أعظم المناصرين للإمام أحمد بن الحسين وبعثه إلى بلاد صعدة سنة أربع وخمسين وستمائة للهجرة مهيمناً على عماله بها وبنجران، وأمرهم أن يقفوا على راية فظهر حميد سعيه، وحاول الإصلاح بين الإمام والرصاص وجماعته وكتب إلى المخالفين رسالة بليغة وبعد قتل الإمام احتج عليهم فتهدده أحمد بن المنصور ولم يتمكن من قتله لظهور شيعته، ثم أقام بفللة ونشر العلم هناك، واجتمع بزييد بعالمها ابن حنكاش وتذاكرا. وروى الهادى بن إبراهيم الوزير أن القاضى عبد الله بن زيد كان فى مقام التدريس بكحلان صحيحاً فاستدعى بدواة وقرطاس وكتب وصيته وفى آخرها كتب الحديث القدسى: «إنه من لم يرض بقضائى ويصبر على بلائى فليتخذ رباً سواى» وسقط القلم من يده ومات. وقبره بكحلان قبلى البركة التى تسمى رحبة.

إبراهيم بن تاج الدين

دعوته ٦٧٠هـ أسره ٦٧٤هـ وفاته ٦٨٣هـ

الإمام المهدي إبراهيم بن تاج الدين بن أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى بن يحيى بن الناصر بن الحسن بن عبد الله بن محمد بن القاسم بن الناصر أحمد بن الإمام الهادى يحيى، أخذ عن القاضى محمد بن أحمد بن أبى الرجال وغيره وبرع فى العلوم ودعا فى أول يوم من ذى الحجة سنة سبعين وستمائة للهجرة من حصن ظفار

الظاهر فبايعه العلماء، وسار إلى رحبة صنعاء، ثم حُضور فأجابه أهلها وقبائل عنس وما إليها.

وفى سنة إحدى وسبعين وستمائة للهجرة أرسل الإمام الشريف على بن عبد الله الحمزى إلى بلاد حضور فى سبعة رجال فأجابوه، وما صلى الجمعة إلا بسبعة آلاف رجل، وفيها خالف الحمزات على المظفر، وكان قد أقطعهم جهران، فساروا عن أمر الإمام إلى ذمار فدخلوها ونهض الإمام والأمير داوود بن المنصور والجند إلى حدة فخرج من صنعاء سنجر وكانت معركة فى قاع الباهم وانتقل الإمام إلى بيت حنبص ووصل المظفر إلى صنعاء بجنود كثيرة وخيم فى الميدان عند مسجد السيدة بنت أحمد الصليحي على شاطئ غيل البرمكى. ولعله قد خرب هذا المسجد فهو غير معروف الآن.

وفى سنة اثنتين وسبعين وستمائة للهجرة بعث المظفر عسكرياً إلى بيت حنبص ورجع الإمام إلى حدة فخرج المظفر فأخربها وسنّاع خراباً مجحفاً وقطع أشجارها وأمر بعمارة ظفار - قرن عتتر - فوق بيت سبطان. قال الخزرجي: ومن الأشجار التى قطعها المظفر شجرة لوز ووجد تحتها لوح من رخام مكتوب فيه: (غرس سنة أربعين للهجرة) ثم رجع المظفر إلى تعز وسار سنجر إلى براقش الجوف فتسلمها من الحسام بن فضل ووقع الصلح بين المظفر وبين الإمام والحمزات.

وفى سنة ثلاث وسبعين وستمائة للهجرة وقع قحط عظيم باليمن ومات كثيرون وفيها وثب الحواليون على كوكبان فتملكوه.

دخول الإمام صنعاء

وفى سنة أربع وسبعين وستمائة للهجرة سار سنجر من صنعاء إلى ذمار واستخلف على صنعاء ابن الغلاب ومعه المماليك الأسدية فقتل أحدهم مع سنجر فقاموا وقعدوا وكانوا قد أثروا واستطالوا فقبضوا على ابن الغلاب واستدعوا الإمام إلى صنعاء

فأرسل الشريف على بن عبد الله الحمزى فى سبعة آلاف ثم نهض بعده الإمام والأمير داود وبقية الأشراف إلى صنعاء فدخلها، وركب لصلاة الجمعة بجامعها.

اسر الإمام بأفق جهران

ثم خرج الإمام من صنعاء نحو بلاد ذمار، ووصل إلى قرية أفق جهران غربى ذمار وقد نهض المظفر من تعز بقوة كبيرة إلى ذمار، وأقبلت العساكر المظفرية مع سنجر فالتجأ الأمير داود إلى أكمة وألزم الإمام بالتوقف فى الحصن وكافح داود وجماعته عن نفوسهم ولم يخلصوا إلا بشدة وتفرقوا فى الأودية والشعاب وأحاطت الجنود المظفرية بالإمام وقتلوا طائفة ممن بقى معه منهم وزيره أحمد بن محمد بن حاتم وإسماعيل بن عبد الله بن أبى النجم، واستمر القتال حتى تم أسر الإمام وجماعة معه يوم الجمعة نصف جمادى الأولى سنة أربع وسبعين وستمائة للهجرة وساروا به إلى المظفر بدمار فهناك بالسلامة، وهنا الإمام المظفر بالظفر، ثم أركبه المظفر على بغلة محترماً مسائراً له فى الطريق إلى تعز ودام بها فى الاعتقال تسعة أعوام حتى مات بها فى صفر سنة ثلاث وثمانين وستمائة للهجرة وقبره بها مشهور مزور، وهو أول مقبور بمقبرة الأجيناد التى وقفتها زوجته بنت الملك المظفر.

وذكر المؤرخ الجندى الشافعى فى ترجمته للفقير الزاهد أبى بكر بن آدم الجبرتى أنه أقفل شبابيك بيته بتعز فى اليوم الذى أوصل فيه الإمام أسيراً فسئل عن ذلك فقال: رأيت النبى صلى الله عليه وسلم كئيباً حزيناً فسئل فقال: هو حزين لأسر ولده الإمام إبراهيم. انتهى.

قصيدة إبراهيم بن تاج الدين

وللإمام إبراهيم قصيدة فى حادثة أسره، وما كان من خذلان أخواله الحمزات له، وما قابله المظفر به من الإكرام وهى:

نوائب الدهر فى أفعاله العجب

والدهر إن سرَّ يوماً فى تصرفه

وقد رمتنى صروف الدهر عن كذب

فلم تجدنى جبناً حين تطرقنى

بل صادفتنى قوى القلب أن طحنت

ورب يوم يغيب الشمس قسطله

صبرت فيه على البأساء محتسباً

كيوم «حدة» والأبطال عابسة

حتى إذا خان بعض الأهل موثقه

أبدى شقاً وأخفى منه أعظمه

فملت بالكره لاجبناً ولاجزعاً

كيوم «أفقي» وقد جاء المظفر فى

فلم أجم عن لقاء الأسد إذ نزلوا

بل صلت فيهم على الآساد منتضياً

وتحت سرجى وقاح حين أحفرها

فما أطاقوا لقائى إذ ذلقت لهم

حتى إذا صرت مشغولاً بجمعهم

نالوا بأيدهم رمحى على غرر

ولم أجد عنهم منأى ومتسعاً

والحرب لفظ ومعنى لفظه الحرب

فعن قليل إذا ما سر ينقلب

بأسهم ماضيات عندها العطب

ولا جزوعاً لدى البأساء انتحب

رحى الهياج فإنى للرحا طنّب

فتظلم الشمس حتى ينقضى العصب

لله إذ كان مثلى فيه يحتسب

من الهزاهز والشعبى مضطرب

وغره فضة السلطان والذهب

وجاء بالغدر لا من حيث يحتسب

إلا لإحياء ما جاءت به الكتب

عساكر جلها الأتراك والعرب

ولا هربت مع الأبطال إذ هربوا

عزماً كعزم هزب الغيل إذ يثب

تخالها كوكبا فى الجو ينقضب

بعاسل كرشاء البئر يضطرب

وجاء من خلف ظهرى عسكر لجب

فأمسكوه وسيفى بعده جذبوا

فأحفز الطرف عنهم ثم أنقلب

لكنهم رصدوا لى كل ناحية
فحين حق اشتغالى عنهم وثبوا
ولو يكون قتال القوم من جهة
وكان للخلق فى أفعالى العجب
فان غلبت فما هذا بمبتدع
فكم بهاليل غلابون قد غلبوا
وبعد ذلك جاؤا بى إلى ملك
أبو الهزبر نقى العرض من دنس
له المفاهر والعلياء تكتسب
فكان منه من الإحسان ما شهدت
فمن يبلغ عنى كل من سكنت
أنى على خفض عيش فى منزله
فليشكروه فإنى اليوم شاكره
ولا يباذل المال لا زور ولا كذب
بفعله فيه عجم الناس والعرب
قلبى محبته أو بيننا نسب
أنى على خفض عيش فى منزله
فليشكروه فإنى اليوم شاكره
وكان المظفر يحمل إلى إبراهيم فى كل يوم أربعين درهما والطعام بكرة وعشية
والكسوة له ولمن معه بقدر حاجتهم وكفائتهم فقال: لقد كان لنا فى سلم السلطان
غنى عن حربه. وكتب الإمام على باب دار ضيافته:
هذى منازل سادة أجواد
ومحل جود شامل وأيادى
قصر الخورنق والسدير مقصر
عنه ذوو الشرفات من شداد
ولم يزل على الإعزاز والإكرام إلى وفاته.
وكان المظفر قد بذل مالاً جزيلاً لبعض أصحاب الإمام فى المعركة فخدعوه
وخذلوه. ومن قصيدة كتبها الإمام إلى القضاة آل أبى النجم بصعدة من تعز:
لآل أبى النجم الكرام مكارم
تحل محل النيرات الثواقب
ونشر فنون العلم فى كل مشهد
إليهم له تحدو قلاص الركائب
وإخلاص دين للإله وعفة
وفعل وقول صادق غير كاذب

إلى قوله :

وإني إليكم للمظفر شاكر

فكل هوى أهواه غير مؤجل

سوى رؤية الأحباب والعذر بين

فلا لوم إن أمسى بنا غير واثق

وإن كنت عن قومي وأهلي بمعزل

ولكن لقد قدمت كل إساءة

وللإمام إبراهيم قصيدة ورثي بها من استشهد معه :

خطب ألم فأنساني الخطوب معا

إلى قوله :

وذاك قتل شجاع الدين أحمد من

حاز السماحة والعلواء من قدم

ذو همة لم تزل قعساء سامية

وعزمة مثل حد السيف ماضية

وقتل قاضى أمير المؤمنين صلاح الدين من لم يزل للحق متبعا

سمح اليدين كريم الوالدين له

الصادق الثقة المأمون جانبه

وقتل نجل سعيد صارمى بيدي

لهفى عليهم جميعاً لو شهدتهم

عفا وحباني بعدُ كُلِّ المواهب

من الدين والدنيا وكل مطالب

له ما جرى من أسرتى وأقاربي

ولا عتب فى هذا عليه لعاتب

ولست إلى ما يذهبون بذهاب

إليه لتصديق الظنون الكواذب

وصير القلب فى إشغافه قطعاً

أمسى لكل خصال الفضل قد جمعا

والحلم والعلم والإقدام والورعا

لوضمها صدر هذا الدهر ما اتسعا

لو لاقت الصخر يوما لان وانصدعا

كف تفرق فى العافين ما جمعا

والحافظ الود إن داني وإن شسعا

إذا نبا السيف واستعملته قطعاً

لكنت أول من نحو الحمام سعى

وإنما الكل فى بحر نعوم به

من البلاء وطير الموت قد وقعا

ولم يولوا ولا وليت منهزماً

وكلهم ذاق من كأس الردى جرعا

ولم أضن بنفسى عن مصادمة الموت الزؤام ولكن القضا دفعا

وأمسكوا الرمح من خلفى مغادرة

والسيف قد أمسكوه والجواد معا

لم تبق لى حيلة فى الدفع عن أحد

منهم وألقيت فوق الأرض منصرا

ثم انتهيت إلى سوح به ملك

يحل بيتاً من العلياء مرتفعا

فجاد بالعفو والإحسان شيمته

وكان للخير والمعروف مصطنعا

إنى أقول ونار الحزن فى كبدى

سقياً ورعياً لعهد منهم ولعا

ورحمة الله لا تفتأ مكررة

عليهم ما خفى برق وما لمعا

هذا عزائى لكل المسلمين فمن

يبلغه عنى فربى حاطه ورعى

فتواردت الجوابات إلى الإمام فمن جواب الأمير شرف الدين الحسن بن يحيى الأشل وهو طويل جداً:

نظم ألم فهاج الوجد والجزعا

وجرع النفس من ماء الأسى جرعا

إلى قوله:

إمام حق دليل الخير قائده

على الشريعة إن أعطى وإن منعا

العالم العلم المحمود من علفت

به الأمانى والآمال مذ رضعا

إننا لنعرف فيه كل مكرمة

شماء فهو كريم الخيم مذ يفعا

مولاي مولاي حقا لا أفوه بها

زوراً ولا ملقاً يوماً ولا طمعا

يا درة التاج يا ابن التاج من شهدت: بفضلته فضلاء العالمين معا

لو كان يُقبل مني الروح جدت به : والآل والمال والأصحاب والشفعا

ولا أراجع حيناً في الرجوع إذا
أما الإِسار فأمر لا يعاب فلو
لكن عملت بما جاء الكتاب به
فجدت بالنفس يوم الروح محتسباً
فدافع الله عنك الموت تكربة
وكان من لطف ربي أن أسرت الى
الفاضل الكامل المحمود شيمته
مازال يولى ذوى الآمال منه ندى
من آل غسان أرباب الملوك فلو
إن قسته بملوك الأرض فاقهم
أولاك ما كان من عفو ومن كرم
سارت بذاك له فى الأرض مكرمة
ومن جواب للقضاة آل أبى النجم:
أهلاً بطرس علينا نوره طلعا
من أفضل الناس من عرب ومن عجم
خليفة الله من أحيا لنا سننا
مهدينا نجل تاج الدين أشرف من
كهف الطريد إمام العصر سيدنا

ذو فدية جاد يوم السوم أو رجعا
رمت الفرار وجدت النهج متسعا
حقاً وأحببت ما أحيا وما شرعا
فى (أفق) لم تهب الأعداء والفرعا
ولا فوات لأمر عنه قد دفعا
من لم يزل للخصال الغر متبعا
الأوحد الأكرم الوهاب ما جمعا
جماً وما زال للإحسان مدرعا
تلقى إليه أمور الناس لاتسعا
فضلاً وكانوا لأدنى فضله تبعا
تقبل الله ما أولى وما صنعا
ومفخراً ما بدا نجم وما طلعا
نظماً ونثراً بطرس واحد جمعا
وخير داع إلى الدين الحنيف دعا
ومن ألمات لدينا سعيه بدعا
أغنى وأقنى ومن أعطى ومن منعا
وصارم الدين من بالهدى قد سطعا

رثى رجالاً أصيبوا فالقلوب على
باعوا من الله أوراها فأسكنهم
سلوا السيوف ولم يخشوا ولا وهنوا
ما لى وللدهر ما تنفك نائبة
وفى سلامة مولانا لنا عوض
وهكذا الحرب ما زال الكمي بها
جاءت إليك من الرحمن عارفة
لله ملك أفاد المسلمين معاً
أبو الهزبر الذى فى ظل دولته
خير الملوك وأعلاهم وأحسنهم
يا ليت شعرى والأوهام طامحة
هل نشفى من أمير المؤمنين ولو
للدين عبرة وجد قط ما رقأت
وبارق للندى ما انفك مؤتلقاً
عليك منا سلام الله ما ودقت
وفى البسامة وفى ابن تاج :
الهدى المهدي قد حكمت
وخانه من إليه كان مرتكنا
وفى تحفة المسترشدين :

ما نالهم ذهب من أجله قطعاً
فى الخلد أشرفها مرئى ومستمعا
فى حومة الموت لا هولاً ولا فزعا
منه تنوب فهلا ارتد وارتدعا
عمن مضى إن تناسى الدهر أو قرعا
يغشى المهالك صراعاً ومنصرعا
كستك أمناً وثوب الأمن قد رفعا
بعفوه عنك مجداً طال وارتفعا
أضحى نطق العلى والفخر متسعا
تصرفاً فى الورى أن ضر أو نفعا
تشاور اليأس والآمال والطمعا
بنظرة تذهب الأوصاب والوجعا
وللمكارم طرف قط ما هجعا
فمذ أسرت خفى نوراً وما طلعا
وطفا وما انهل شؤبوب وما همعا
فى يوم أفق بما يهوى أبو عمر
حتى المظفر منه فاز بالظفر

ثم ابن تاج الدين إبراهيم

دعا وان شكله معدوم

دعوته فى آخر السبعينا

وأسره فى (٦٧٤) يقينا

ولم يزل معتقلاً سنينا

حتى توفى (٦٨٣) دفيناً

مشهده المعمور فى تعز

وقد حباه الله أى فوز

المطهر بن يحيى

مولده ٦١٤هـ دعوته ٦٧٤هـ وفاته ٦٩٧هـ

الإمام المتوكل المطهر بن يحيى بن المرتضى بن المطهر بن القاسم بن المطهر بن محمد بن المطهر بن على بن الناصر أحمد بن الإمام الهادى يحيى المعروف بالمظلل بالغمم لخروجه من الأعداء بين السحاب والغمم الذى طبق الأفق فى تنعم بجبل اللوز من خولان فسلمه الله منهم. أخذ عن القاضى محمد بن على أبى الرجال وروى عن الأمير الحسين بن محمد صاحب الشفاء تفسير الحاكم. وشمس الأخبار وجميع فقه الزيدية. وعن الشيخ المعمر إبراهيم بن على الأكوع والقاضى سليمان بن أحمد أبى الرجال وعمران بن الحسين وغيرهم. وعنه ولده الإمام محمد بن المطهر والسيد أحمد بن محمد بن الهادى والسيد صلاح بن إبراهيم بن تاج الدين وغيرهم وكان من أعيان أعوان المهدي أحمد بن الحسين ثم المهدي إبراهيم بن تاج الدين، وقد دعا بعد أسره فى جمادى الأولى سنة أربع وسبعين وستمائة للهجرة وأجابه الأعلام والأفاضل والأعيان، وبعث دعائه فى اليمن وفى الجبل والديلم ومن رسالة دعوته:

«ولما رأيت أهل العصر قد ظهرت فيهم البدع، ونزل عليهم الخوف واتسع، وامتألت قلوبهم بالجزع، بعد أسر أمير المؤمنين المهديّ لدين الله إبراهيم بن تاج الدين سلام الله عليه وعلى آبائه الأكرمين؛ خشيت استئصال شأفة المسلمين بعلو كلمة الظالمين، فشمرت لطلب القائم من أهل البيت عن ساق حين أرفج الظالمون على المسلمين

بإرعاد وإبراق، وعقدت للقائم بالإذعان منى مجتهداً، وأن أكون ما بقيت من ورثة الكتاب مقتصداً، فلم أجد منهم قائماً بذلك أبداً، وانضم إلى ذلك وجود الناصر من ذوى النجدة والبصائر، فتعينت الحجة حيثئذ على وانتهت نصرة الدين إلى فاستخرت الله وفزعت إليه واستعنت به وتوكلت عليه، ونشرت هذه الدعوة الجامعة إن شاء الله داعياً إلى ربي بالحكمة والموعظة الحسنة . هاجراً فى حماية الدين لذيد النوم والسنة ﴿تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾... إلخ. هلموا إلى العمل بالكتاب الكريم، وسنة نبينا عليه وعلى آله أفضل الصلاة والتسليم:

شيخ شرى مهجته بالجنة وسن ما كان أبوه سنه
ولم يزل علم الكتاب فنه يقاتل الكفار والأظنه

بالمشرفيات وبالأسنه

﴿يا قومنا أجيئوا داعي الله...﴾ إلخ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من سمع داعيتنا أهل البيت فلم يجبها كبه الله على منخريه فى نار جهنم» فإن أجبتمونى حملتكم -إن شاء الله- على المحجة البيضاء ألا أعدو بكم السنة النبوية قيد شعرة عادلاً فى الرعية قاسماً بالسوية كافلاً لليتيم حائطاً للارامل متخذاً الكبير أخاً والصغير ولداً، القريب عندى بعيد حتى يؤدى ما عليه، والبعيد عندى قريب حتى يصل حقه إليه . فلا تميلن بكم الأهواء ولا تتفرق بكم الآراء ولا تغرنكم الحياة الدنيا فإن زيتنها تزول وتفننى؛ آمالها سراب وأمانيتها كذاب وعمرانها خراب وحلالها حساب وحرامها عقاب ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة...﴾ إلخ. فشمروا فى الجهاد بالجد والاجتهاد فإنه أفضل أعمال العباد ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم...﴾ إلخ. وقال صلى الله عليه وآله وسلم «لغدوة أو روحة فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها». انفروا خفافاً وثقالاً، وأقبلوا إلى إمامكم إرسالاً، منتقمين لإمامكم المهدي بثاره، ناعشين دينكم بعد عثاره، موضحين من مذهبكم طامس آثاره، كائلين لعدوكم بصاعه، ذارعين له ما بلغ من ذراعه، فأنتم حزب الله وحزب الله هم الغالبون؛ أنتم إن شاء الله أنجد منهم وأصبر وأشرف وأفخر، وهم أذل وأحقر، وإن كانوا وأوفر ،

فلا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين﴾ فاصبروا على منابذة الأشرار، واجأروا إلى ربكم بالدعاء والاستغفار؛ يمدكم بالنصر والاستظهار ﴿قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وما أنا من المشركين﴾.

وقد بذلت خزائن من الأموال المظفرية له ليرك القيام بالجهاد فامتنع وقال: يابى الله ورسوله أن أبيع الآخرة بالدنيا. ولما اشتد فى بعض مواقفه الطعن والضرب كان يتخلل الصفوف على بغلته والنشاب تظلمه ف قيل له: لو بعدت فقال: إنما أطلب الشهادة. وكانت له سبعون وقعة، وأجمع على بيعته زيدية اليمن وبعض العراق. وقيل له يوصى فقال: ما تركت بيضاء ولا صفراء ولا من الأرض شبراً. وكان يأكل الجشب ويلبس الحشن وفد إليه رجل ليتعشى من عشائه فقال له: تعشى مع الضيوف خبزاً ولحماً فقال: لا. وكان الإمام صائماً فأفطر بلحوح ودجره، وكان يخرج بجماعة ممن يقرأون عليه العلم فيحتطب معهم ويحمل الخطب معهم. وفى البسامة:

وفى مطهر لم تعدل وقد علمت
من ظللته الغمام الغر حائلة
من دونه وغدت ستراً لمستتر
بيوم تنعم والأبطال عابسة
وفى تحفة المسترشدين:

وقام يدعو رابع السبعينا : وقيل فى الست مع السبعينا

سليل يحيى العالم المطهر : ومن له الفخر العظيم يذكر

إذ ظللته السحب والغمامة : فى تنعم ويا لها كرامة

وموته فى السبع والتسعين : وقيل فى التسع مع التسعين

وكان فى الأعلام أى حجه : وقبره فى دروان حجه

وفى سنة ست وسبعين وستمائة للهجرة رجع الأمير على بن عبد الله الحمزى تسليم حصونه بحضور للمظفر مقابل ألف دينار. وفى سنة سبع وسبعين وستمائة للهجرة توفى الأمير أسد الدين محمد بن حسن بن على بن رسول بسجن قاهرة تعز، وكان من أكمل الأمراء وأشجعهم وتقلبت به الأحوال كما تقدم.

استيلاء المظفر على حضرموت وظفار

فى سنة ثمان وسبعين وستمائة للهجرة أصاب أهل حضرموت مجاعة فطلبوا من أميرها سالم بن إدريس الحضرمى ما يدفعون به شدة الزمان وسلموا له أموالهم فأعطاهم ما طلبوا. وصادف أن المظفر أرسل وفداً بهدية إلى فارس وبينما هم فى البحر سائرون إذ عصفت بهم الرياح ورمتهم فى ساحل ظفار فصادر الهدية الأمير سالم حاسباً أن الأقدار ساقتها إليه عوضاً عما وقع من المجاعة بحضرموت، وكان قد انتقل إلى ظفار الجبوظى. فكتب إليه المظفر يعاتبه ويتوعده على تعرضه للهدية وقطع السبيل، فلم يكثرث واستمال إليه صاحب الشحر راشد بن شجيه فأجابه هرباً من الخراج الذى عليه للمظفر. فأمر المظفر عامله بعدن بالتقدم إلى ساحل ظفار فसार إليه ورجع، فسولت للأمير سالم نفسه أن يغزو إلى عدن فنهض المظفر بنفسه إلى عدن وأمر بإصلاح المراكب وغيرها وجهاز العساكر والأمراء بالعدة الوافرة براً وبحراً فدخلوا إلى بندر سوت دخولاً عظيماً، فبادرهم سالم بخيله ورجله فانهمز وانجلت المعركة عن قتله وثلاثمائة من أصحابه، وأسر مثلهم وضرب الجند المظفرى خيامهم على أبواب ظفار وكفوا عن أهله وتم للمظفر الاستيلاء على حضرموت وظفار. وفى سنة تسع وسبعين وستمائة للهجرة استعاد المظفر حصن كوكبان من بنى الحوالى وعوضهم عن حصن ردمان واثنين وعشرين ألفاً.

وفى صنف المظفر وليمة عظيمة واستدعى إليها الأشراف الحمزات فسار منهم الأمير علي بن عبد الله بن حمزة والأمير محمد بن أحمد بن المنصور فوثب الأمير داوود بن المنصور على حصونها فأمدهما المظفر حتى تم استرجاعهما لها.

محمد بن أبي السعد

فى سنة ثمانين وستمائة للهجرة توفى الشيخ العلامة الكبير النحوى محمد بن على بن أحمد بن أسعد بن أبى السعد الزبيدى صاحب التصانيف المفيدة منها: «التهذيب» و«الياقوتة» و«المحيط» و«البيان فى إعرب القرآن» وكان قد سمع تفسير الحاكم من الإمام عبد الله بن حمزة.

المفضل بن منصور

وفى سنة اثنتين وثمانين وستمائة للهجرة توفى السيد العلامة المفضل بن منصور بن محمد العفيف الوزير من أعيان أصحاب المهدي إبراهيم بن تاج الدين. وكان قد احتسب قبل قيام المهدي ثم بايعه وجاهد معه وكان على حد عظيم فى الورع والعلم والعمل والكرم وهو جد السادة آل المفضل من بنى الوزير.

حوادث

وفى سنة ثلاث وثمانين وستمائة للهجرة وصل إلى صنعاء، الأمير الوائق بن المظفر وتسلم حصن براش صنعاء وفيها أقام الأمير داود بن المنصور ابن أخيه يوسف بن إبراهيم بن المنصور إماماً وهو لا يملك شروط الإمامة المعتبرة فاجتمع له بثلا عسكر كثير ونهض بهم إلى الظاهر ثم المنقل والمناذرة وتوجه إلى صعدة فاستنجد الأمير على بن عبد الله بن حمزة بالوائق بن المظفر فأمدّه بالفهد بن حاتم بخيل ورجل، وكان داود ويوسف حول تلمص فوقعت حرب نحو شهرين والمظفر يواصل الإمداد لعلى بن عبد الله حتى ضعف داود وعاد من بلاد صعدة إلى ثلا وبعث الوائق بن المظفر عسكراً لمحاصرته، ثم كان الصلح على أن يطلق المظفر بن الأمير داود من حصن الدملوه ويرهن داود حصن القفل بظفار لدن المظفر.

على بن عبد الله إلى المظفر فأقطعه بلاد الظاهر والبون والخشب والخرد ومطرة وذيفان. وفيها استرد داوود حصنه القفل وتصلح مع ابن أخيه موسى بن أحمد. وكتب للإمام المطهر يحثه على النهوض إلى صعدة فنهض بجموع وجاءته قبائل خولان الشام طائفة فأخذ درب صعدة، وأسر وإلى المظفر، وقتل من جماعته، ثم سار الإمام والحمرات إلى الجوف.

وفي سنة خمس وثمانين وستمئة للهجرة ساروا إلى الظاهر فجهز الواصل بن المظفر على بن الهمام وعلى بن عبد الله الحمزي على الزاهر بالجوف.

وصول الأشرف إلى صنعاء

واضطربت البلاد فأسرع المظفر بإرسال ابنه الأشرف وطلب الواصل إليه، فسار الأشرف إلى ذيفان والظاهر، وشدد الوطأة وأخرب معظم البلاد ونفذت جنوده إلى عيان وخيوان وعمر حصن الكولة وشدد الحصار على الأمير داوود وأخرب بلاد عبد الله بن علي بن وهّاس وقطع أشجارها وهدم فيها دروباً قديمة حميرية، ثم رجع صنعاء فدخلها دخول الفاتح المنصور، وخرجت لاستقباله الجنود والجموع، وفرش لحصانه ثياب الحرير الملمعة بالذهب. وكان الإمام والحمرات قد نهضوا إلى بني شهاب غرب صنعاء وحاصروا قرن عتر -ظفار- وفيه نحو مائتين من جند المظفر، وكان فيهم على باب رجل منع برميهِ الوصول إلى الباب فرماه محمد بن المرتضى، ثم دخلوا، وقد قتل من أصحاب المظفر نحو مائة وأسر الباقون، ثم سار الإمام إلى تنعم خولان.

وفي سنة سبع وثمانين وستمئة للهجرة كان الصلح بين الإمام والأشرف والحمرات وعاد الأشرف إلى تعز ووصل أخوه المؤيد وفي سنة ثمان وثمانين وستمئة للهجرة وثب أهل جشم همدان على حصن بيت نعم غرب وادي ضهر فحاصروهم المؤيد وانتقض الصلح.

داود بن المنصور

وفى تاسع صفر سنة تسع وثمانين وستمائة للهجرة توفى بحصن ظفار الأمير داود بن المنصور عبد الله بن حمزة، وكان شجاعاً فصيحاً من وجوه الحمزات، ومن شعره إلى السلطان المظفر يرجوه إطلاق ابنه الرهينة بحصن الدملوه:

أعابه فى الهجر أم لا أعابه وأصبر حتى يرعوى أم أجانبه
فمن مبلغ عنى إلى الملك يوسف أبى عمر معطى الجزيل وواهبه
وما لى قول مسخط غير أننى أذكره الخط الذى هو كاتبه
فشفع أبانا فى بنيه فإنه شفيحك فى الذنب الذى أنت كاسبه

فقرأها المظفر وبكى وقال: أطلقه كرامة لجده صلى الله عليه وآله وسلم

ويقال: إن الأمير داود غزا إلى البصرة عن طريق الرمل القديمة التى كانت مسلوكة فى أيام حمير، وأنه عند عودته دفن آبارها خشية أن يلحق فانقطعت الطريق، وبعد موته قويت شوكة الأمير سليمان بن القاسم بن المنصور فملك حصن ظفار وتلمص، وشرع المؤيد بن المظفر بالاستعداد لمناجزة الإمام والحمزات، فتكاثر على الإمام الجنود بتنعم جبل اللوز، واشتد عليه الحصار فخرج من طريق صعبة غير مسلوكة وتكاثف عليه الغمام فستره عن الأعداء حتى خلص بمن معه إلى بلاد بنى وهاس ثم الظاهر إلى معقل دروان حجة وكان ممن معه الإمام يحيى بن حمزة فرجع المؤيد إلى صنعاء فاشلاً.

أحمد بن عجيل الفقيه

فى ربيع الأول سنة تسعين وستمائة للهجرة توفى ببيت الفقيه تهامة فقيه تهامة وعالمها وفاضلها الشيخ المشهور أبو العباس أحمد بن موسى بن على بن عمر بن عجيل الصوفى التهامي؛ ترجمه الشيخ أحمد بن أحمد الشرجى الزيدى فى (طبقات

الخواص) ترجمة طويلة منها أنه كان إماماً من أئمة المسلمين المنتفع بهم أخذ عن عمه إبراهيم وغيره وكان له بحث ونظر حسن فى كثير من العلوم، وله اعتراضات على المذهب. وعلى «التنبية» و«الكافى فى الفرائض»، وله كتاب جمع فيه مشائخه وأسانيده فى كل فن.

وأما زهده وصلاحه فمستفيض، وكان الملوك يعظمونه ويقصدونه للزيارة ويقبلون شفاعته، وكان لا يأتهم ولا يواصلهم؛ بل يكتب إليهم بالشفاعة فلا يتأخرون عن قبولها.

وقد كان الافتتان بقبره كعادة العوام فأزال قبره وما عليها ولى العهد أحمد سنة ثمان عشرة وثلاثمائة وألف للهجرة عند فتحه لبيت الفقيه والزرائق.

حرب بين الحمزات والإمام وبين جند المظفر

فى سنة اثنتين وتسعين وستمائة للهجرة حصلت وحشة بين الأمير على بن عبد الله الحمزى وبين الأمير المؤيد بن المظفر فهرب الحمزى من صنعاء ليلاً بأهله فبلغ المظفر فلامه فأجابه أنه لم يأمن غائلة المؤيد الشاب الذى يغلب عليه رأى غيره، فأجاب المظفر أن المؤيد لا يخالف أباه. فلم يطمئن الحمزى ووالى الإمام المطهر وقصدوا قلعة الكولة، ثم اجتمع الحمزات وهدموا ما بينهم من القتول وتمالوا على حرب المظفر، فأرسل عساكره من تعز إلى ولده المؤيد، فخرج إلى الظاهر فى ألف فارس وعشرة آلاف راجل فوقف فى الماجلين وصالح على بن عبد الله الحمزى وحلف له المؤيد بالوفاء، ثم قصد الإمام وبقية الحمزات إلى ماجل الصعدى فالتجأ الإمام وأصحابه إلى الأكمة الحمراء ونفر من محطة المؤيد قبائل حضور مغاضين للمؤيد ثم عطفوا على محطته فهزموها أقبح هزيمة وقتلوا كثيراً من رجاله، فرجع المؤيد إلى صنعاء مغلوباً مقهوراً. ثم فسد الصلح بينه وبين الحمزى. وفيها أقطع المظفر ابنه الواصل إبراهيم ظفار الجبوظى فسار إليها من عدن فى رمضان سنة اثنتين وتسعين وستمائة للهجرة.

حوادث سنة ثلاث وتسعين وستمائة للهجرة

فيها خرج المؤيد إلى حضور وبنى شهاب وأخرب عدة قرى منها قرية بيت شعيب وقتل جماعة من أهلها. وسار على بن عبد الله الحمزي إلى ظفار واجتمع رأى الحمزات على المظفر. وبعث المؤيد إليهم فى تمام الصلح فشرطوا شروطاً لم تجريها عادة فلم يقبلها المؤيد ووالده.

وفيها وصل الأمير أحمد بن يحيى بنحو ألفى نفر من نجران مادة للحمزات فكان المؤيد يحاربهم تارة وقبائل حضور تارة حتى تعب الفريقان وعقدت هدنة ثلاثة أشهر، سار المؤيد إلى أبيه وسار على بن عبد الله الحمزي إلى الشرف فعمر مصنعة تنعم بالشرف، ووصل إليه كافة أهل الشرف، ومال الناس إلى الإمام والحمزات فأمر المظفر بطلوع ولده الأشرف إلى صنعاء فوصل إليه أهل الشرف وأهل حضور وتم الصلح بينه والحمزات وسكنت الفتنة.

تنازل المظفر عن الملك لابنه الأشرف

مولده ٦٢٠ هـ قيامه ٦٤٨ هـ موته ٦٩٤ هـ

فى سنة ٦٩٤ هـ تنازل المظفر لابنه الملك الأشرف عمر بن يوسف وقلده السلطنة وخصه بها دون إخوته وكتب مرسوما فى ذلك فغضب ولده المؤيد وسار إلى حضر موت والشحر وانتقل المظفر إلى ثعبات نزهة تعز فلم يزل بها حتى مات فى ١٣ رمضان سنة ٦٩٤ هـ عن ٧٤ سنة من مولده وعن ٤٦ من سلطنته وقبره مشهور مزور بقرية المدرسة المعروفه جنوبى تعز على أكمة فى سفح جبل صبر ولما بلغ الإمام المظهر بن يحيى موته قال : مات تبع الأصغر مات معاوية الزمان مات من كانت أقلامه تكسر رماحنا .

وأولاده الذكور الذين مات عنهم : عمر الأشرف وداود المؤيد وإبراهيم الوائق وحسن المسعود وأيوب المنصور . وكان من مزايا المظفر المبادرة بعزل من شكاه الرعيه من عماله وإليه يُنسب جامع المظفر بتعز وفيه زيادات كبيره لمن بعده والحمامات بجانب الجامع حمام للرجال وهو الموجود الآن وكان بجانبه حمام للنساء ، وجامع المهجم تحت وادى سرد بتهامة وكان من المآثر العجيبة يقال إنه كان فيه ثلاثمائة وستون سارية والقرآن مكتوب فيها وفي جدرانها وقد إنهدم مع مدينة المهجم ولم يبق منه سنة ١٣٥٠ هـ إلا بعض منارة بقرب مدينة الزيدية فسبحان الحى الذى لا يموت ولا تغيره الدهور ومرور العصور .

قيام الأشرف

بعد موت المظفر قام ولده الأشرف عمر فقبض الحصون والمخالفين أما أخوه المؤيد فخرج من الشحر إلى إيين فوصله كتاب من أخيه المنصور أيوب يحذره من الوصول وعرض عليه حصن سمدان وكان فى يده وحذره الأشرف فى الشقاق وأقطعه حصن سمدان المهم ولكنه وصله كتاب من القاضى علي بن يحيى اليحوى فضاق صدره

فمال إليه بعض جند أبين والبعض ساروا إلى الأشرف ثم سار بأهله إلى سمدان وتوجه لمحاصرة عدن فخرج إليه العامل والأعيان رغبة ورهبة فدخلها وتقدم إلى الحج وأبين فاستولى عليها فجهز عليه الأشرف ولده الناصر بن الأشرف في ثلاث مائة فارس فأقام في الراحة ووصل الأمير على بن عبدالله الحمزي إلى الأشرف فجهزه في خيل مدداً لولده الناصر بعساكر من بلاد صنعاء وغيرها فتقدموا إلى كتيب الشقيب ووقع القتال فانتصر المؤيد أولاً ثم أُسر مع ولديه الظافر والمظفر وأوثقوا بالحديد وكان الأشرف قد خرج من تعز إلى الجُوه ينتظر ما يكون بين ابنه وأخيه ولما بلغه تقييدهم وأسره بكى ثم أمرهم إلى السجن بقاهرة تعز وأجرى لهم الكفريات وثبت الملك للأشرف إلى حضرموت والشحر.

وفيها سار الأشرف إلى حصن الدملوه ثم زييد فدخلها والفقهاء أمامه يحملون المصاحف ومعه ثلاث مائة محمل في كل محمل سُرَّة وخادمتها، وكانت في أيامه بدعة السبوت الشنعاء بزييد وسياتي الكلام عليها عند ذكر وفاة أخيه المؤيد سنة ٧٢١ هـ وفي سنة ٦٩٤ هـ وثب مملوك من ممالك المظفر يُعرف بالفارس على بعض الحصون ببلاد ذمار في جماعة من أصحابه فالتفت عليه قبائل مذحج ودخلوا الحصن وقتلوه وسبعين رجلاً من أصحابه .

البرد العظيم مع المطر

في جمادى الأولى سنة ٦٩٤ هـ وقع باليمن مطر عظيم فيه بردٌ كبار في بلدان متفرقة منها برودة في راحة بنى شريف شمالى صعدة كالجبل الصغير لها شناخب كل واحد أكبر من ذراع وغاب بعضها في الأرض وبعضها ظاهر على وجه الأرض فكان يدور حولها عشرون رجلاً لا يرون من ورائها. ووقعت برودة أخرى في بلاد عنس حاول فيها أربعون رجلاً فلم يقدرُوا .

وفاة الأشرف

وفى سنة ٦٩٦ هـ توفى الملك الأشرف عمر بن المظفر يوسف بن عمر بن على بن رسول وكان ولده الناصر فى الفحمة وولده العادل فى صنعاء فاجتمعت آراء المماليك والخاصة على إخراج المؤيد وولديه من السجن وتولية المؤيد ووقع الصلح بين الإمام والحمزات وبين المؤيد وأقطع المؤيد ولده المظفر صنعاء وولده الظافر القمرا بتهامة وفيها خالف المسعود بن المظفر على أخيه المؤيد وأوقع بأهل المحالب واستولى على حرص ووصل إليه أشراف المخلاف السليماني وبعض الجبال فجهز عليه المؤيد أخاه المنصور وغيره فالتقوا بين حرص والمحالب وظهر للمسعود أنه مغلوب فاذعن للصلح فقبض عليه أخوه المنصور وعلى ابنه أسد الإسلام وسار بهما إلى المؤيد فاودعهما قاهرة تعز وبعد سنة أطلقهما وأمرهما بالسكون بمدينة حيس .

وفاة الإمام المطهر

وفى يوم الاثنين ثانى رمضان سنة ٦٩٧ هـ مات فى حصن دروان حجة الإمام المطهر بن يحيى عن ٨٣ سنة من مولده وعن ٢٣ من دعوته وكان من الأئمة المحرزين لشروط الإمامه وأولاده خمسة : الإمام محمد بن المطهر والأمير إبراهيم والأمير أحمد والأمير الحسن والأمير القاسم أبناء المطهر .

وفيها نهض المؤيد الرسولى إلى صنعاء وجهز إلى بلاد حجة ثم الظاهر ثم إلى صعدة فدافعهم الحمزات وسار المؤيد فى سنة ٦٩٨ هـ إلى جراف خمر ثمانية أيام ثم إلى ظفار فقاتله الأشراف ثم كان الصلح ورجع المؤيد إلى صنعاء ثم إلى تعز ومعه الشريف على بن عبدالله الحمزى وغيره من الأشراف فلبثوا مده ثم عادوا بلادهم، وسار السلطان المؤيد إلى عدن فدخله دخولا معظماً وامتدحه عبدالله بن جعفر بأبيات منها :

أعلمت من قاد الجياد خيولا وأفاض من لمع السيوف سيولا

الأمير علي بن عبدالله

وفى سنة ٦٩٩ هـ توفى بحصن الميفاع الأمير الكبير علي بن عبدالله بن الحسن بن حمزة بن سليمان عن نيف وسبعين سنة من مولده وكان من أعيان الحمزات فأجمع رأيهم على إقامة ولده الأمير العالم المؤرخ إدريس بن علي مقامه على أعماله وفيها كان استيلاء المظفر بن المؤيد الرسولي على عراس وأرياب في بلاد ريم قهرا بالسيف وأهلها فرقة من الإسماعيلية الباطنية .

وفى سنة ٦٩٩ هـ كان ابتداء دولة السلاطين آل عثمان وجدهم عثمان اول سلاطينهم .

وفى سنة ٧٠٠ هـ تسلم أصحاب المؤيد حصون الأمير علي بن عبدالله من ولده إدريس مؤلف كتاب "كنز الأخبار" في التاريخ وأبقاه المؤيد على عادة أبيه في الإمارة والركوب تحت الأعلام السلطانية وأعطاه العطاء الوافر وولاه الفحمة .

المهدي محمد بن المطهر

مولده ٦٦٠ هـ دعوته ٧٠١ هـ وفاته ٧٢٩ هـ

هو الإمام المهدي المجدد محمد بن الإمام المتوكل المطهر بن يحيى .

أخذ عن أبيه كتب الحديث وكتب الزيدية وعن الوشاح الكلابي والقاضي محمد بن يحيى حنش والأمير المؤيد بن أحمد والأمير صلاح بن إبراهيم والفقيه محمد بن عبدالله الكوفي وحقق فنون العلوم وكان كثير التدريس في الفنون ومن أجل تلامذته ولده الواثق المطهر بن محمد والشيخ أحمد بن حميد الحارثي وجار الله بن أحمد الينبغى والفقيه حسن بن علي الأنسى وإبراهيم بن علي بن نزار والمطهر بن تريك

والمرتضى بن المفضل الحسنى ومحمد بن عبدالله الوقيمي وغيرهم .

وصنف "المنهاج الجلى شرح مجموع الامام زيد بن على" و"عقود العقبان فى الناسخ والمنسوخ من القرآن" و"الكواكب الدرية شرح الأبيات البدرية" و"المجموعات المهدية" وكتاب فى الفروع و"البغية فى الفرائض" و"الجواب المنير على مسائل أهل الظفير" و"السراج الوهاج فى مسائل المنهاج" و"فلق الإصباح فى جواز الإصلاح" و"العضب الجراز فى تصحيح الجواز" و"النفحات المسكية فى جوابات مسائل ابن عطية" وغيرها. وكان عبادة صواماً قواماً مشغولاً بالعلم والعمل حليماً .

والإمام محمد بن المطهر آخر من قاتل بذى الفقار من الأئمة كما سبق فى أول ترجمه الهادى واستفتح صنعاء وعدن واستمر الدعاء له فى الحرم المكى مدة بعد صلاة المغرب وصلاة الفجر حتى أمر سلطان مصر إلى شريف مكة بإبطاله قال صاحب "اللائلى المضئنة فى تاريخ مكة" : كان إمام الزيدية يصلى بهم بين الركن والحجر الأسود فإذا فرغ من صلاة الصبح دعا وجهر بقوله : اللهم صل على محمد وأهل بيته المصطفين الأطياب الذين أذهب الله عنهم الرجز وطهرهم تطهيراً، اللهم أنصر الحق والمحقين وأخذل الباطل والمبطلين بقاء ظل الله أمير المؤمنين ترجمان البيان وكاشف علوم القرآن الإمام بن الإمام بن الإمام محمد بن المطهر بن يحيى بن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - الذى للدين أحىى اللهم أنصره وشعشع أنواره وأقتل حساده وأكبت أضداده وكان يدعو به أيضاً بعد صلاة المغرب ومازال على هذا حتى دخل إلى مكة العسكر المصرى المجرد لليمن نصرة للملك المجاهد الرسولى سنة ٧٢٥هـ .

دعوته وحوادث أعوامه

بعد وفاة والده قام محتسباً ثم ألزمه العلماء بالقيام بالإمامة فدعا فى هجرة حوث سنة ٧٠١هـ ولما بلغت دعوته الملك المؤيد نهض إلى اليمن الأعلى ووصل إلى قرية القُبة من بلاد خيار حاشد والظاهر وتردد فى بلاد الظاهر وحاصر ظفار ثم حارب حصن

جربان فوقع بينه وبين من فيه قتال شديد ونصب عليه المنجنيق وعاد صنعاء، وفي سنة ٧٠٢ هـ وقع قحط شديد وإشتدت الأزمة على جند المؤيد المحاصر لظفار وملّ الناس القتال فجنحوا إلى الصلح، وفيها أقطع المؤيد الشريف إدريس بن علي بن عبدالله الحمزى بلاد لحج فسار إليها ووقع بينه وبين أهل الجحافل والجحالم حروب وخطوب ذهب فيها عدة من أعيانهم، وفيها توفي موسى بن أحمد بن المنصور في نواحي صعدة، وفيها استولى الأمير علي بن موسى بن أحمد على تلمص، ثم وصل إلى الجهات الصعدية الإمام محمد بن المطهر فتلقيه العلامة المؤيد بن أحمد والأشراف فخف لحربهم نائب المؤيد الرسولي وكانت معركة إنهمزم فيها النائب واستولى الإمام علي صعدة وبلادها فجهز المؤيد جيشاً قائده عباس بن محمد، وقبض المؤيد على الأمير بن محمد بن أحمد وشكر بن علي القاسمي بتعز لما كان من الأشراف بصعدة .

وفي سنة ٧٠٥ هـ أغارت الأشراف الحمزات على مدينة حررض فانتهبوها ورجعوا فجهز المؤيد أستاذه ابن ميكائيل في جيش كثيف ولما قرب من صعدة صالح الأشراف على أن يكون ثلث مخلاف تلمص ببلاد صعدة للسلطان المؤيد وبقية البلاد للأشراف وهدأت الأحوال .

وفيها إستقال المظفر بن المؤيد عن إمارة صنعاء وعاد إلى أبيه فولى صنعاء الأمير طغريل وأرجع الأمير إدريس بن علي الحمزى لولاية آبين .

وفي سنة ٧٠٦ هـ وثب ابن صهيب على حصن النشابه بوصاب فاغتم له المؤيد وسار لمحاصرته فتسلمه ثم سار إلى بلاد حجة وأقام بالظهرين مده والحرب سجال بينه وبين الإمام .

وفي سنة ٧٠٧ هـ تسلم المؤيد حصن شمان بنى عكاب بعد أن حاصره ورماه بالمنجنيق ثم وقع الصلح بينه وبين الإمام والأشراف على تسليم حصن عزان وحصن براش للمؤيد ورجع إلى تعز وسار إليه الأمير تاج الدين فأكرمه وعظمه . وفيها نهض الأمير إدريس بن علي الحمزى بعساكر السلطان المؤيد إلى بلاد حجة والشريفيين

فاستولى على جبل سعد فى الجبر وعلى القاهرة فى الشرف الأعلى ثم نهض إلى الشرف الأسفل فى خمسة آلاف رجل فاستولى عليه ولم يبق فى الشرفين إلا حصون يسيره وقع عليها الصلح ، وفيها فتك الأكراد بالأمير طغرل بدمار فجهز عليهم المؤيد عسكرياً فقاتلهم ثلاثة أيام وفر بقيه الأكراد فى كل جهة .

وفىها نهض الإمام إلى بلاد بنى شهاب غربى صنعاء وحاصر قرن عتر واستولى عليه وعلى حصن بيت ردم وبيت برام وقاهرة حضور وردمان بنى حوال وعطف على صنعاء وفيها عامل المؤيد الأمير عباس بن محمد ودخل بعض أصحاب الإمام إلى بستان السلطان والإمام بحده ووصل المظفر بن المؤيد إلى قاع الباهم واستولى على بيت حنبص فرجع الإمام إلى دروان حجة ثم سار الإمام والحمزات إلى بلاد الشرف فمنعهم عنها الشريف إدريس بن على الحمزى فرجعوا إلى بلاد الظاهر وسار بعضهم إلى صعدة والبعض إلى ظفار .

وفى سنة ٧٠٨ هـ أعاد الإمام الكرة إلى بنى شهاب واستولى على قرن عتر وهبط إلى قاع صنعاء فحاصرها شهرين فوصل السلطان المؤيد بنفسه فانتقل الإمام إلى حضور .

قصر ثعبات بتعز

قال الديبع فى قررة العيون : « فى سنة ٧٠٨ هـ كملت عمارة القصر المعقل فى ثعبات بتعز وفيه مجلس طوله خمسة وعشرون ذراعاً فى عرض عشرين ذراعاً بسقفين مذهبين بغير أعمدة وله أربعة مناظر بأربعة رواشن ليس فيها إلا رخام وذهب وأمامه بركة ماء طولها مائة ذراع فى عرض خمسين ذراعاً على حافتيها صور طيور ووحوش من صخر ترمى الماء من أفواهها وفى وسط البركة فواره ترمى الماء إلى الهواء فيبلغ أمداً بعيداً وقبله شاذروان يصب ماؤه إلى البركة كأنه لوح من بلور وفى المجلس شبايك تفضى إلى بستان عجيب المنظر وكانت مدة عمل الصانع له سبع سنوات

وكان يطلع إليه كل يوم مدة عمارته نحو من سبعين بغلة عليها العمال الغرباء ما بين نجار ودهان ومصور ومزخرف ونحّاس ونحوهم خارجا عن كان يركب الحمير ومن لا يركب من عمله ، ولما فرغ المؤيد من عمله صنع وليمة وضيافة كبيرة لخاصته وأعيان دولته .

الأمير تاج الدين

فى سنة ٧٠٩ هـ توفى الأمير تاج الدين محمد بن أحمد بن يحيى بن حمزة بن سليمان صاحب كحلان الأمير تاج الدين وغيره من الحصون فى الطويلة وغيرها وهو من أكابر الحمزات ، وفيها أخرج الحمزات نائب المؤيد من صعدة فسار إلى تهامة ، وفى سنة ٧١٠ هـ تسلم أمير صنعاء عباس بن محمد حصن عمران وحاصر ظفار ورماه بالمنجنيق ثم كان الصلح واستخلف المؤيد على صنعاء محمد بن حسن بن نور ، وفيها رجعت الأكراد إلى طاعة المؤيد فعفا عنهم وترك حصن هران بأيديهم ، وفيها جهز المؤيد ولده المظفر إلى بلاد الشرق فى ثلاثين ألف مقاتل فحاصر حصن المفتاح فلم يظفر به فمال إلى حصن تلحام فاقبلت ديمة مطر لبثت أحد عشر يوماً حتى هلك أكثر أصحابه فرجع إلى تعز مريضاً وفيها استولى الإمام على حصن الجاهلى وحصن القاهرة .

وفى سنة ٧١١ هـ مَلََّ أهل الشرف ولاية السلطان المؤيد لسوء معاملة عماله ومالوا إلى الإمام رغبة فاستولى الإمام على جبل سعد والشجعة فأمر السلطان على الأمير إدريس بن على الحمزى بحرب الإمام ومابرح عسكره فى نقصان ولم يثبت غيره مع أربعة فرسان فأسره أصحاب الإمام وقتلوا ابن عمه ولبث فى الأسر نصف شهر ثم فرّ متغبراً على حين غفلة ، وتسلم الإمام حصن المفتاح بالشرف ، وكان السلطان قد جهز ولده المظفر ووزيره لإعانة الأمير إدريس فلما بلغهما انتصار الإمام عليه مالا إلى جبل تيس وأمر المظفر الأمير إدريس بالإقامة فى جبل الشاهل وضم إليه جماعة من أصحابه ورجع المظفر إلى تهامة .

محمد بن الحسن الديلمي

فى سنة ٧١١ هـ توفى بوادى مُر من تهامة الفقيه الحافظ الزاهد محمد بن الحسن الديلمي الزيدى خرج من الديلم إلى اليمن وصنف بصنعاء سنة ٧٠٧ هـ كتاب «عقائد اهل البيت» وكتاب " الصراط المستقيم " وكتاب " المشكاه " وكتاب " التصفية " ، وكتاب " عقائد أهل البيت من أصول كتب الزيدية " اشتمل على فضائل الآل وأن مذهبهم الترضية على الصحابة وأن المعتزلة شملتهم عقائد الزيدية وأن كل مجتهد مُصيب وترجمته فى " مطلع البدور " .

وفى سنة ٧١٢ هـ كتب الإمام المهدي إلى الأمير إدريس بن على الحمزى أن يسعى بتجديد الصلح مع السلطان قبل انقضائه فعقد لمدة عشر سنين على أن للإمام بلاد الشرف الأعلى وبلاد الجبر وما هو تحت يده من بلاد حجة وغيرها وبيت ردم وبنى الوشاح وظفر بنى وهّاس وثلاثة آلاف دينار فى كل سنة .

المظفر بن المؤيد

وفىها مات الأمير المظفر بن المؤيد ودُفن عند أخيه الظافر فى المدرسة المؤيدية ، وكان قد أوصى أن يُقبر فى مقابر المسلمين وأن لا يُنَاح عليه ولا يُشَق عليه ثوب ولا يُغَطى نعشه إلا بثوب قطن ولا يُعقر على قبره شئ من خيله فنفذ والده وصيته إلا موضع قبره .

وفى سنة ٧١٣ هـ أرسل الإمام أخاه إبراهيم بن المطهر إلى جبل مسور لناصر بنى صمصعة على بنى قطيل ، وفىها فتكت الأكراد بوالى السلطان المؤيد على صنعاء حسن بن إلياس فأرسل المؤيد جنوده لتأديب الأكراد وبعد مطاردتهم عفا عنهم بشرط عدم العودة إلى مثل ذلك وفىها جهز المؤيد الأمير إدريس ابن على الحمزى فى خيل ورحل إلى صهيب فى جهات لحج فشدد على الجحافل وأتلف زروعهم ، وفىها أُطلق من سجن تعز الأمير عبدالله بن وهّاس بعد سجنه أربع سنوات وأُطلق للمؤيد حصن

الظفر وحصن اللجام ثم فى سنة ٧١٤ هـ بعد أن أطلق الحصنين لئائب المؤيد بصنعاء سار إليه إلى تعز وضربت البشائر بتعز لإطلاق الحصنين وأكرمه المؤيد وأقطعه الفحمة وأطلق رهائنه .

إدريس بن على الحمزى

فى سنة ٧١٤ هـ توفى الأمير الكبير المؤرخ إدريس بن على بن عبدالله بن الحسن بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن على بن الإمام حمزة بن الإمام أبى هاشم الحسن بن عبدالرحمن مؤلف كتاب " كثر الأخبار فى السير والأخبار " وهو أربعة أجزاء الأول فى سيرة النبى صلى الله عليه وآله وسلم والخلفاء الراشدين ، الثانى فى بنى أمية وغيرهم إلى قريب المائة الثانى ، الثالث فى أخبار بنى العباس وغيرهم من ملوك الشام والعبيدين والقرامطة وحروب الإفرنج بالشام وفى آخره نبذة مختصرة فى أخبار اليمن وملوكه خاصة إلى زمن مؤلفه ، الرابع فى ملوك حمير ثم ما جرى من فتنة الخوارج ، هذا ما اشتمل عليه الكتاب وهو مأخوذ من تفسير ابن جرير الطبرى وتاريخ المسعودى وتاريخ ابن الاثير وغيرها وهو مفقود لا أعلم بنسخة منه ظاهرة وقد ترجم لصاحبه أبو الرجال فى مطلع البدور فقال : « الأمير الخطير الشهير العلامة المعتصم بالله إدريس بن على بن عبدالله الحمزى علامة جليل المقدار وحيد زمانه ترجم له جماعة وكتابه " الكثر " من أجل كتب التاريخ فرغ من تأليفه فى رجب سنة ٧١٣ هـ وأظنه غريباً فى بابه وله كتاب " السبول فى فضائل البتول " ومن إفاداته أن أحاديث كتاب أصول الأحكام ثلاثة آلاف وثلاث مائة وإثنا عشر حديثاً وله رسائل رد بها على الجبرية غلطاتهم وكان يخالط سلاطين بنى رسول ويتصل بهم ومن شعره :

ونحن لمن يبغى الهدى ويريده
سفينة نوح عصمة للخلائق
ومن ضل عنا راكبا غير فلكننا
هوى ثاوياً فى موجه المتدافق

نقض الصلح بين الإمام والسلطان

فى سنة ٧١٦ هـ نقض السلطان المؤيد الصلح بينه وبين الإمام المهدي فجهز الإمام جيشا إلى الشرف الأسفل وقدم أخاه الأمير أحمد بن المطهر إلى العروس فاستفتحه ثم نهض الإمام بنفسه لحرب صنعاء فصالحه عاملها وأرسل السلطان جيشه بقيادة الأمير نور بن حسن إلى حجة فحاربهم الأمير إبراهيم بن المطهر فى جبل عمر وماذن، فهزّمهم وقتل جماعة منهم ، وأقطع الإمام الأشراف بنى القاسم حصون بلادهم وأخذ عليهم العهد فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فلم يلبثوا أن خالفوا عليه فانترع البلاد والحصون من أيديهم ، وكتب المؤيد إلى الإمام :

رويدك لا تعجل فما أنت بعلمها
سيأتيك فتاك يُعلمك الضربا
وإن كنت ذا عزم فلا تضح هاربا
كعادة من قد صرّت من خلفه عقبا
وسائل جبال اللوز عنا وعنكم
فافضلكم ولى وخلاكم نهبا
فأجابه الإمام:

رويدك إن الله قد شاء حربكم
تأخّر عن الدست الذى أنت صدره
سأجلبها شعث النواحي شُرّبا
ويأتيك فتاك يُعلمك الضربا
عليها رجال من لؤى بن غالب
بهاليل سباقون قد مارسوا الحربا
وأدعو بحىّ من نزار غطارفٍ
وآتيك من قطحان بالعرب العربا
إذا أقبلت مثل الهضاب مُشيخةً
تقل رجالا من بنى هاشم غلبا
أريناكم كيف التزال بعلمنا
وعلمتكم بالسيف ود ذوى القربى
فنحن بضرب السيف أعرف فى الوغى
وأربطهم جأشا وأثبتهم قلبا

وليس جبال اللوز عاراً لسيد

غدت واكفات السحب من خلفه دربا

فتلك على رغم الحسود فضيلة

بها الفخر فى الدنيا بها الفوز فى العقبى

محمد بن يحيى حنش

فى خامس ذى القعدة سنة ٧١٧ هـ توفى بحصن ظفار الظاهر القاضى الحافظ المتكلم محمد بنى يحيى بن أحمد حنش الزيدى عن ٩٧ سنة من مولده ومن مؤلفاته الفياضة "شرح الخلاصة للرصاص والتمهيد" و"القاطعة فى الرد على الباطنية" وهو أحد الأعلام المجتهدين المحققين المذاكرين وهو شيخ الإمام محمد بن المطهر والسيد المرتضى بن المفضل وله ولأبيه ذكر كثير فى كتب الفقه ، وكان جده أحمد بن السلطان حنش الكندى الهشابى وصل من محلة الحَسَمَة فى بنى شهاب إلى الإمام عبدالله بن حمزة للجهد بألة حربه على ما كانت عليه قبائل الزيدية فطلب العلم الشريف إلى أن بلغ الغاية ثم بعده أولاده وأحفاده الأعلام الكبار وفى وطنه الحَسَمَة وادى حنش سُمى باسمه ، وقرأ محمد بن يحيى على والده وعلى العلامة عبدالله بن على بن أحمد الاكوع ، وله تعليق على اللمع وتعليق على اليواقيت رواها عنه العلامة محمد بن عبدالله الرقيمي ، وكان على عظيم هيئته وجلاله سهل الطريقة لين العريكة رحيماً عطوفاً رَضِيَ الأخلاق ، رحيماً بالبلد يسأله هل فهمت ويُعيد عليه المسألة بلين وإيضاح ثانياً وثالثاً يُرضى جميع تلامذته وقد جمع بين الأصول والفروع والتحقيق والإيضاح والفرق بين المشتبهات قال فى وصفه الأمير شمس الدين أحمد بن على فى قصيدته :

لولا عجائب صنع الله مانبت

تلك الفضائل فى لحم ولاعصب

عبدالله حسن عطية الشافعى

وفى سنة ٧١٩ هـ توفى الشيخ العلامة عبدالله بن حسن بن عطية الشغدرى الشاورى الشافعى التهامى قاضى المخلاف السليمانى وهو من مشائخ الإمام محمد بن المطهر .

محمد بن الهادى

وفى سنة ٧٢٠ هـ توفى عن سبعين سنة فى بلاد جماعة الأمير الكبير محمد بن الهادى بن تاج الدين أحمد بن بدر الدين محمد بن أحمد بن يحيى بن يحيى مؤلف كتاب "الروضة " و"الغدير " و"مُتمم كتاب المقنع الشافى "

المؤيد الرسولى

وفى سنة ٧٢١ هـ توفى بتعز السلطان الملك المؤيد داود بن الملك المظفر يوسف بن على بن عمر بن رسول عن نحو ٢٦ سنة من سلطنته قال الربيع فى " قرّة العيون " كان فارساً مقداماً غاية فى الشجاعة والسخاء مطالعاً فى الكتب المبسوطة اختصر كتاب الجمهرة وجمع من أشعار الجاهليّة والمولدين شيئاً كثيراً ، وقال السيد يحيى بن الحسين بن القاسم فى " أنباء الزمن " أن الملك المؤيد جمع من الكتب ما لم يجمعه غيره يقال إنها كانت مائة ألف كتاب وكان جباراً مدمناً ومما يعزى إليه هذه الأبيات :

خذ ماتراه ودع عنك الذى غابا
قالوا أذاك نذيرٌ بالمشيبِ فُتّب
واقطع زمانك أفراحا وأطرابا
أما قضيت من العصيان آرابا
لم يدر من طول سكر أنه شابا
فقلت كيف يبالى بالمشيب فتى

بدعة أيام السبت

ومن أعظم وأشنع بدعة بأيامه بدعة أيام السبت بزيد وحقيقتها كما ذكره المؤرخون أنه كان يخرج بعسكره من زبيد إلى النخل في يوم السبت من الأسبوع ويأمر أهل زبيد بالخروج معه بنسائهم فتقع هناك مفساد عظيمة واختلاط فاحش وسماع وطرب فاشتد إنكار الخاصة منهم عليه لهذا السبب ورحل عن زبيد قدر سبعمائة بيت من الفقهاء وأهل النجدة والحمية وآووا إلى الجبال كجبل برع وغيره وأنكروا على من تخلف عن الخروج من زبيد إلى الجبال حتى أن بعض الفقهاء كتب إلي بعض أقاربه بزيد قوله :

تَجَنَّبْ عن زبيد ولا تطاها ولا تغرك يا ابن أخي زبيدُ
ففى يوم السبت تُرى مساوٍ

أنتها يوم سبتهم اليهود

ويقال إنها لما طالت مهاجرة الفقهاء عن زبيد كتب إليهم المؤيد يستعطفهم ويعددهم ترك ماخرجوا لأجله فرجع بعضهم ويقال إنه ابتدأت هذه البدعة في أيام أخيه الملك الأشرف بن المظفر وهو أصبح كما سبق ، وكان قد جعل ولاية العهد لابنه المجاهد على بن المؤيد وأخذ العهود على الأمراء والجنود بالوثيقة في ذلك .

حصار صنعاء وفتن بنى رسول

فى سنة ٧٢٢ هـ نهض الإمام محمد والأشراف إلى جهات صنعاء فى عساكر كثيرة فوقفوا فى ضبر حدين جنوبى صنعاء ودام الحصار لها ثلاثة أشهر وفيها النائب الرسولى فطلب الصلح فأسعده الإمام وارتفع بجنده واستلم حصن غران قهرا وحارب الباطنية حروبا شديدة .

وفيها قبض الملك المجاهد على بن داود على ابن عمه محمد بن الأشرف فسجنه فى تعز ثم نقله إلى سجن عدن ، وأخر أعطية الجند فتغيرت قلوبهم عليه وساروا إلى

عمه المنصور أيوب بن المظفر وهجموا على وزير المجاهد فقتلوه ثم قتلوا على بن الهمام ثم خرجوا من تعز فوراً إلى ثعبات فقبضوا على الملك المجاهد وأتوا به إلى عمه فاعتقله بحصن تعز في دار الإمارة وأخذ العهود على الجند وأطلق ابن أخيه محمد بن الأشرف من سجن عدن ولم يزل المنصور نحو ثلاثة أشهر ثم تمالى المماليك على إطلاق المجاهد من السجن وإرجاع الملك إليه وسار إلى الحصن فقتلوا صاحب مفاتيحه وقبضوها ودخلوا على المنصور وأوثقوه فخرج إليهم أمير الحصن فقاتلهم حتى قُتل ، ولما عرف من في المدينة دخولهم الحصن سارعوا خيلاً ورجلاً إلى الحصن وأمر المجاهد من ينادى من أعلى الحصن أن البيوت المنصورية مُباحة وهى مساكن الأمراء وأشرف وأعيان الدولة فما كان بأسرع من عود الأمراء والأشرف ورجال الدولة لتحفظ بيوتهم ولم يتتصف النهار إلا وقد كتبت أم المجاهد إليه أن بنات عمك وأهلك وغيرهن قد هُتكن وهُن نساء الملوك ولم يبق لهن باقية وصرنا كما قيل :

تركوا حريم أبيهم نفلًا
والمحصنات صوارخ هُتف
أبدت خلاخلهن فى دهش
أبكارهن ورنّت النصف
سلبت محاجرهن واجتليت
ذات النقاب ونوزع الشنف
فكأنهن خلال متهب
در تكشف دونه الصدف
فأمر مناديا بأن من أخذ شيئاً فليرده وكتب أماناً للناصر محمد بن الأشرف فلم يتم قراءته حتى إنتفض وأتاه من قبض عليه وعلى أقاربه وأودعوهم السجن ورجع الملك للمجاهد وسجن أكثر العائلة الرسولية .

استيلاء الإمام على صنعاء وغيرها

وفى سنة ٧٢٣ هـ سار الإمام المهدي محمد بن المطهر إلى بلاد الباطنية بهمدان فأخربها غير بعض حصونها وفيها مات نائب صنعاء الرسولى ابن الأسد فنهض الإمام

إلى صنعاء واجتمع معه عالم كثير فدخلها في ٢٥ شعبان ومن الأسباب أن الأمير المهدي بن محمد بن حاتم بن أحمد بن الإمام عبد الله بن حمزه قال للإمام أنا أكفيك أمر صنعاء وكان داهية لبيباً فحذّر علي بن الأنف الهمداني من الإمام حتى ظنه مثلاً عنه وركن إلى قوله وحذّر قائد الجند الرسولي بصنعاء من ابن الأنف وحذره من الرسولين وضرب بعضهم ببعض بدهاء فاختلفت كلمتهم فلم يلبث القائد الرسولي أن استدعى الإمام لدخول صنعاء وأدخله من جانب القصر وخرج ابن الأنف وهمدان من صنعاء ليلاً ومكّ الإمام صنعاء وأحسن فيها صنعاء، ولم يزل مالكةا إلى أن مات وتسلم حصن ذي مرمر بمساعدة من فيه من عسكر السلطان الرسولي بعد أن فتكوا بأميرهم ابن عوسجة واستدعوا الإمام. وفيها مات بالسجن المنصور أيوب بن المظفر وبقي ابنه الظاهر متغلباً علي الدملوة واحتل الجند وغزا المجاهد إلي تغز وثعبات مرتين بالقائد حسن بن الأسد، وتغلبت المماليك بزبيد فغزاهم بنجم الدين أحمد فأسروه وهزموا جنده كما خالفه حاكم عدن ابن الدويدار وانضم إلى الظاهر .

إلى هنا ينتهى الجزء الثانى (١)

وبعد الجزء الثانى (٢) ويبدأ بزوال الدولة الرسولية من اليمن الأعلى سنة ٧٢٤ هـ .

٦	خطبة المؤلف وظهور الهادي	٢٨٠	سنة
٨	مؤلفات الهادي		
٩	اثبات ابن حجر لامامته		
١٠	ترجمته		
١٢	ذو الفقار		
١٣	من حكمه ونصاحه		
١٥	كتاب دعوته		
١٦	عدالته		
١٨	وفاته	٢٨٥	
١٩	الحرب في برط ووشحه ونجران		
٢٠	حرب الدعام		
٢١	اسحق الدبري		
٢٢	موالاه ابي العتاهية للهادي		
٢٢	مسيره إلى حوث والعصيمات ونجران	٢٨٦	
٢٥	حرب الاكيلىين	٢٨٧	
٢٧	دخوله صنعا وقضائع الطريف والجفاتم	٢٨٨	
٢٩	بعثه العمال لمخاليف صنعا وإلى عدن		
٣٠	ثورة صنعا وشباب عليه		
٣١	معارك شمال صنعا		
٣٢	معارك جنوب صنعا		
٣٣	خلاف نجران	٢٨٨	
٣٤	معارك حدين وعلب والميدان		
٣٥	معارك ظلبوه	٢٨٩	
٣٦	مسيره إلى نجران		
٣٧	رجوعه صنعا		
٣٨	اسر المرتضى	٢٩٠	
٣٩	من شعر المرتضى في اسره		
٤٣	وفاة ابن زياد بزبيد	٢٩٠	
٤٤	ظهور على بن الفضل ومنصور حسن	٢٩١	
٤٦	كتاب الهادي إلى نجران		
٤٨	طلب أهل تهامة للهادي		

٤٩	قتل ابن الفضل لجعفر المناخي	٢٩٢
٥٠	نهوض ابن الفضل إلى صنعاء وفنائعه	
٥١	فنائعه بزبيد	
٥٢	استدعاء أهل صنعاء للهادي	٢٩٤
٥٣	فنائع ابن فضل وظهور القرامطة بنجران	٢٩٤
٥٥	مسير الهادي إلى نجران	٢٩٥
٥٦	قتل العامل بنجران	٢٩٦
٥٩	فنائع ابن فضل بزبيد	٢٩٧
٥٩	ليلة الافاضة	
٦٠	آخر حروب الهادي	٢٩٨
٦١	نصيحته للهادي	
٦٤	توعده لولاة الجور	
٦٦	خلاصة سيرته	
٧٦	ما جاء في أهل اليمن	
٨٠	المرتضى بن الهادي	٢٩٩
٨٠	خطبة بيعته واستقالته	
٨٤	وفاة المرتضى	٣١٠
٨٥	الناصر أحمد	٣٠١
٨٥	بيعة الناصر أحمد	٣٠١
٨٧	من رسائله وشعره	
٩٠	أسعد بن أبي يعفر	٣٣١
٩٢	أبو نصر الحنبلي وأبو السعود بن المنصور وأبو السعود	
٩٥	بن فتح وأبو السعود بن زيد الحسن بن أحمد الهمداني	
٩٩	المنصور يحيى	٣٢٥
١٠٥	يوسف الداعي	٣٦٨
١١٠	القاسم العياني	٣٨٨
١١٣	من آثاره ورسائله	
١١٥	وفاة العياني وأولاده	٣٩٣
١١٦	القاسم الزيدى	
١١٦	الحسين بن القاسم	٣٩٣
١١٩	أبو هاشم الحسن	٤١٨
١٢٠	رسالة أبي هاشم	
١٢٢	أبو الفتح الديلمي	٤٣٠
١٢٦	علي بن محمد الصليحي	٤٣٩
١٢٨	السيدة بنت أحمد وملكها الطويل وموت زوجها المكرم	

١٣٠	محاولة سبأ الزواج بالسيدة	٤٢٩
١٣٢	حنه بنت عبدالله بن الحسين	٥٠٠
١٣٣	حمزه بن ابي هاشم	٤٥٢
١٣٤	احمد بن سليمان	٥٣٢
١٣٦	تحريض نشوان على طاعة الامام	
١٣٧	نهوض الامام إلى صنعاء	٥٤٥
١٣٩	وقعة غيل جلاجل	٥٤٩
١٤٠	آيات سماوية	
١٤٢	وقعة الشرزه	٥٥٢
١٤٣	استعانة أهل زبيد بالامام	٥٥٣
١٤٥	سلاطين اليمن	
١٤٦	بنوا الغشم	٤٩٢
١٤٧	نشوان الحميري	٥٧٣
١٥٥	محمد بن نشوان الحميري	
١٥٦	على بن نشوان الحميري	
١٥٦	الامير ذو الشرفين واخوه الفاضل	
١٥٩	بنو حاتم	٥٣٣
١٦١	ينو زريع	
١٦٤	عبدالله بن حمزه	٥٨٣
١٧٠	مسيره إلى ذمار وقتل جكر	٥٩٥
١٧١	يحيى بن احمد بن سليمان	٥٩٥
١٧١	جواب صاحب حضرموت	٥٩٦
١٧٣	رسالة الامام إلى مكة	٥٩٧
١٧٤	موالة وردسار له	٥٩٨
١٧٥	قتل المعز	٥٩٨
١٧٦	ابات سماوية	٦٠٠
١٧٧	محمد العفيف الوزير	٦٠٠
١٧٩	قضية الحشيشين	٦٠٠
١٨٠	استيلائه على كوكبان وقتل اخيه ابراهيم	
١٨٠	عمارة ظفار	
١٨١	الdraهم المنصورية. والسيل العظيم	٦٠١
١٨٢	يحيى بن احمد	٦٠٦
١٨٤	سنقر والجزري ووردسار	٦٠٨
١٨٤	ايوب ووزيره	٦١١
١٨٥	دخول الامام صنعاء	٦١١

١٩١	رسالة الامام إلى بغداد	٦١١
١٩٣	وصول المسعود	٦١٢
١٩٤	إستشهاد امير حضرموت	٦١٣
١٩٤	وفاة المنصور عبدالله	٦١٤
١٩٦	اشهر اولاد المنصور	
١٩٦	يحيى بن المحسن	٦١٤
١٩٧	ثعبان عظيم	٦١٤
١٩٩	مرغم الصوفى	٦١٩
٢٠٠	محمد بن المنصور	٦٢٣
٢٠١	بدر الدين	٦٢٤
٢٠١	ابتداء بنى رسول	٦٢٨
٢٠٣	عبره وموعظة	٦٤٥
٢٠٣	احمد بن الحسين	٦٤٦
٢٠٦	وقعة قارن	٦٤٧
٢٠٦	قصيدتان لابن هتيمل	
٢٠٩	قتل نور الدين عمر	٦٤٧
٢١٠	سقوط الامام عن جواده	٦٤٧
٢١١	صلح المهدي والمظفر	
٢١٣	مخالفة الحمزات للامام	٦٥٠
٢١٤	حميد الشهيد	٦٥٢
٢١٧	نزول احمد بن المنصور إلى المظفر	
٢١٧	وثوب الحشيشين على الامام	٦٥٣
٢١٨	نار بالمدينة المنورة	٦٥٤
٢١٩	دخان وصواعق وقحط	
٢٢٠	مخالفة الرصاص للامام	
٢٢١	استشهاد الامام ومراثيه	٦٥٦
٢٢٤	دعوة ابن وهاس	
٢٢٤	الحسن بن بدر الدين	٦٥٧
٢٢٥	سجن اسد الدين	٦٥٨
٢٢٦	يحيى بن محمد السراجى	٦٦٠
٢٣٠	شراء المظفر للحصون	٦٦١
٢٣١	الامير الحسين. وابن حنكاش	٦٦٢
٢٣٢	عطيه النجرانى	٦٦٥
٢٣٣	احمد بن علوان	
٢٣٤	قصيدة الزبيرى	

٢٣٧	حروب صعده	٦٦٧
٢٣٩	عبدالله بن زيد العنسى	٦٦٧
٢٣٩	ابراهيم بن تاج الدين	٦٧٠
٢٤١	قصيدة الامام ابراهيم	
٢٤٥	جوابات عليه	
٢٤٨	المطهر بن يحيى	٦٧٤
٢٤٩	رسالته	
٢٥١	استيلاء المظفر على حضرموت	٦٧٨
٢٥٢	محمد بن ابي السعود	٦٨٠
٢٥٢	المفضل بن منصور	٦٨٢
٢٥٢	داود بن المنصور	٦٨٩
٢٥٤	احمد بن عجيل الفقيه	٦٩٠
٢٥٥	حروب	٦٩٢
٢٥٧	تنازل المظفر عن الملك لابنه الاشرف	٦٩٤
٢٥٩	وفاة الاشرف والامام والحمزى	٦٩٦
٢٦٠	الامير على بن عبدالله	٦٩٩
٢٦٠	محمد بن المطهر	٧٠١
٢٦٣	قصر ثعبات	٧٠٨
٢٦٤	الامير تاج الدين	٧٠٩
٢٦٥	محمد بن الحسين الديلمى	٧١١
٢٦٥	المظفر بن المؤيد	٧١٢
٢٦٦	ادريس الحمزى	٧١٤
٢٦٧	نقض الصلح	٧١٦
٢٦٨	محمد بن يحيى حنش	٧١٧
٢٧٠	بدعة السبوت وفتن بنى رسول	٧٢١
٢٧١	استيلاء الامام على صنعاء	٧٢٣
٢٧٦	الفهرس	

المجلس
رقم الإيداع ٩٨/١٧٠٢١

الترقيم الدولي I.S.B.N.
977 - 19 - 7712 - 1